الأسنة الحداد

في رد

شبهات علوي الحداد

تأليف الشـــيخ الفاضل الهمام

سليمان بن سحمان

عفى الله عنه وغفر له أينما كان

طبع بأمر حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم

سعود بن عبد العزيز آل سعود

ملك المملكة العربية السعودية

أيده الله تعـالى

الطبعة الثانية في سنة ١٣٧٦ هـ

مطابع الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، وأوضح من الحجج والبراهين ما قامت به حجته على جميع المكلفين من الخلائق ، أحمده سبحانه وأستعين به على قمع كل منافق ومشرك مارق ، واشكره على ما منّ به من إدحاض الباطل وأهله من كل معاند للحق ومشاقق ، واشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مخلص لله صادق ، واشهد ان محمداً عبده ورسوله المبعوث بأهدى السنن واقوم الطرائق ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ذوى المناقب والسوابق ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد : فقد وقفت على ما ألفه الملحد المفترى علوي بن احمد ابن الحسن بن عبد الله بن علوي الحداد ، فرأيته قد بالغ في الكذب والزور والالحاد ، وتجانف للاثم والفجور والأفك والعناد ، وسلك مسلك أهل الغي والضلال والفساد ، فشنع وعادى ، وحشر علماء السوء ونادى ، واتبع اهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ، وعدل عن مهيع أهل الحق والدليل ، ونهج منهج أهل الكفر والضلال والتجهيل ، وسمّا كتابه المشتمل على الزور والبهتان ، وعداوة أهل الاسلام والايمان ، وعلى دعوة الخلق إلى عبادة غير الله ، والكذب على أولياء الله ، مصباح الأنام ، وجلاء الظلام ، وكان الأحق به ان يسمى غياهب الظلام ، واغواء الأنام ، واضلال العوام ؛ عن دين الاسلام الذى بعث به سيد الأنام ، واعتمد في تأليفه على أكاذيب اناس ممن شرق بهذا الدين من أهل الشرك والارتياب بعد ما تبين لهم أنه الحق والصواب ، وانكرته قلوبهم بعد ذلك

وأتوا بأعظم الأسباب ، وزجوا الخلق في لجة الضلال والارتياب، وضجوا على دعوة الحق بالتكذيب والاكذاب ، وعجوا مطبقين على الشيخ بأنه ساحر أو مفتر أو كذاب ، وحكموا بكفره واستحلال دمه وماله وجميع ماله من الأصحاب، (وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب)، وصنفوا في رد هذا الدين مصنفات ، ولفقوا من الأكاذيب على الشيخ واكثروا من الترهات ، ولم يكن لهم قصد ولا مرام ، إلا تنفير الخواص والعوام ، عن قبول الحق والدخول في دين الاسلام ، فتلقى هذا الحضرمى ما لفقوه من المخرقة ، وصريح ما اقترحوه من الافك والزندقة ، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ، وكذلك اعتمد في مفترياته الكاذبة الخاطئة على ما افتراه عبد الله بن داود الحنبلى البغدادي مما لفقه في كتابه الذي سماه الصواعق والرعود فان هذا الملحد أعنى عبد الله بن داود أول من جمع هذه المخرقة ، وتفوه بهذا الافك والزندقة ، التي استوحاها من أكاذيب من شرق بهذا الدين وتلقى كبرها عن أولئك المعتدين ، المتبعين غير سبيل المؤمنين ، وممن عد هذا الملحد من هؤلاء المعاندين المارقين ، احمد بن على القباني صاحب البصرة وعطا المكي وعبد الله بن عيسي المويسى واحمد المصرى الاحسائي ومحمد بن عبد الرحمن بن عفالق وغيرهم ممن شرق بهذا الدين .وهؤلاء واشباههم قد دعاهم الشيخ رحمه الى توحيد الله واخلاص العبادة له وراسلهم وبذل الجد والجهد في دعوتهم الى الله فاصروا واستكبروا وعاندوا فجادل في الله وقرر حججه وبيناته وبذل نفسه لله وانكر على أصناف بني آدم الخارجين عما جاءت به الرسل المعرضين عنه التاركين له وصنف في الرد على من عاند وجادل وما حل، حتى ظهر الاسلام في الأرض وانتشر في البلاد والعباد ، وعلت كلمة الله وظهر دينه وانقمع أهل الشرك والعناد ، واستبان لذوي الألباب والعلوم ، من دين الاسلام ماهو مقرر معلوم ، وقد اطنب هذا الحضرمى فيما كتبه من الترهات ، وما لفقه من التمويهات ،

ولا حاجة بنا الى تتبع جميع سقطاته ، ورعونات ورطاته ، لكن نجيب على ماقد يوهم العوام ، مما يشبّه به هؤلاء الطغام ، انه من دين الاسلام ، وننفى ما افتروه على الشيخ من الأفك الواضح ، والبهتان الفاضح ، الذي لا يمتري في كذبه بذلك عاقل ، فضلا عن العلماء الأفاضل ، وحيث انتشر ما لفقه هؤلاء الملحدون ، وما موه به أعداء الله المفترون ، وشاع في البلاد والعباد استعنت الله على رد ما لفقوه ، وابطال ما موهوه ، على سبيل الاختصار والاقتصار وتركت بعضاً مما ذكره هذا الملحد في مقدمة رسالته وما بعدها مما لا فائدة في رده مما يعلم بضرورة العقل انه من الترهات الواهية ، والخرافات السامجة الساهية ، وسميت هذا الجواب « هداية الأنام ، وجلاء الأوهام ، عن معتقد الشيخ الامام ، وعلم الهداة الاعلام ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، اجزل الله له الأجر والثواب » والله المسئول ان يجعله لوجهه خالصا وان يعصمنا من الخطأ والزلل ، وان يعظم لنا الأجر وان يحسن لنا العمل ، بمنه وكرمه واحسانه . قال : الملحد المفتري بعد ان ذكر من رد على الشيخ من علماء السوء فذكر من جملتهم محمد بن عبد الرحمن بن عفالق ذكر انه رد عليه بكتاب سماه تهكم المقلدين بمدعى تجديد الدين وزعم أنه أظهر عجز الشيخ لما سأله سؤالات ثم قال له ولا تكلف إلا الاستخراج من الكتب المصنفة مع أن المستنبط له ملكة راسخة في نفسه يدرك بها جميع ذلك من غير مراجعة فمن سؤالاته واسألك عن قوله تعالى والعاديات ضبحا الى آخر السورة التي هى من قصار المفصل كم فيها من حقيقة شرعية وحقيقة لغوية وحقيقة عرفية وكم فيها من مجاز مرسل ومجاز مركب واستعارة حقيقية واستعارة وثاقية واستعارة عنادية واستعارة عامة واستعارة خاصة واستعارة أصلية واستعارة تبعية واستعارة مطلقة واستعارة مجردة واستعارة مرشحة وموضع اجتماع الترشيح والتجريد فيهما وموضع الاستعارة بالكناية والاستعارة التخيلية وما فيها من التشبيه الملفوف والمفروق والمفرد والمركب والتشبيه المجمل والمفصل وما فيها من

الايجاز والاطناب والمساواة والاسناد الحقيقى والاسناد المجازي المسمى بالمجاز الحكمي وأي موضع فيها وضع المضمر موضع المظهر وبالعكس وموضع ضمير الشأن وموضع الالتفات وموضع الفصل والوصل وكمال الاتصال وكمال الانقطاع والجامع بين جملتين متعاطفتين ومحل تناسب الجمل ووجه التناسب ووجه كماله في الحسن والبلاغة وما فيها من ايجاز قصير وما فيها من ايجاز حذف وما فيها من احتراس وتتميم وبين لنا موضع كل ما ذكر وغير ذلك من وجوه الاعجاز ومن طرق التحدي التي اشتملت عليها هذه السورة القصيرة مما هو منصوص على جميعه ولم يقدر ابن عبد الوهاب على جواب شيء مما سأله الامام الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عفالق انتهى ما ذكره الحضرمي

والجواب ان يقال لهذا المفتري الملحد قد ظهر واشتهر من حال الشيخ وما منحه الله تعالى به من العلم والفهم والاطلاع بما لا يخفى على منصف قد تخلى من ثوبي الجهل والتعصب ممن له معرفة ودين ولا يخفى ذلك الا على من اعمى الله بصيرة قلبه فان الشيخ رحمه الله امام الموحدين ، ورأس العلماء العاملين ، وغرة الائمة المحققين ، فكان من المعلوم انه سبّاق غايات ، وصاحب آيات ، لا يشق غباره ، ولا تدرك في البحث والافادة آثاره ، كان حفظ القرآن عن ظهر قلبه قبل بلوغه العشر وكان حاد الفهم سريع الحفظ اشتغل في العلم على أبيه وأخذ في القراءة على والده في الفقه ورحل في العلم وسار وجد في الطلب فزاحم فيه العلماء الكبار وأخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ عبد الله بن ابراهيم النجدي ثم المدني وقد سمع رحمه الله الحديث والفقه من جماعة بالبصرة كثيرة وقرأ بها النحو واتقن تحريره وكتب الكثير من اللغة والحديث فلله دره من جهبذ عالم ، وداع الى توحيد الله قائم ، وناصح لله ملازم ، ومجدد لتلك المشاهد السنية والمعالم ، قال شيخنا الامام وعلم الهداة الاعلام في رده على جلاء الغمة وقد عرف طلب الشيخ للعلم ورحلته في تحصيله كما ذكره صاحب التاريخ الشيخ حسين ابن غنام الاحسائي وقد اجتمع بأشياخ الحرمين في وقته ومحدثيها واجازه

بعضهم ورحل الى البصرة وسمع وناظر والى الاحساءوهي اذ ذاك آهلة بالعلماء فسمع من أشياخها وباحث في أصول الدين ومقالات الناس في الايمان وغيره وسمع من والده ومن فقهاء نجد في وقتـه واشتهر عندهم بالعلم والذكاء انتهي وقال بعض المحققين من أهل العلم والدين وللشيخ رسائل وتأليفات تدل على سعة علمه منها كتاب التوحيد وكتاب أصول الايمان واستنباط الأحكام من بعض السور وغيرها. وحكاية السؤال عن المسائل وعدم القدرة على الجواب عنها حكاية رجل خائن لا يعتمد على حكايتـــه قال واما قوله واسألك عن قوله تعالى والعاديات ضبحا الى آخر ما قال فالكلام فيه من وجوه الأول : عدم الاعتماد على هذه الحكاية والثاني : عـــدم القدرة على جواب هذا السؤال لايدل على عدم تمكنه في العلوم الدينية من الحديث والتفسير والفقه . والثالث : ان هذا السؤال من جنس مجاراة العلمـاء وهي غير جائزة بل من جنس الأغلوطات وهو منهي عنه لما روى أبو داود عن معاوية قال ان النبي ﷺ نهي عن الاغلوطات وذكر أحاديث لا تخلو من مقـــال ثم قال ولا ريب ان السؤال الذي ذكره المؤلف خرج على سبيل تعنيت المسؤول وتعجيزه .
والرابع : ان رسول الله ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم وأهل بيته رضوان الله عليهم أجمعين وأهل العلم من التابعين وتابع التابعين سيا الائمة الاربعة من الفقهاء والأئمة الستة من أهل الحديث لو سئلوا عن أمثال تلك المسائل فهل يقدرون على الجواب على شيء منها أم لا ، على الثاني : فللشيخ رحمه الله تعالى اسوة حسنة في هؤلاء السادة الكبار . والاول : مستبعد جدا فان رسول الله ﷺ ما كان يعرف شيئا من حقيقة شرعيـــة وحقيقة لغوية وحقيقة عرفية ومجاز مرسل وغيرها من الامور المذكورة في هذا السؤال وكذلك أصحابه وأهل بيته رضي الله عنهم وكذلك اهل العلم من التابعين وتابع التابعين وكذلك الفقهاء الاربعة والائمة الستة انتهى. قلت : وهذه الامور التي ذكرها ابن عفالق المشتملة على الحقيقة والمجاز وأنواعه وغيرها من العلوم المحدثة الاصطلاحيـة التي لا تعرف في كلام

الصحابة والتابعين وتابعي التــابعين والائمة المهتدين وانما غالبها كان من جهة المعتزلة ونحوهم من المتكلمين ولو كان ذلك من العلوم الشرعيـة والامور الدينية لعلمه النبي ﷺ وعلمها أصحابه خصوصا حبر الامـة وترجمان القرآن عبد الله بن عبـاس ولذكرها أصحابه الذين أخذوا تفسير القران من اوله الى آخره عنه ولو كان معرفة ذلك من الدين لما حرم ذلك اصحاب رسول الله ﷺ وجهلوه ، ورزقه الخلوف من المتكلمين وعلموه ، وحازوا قصب السبق اليه دون فصحاء الامة وعلمائها الذينهم اسبق النـاس الى كل خير واذا كان ذلك كذلك كان هذا من العـلم المذموم لمخالفته ما كان عليه سلف الامة وائمتها وهذه الامور قد ذكرها اهل المعـاني والبيان مفرقة في كل باب من ابوابه فجمعها هـذا او من جمعها للمجاراة والامتحان وليس ذلك من طريقة اهل الاسلام والايمـان واهل العلم والاتقان قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتاب الايمان في الجواب العـام فيقال اولا تقسيم الالفاظ الدالة على معانيها الى حقيقة ومجاز أو تقسيم دلالتها او المعاني المدلول عليها ان استعمل لفظ الحقيقة والمجاز في المدلول أو في الدلالة فان هـــذا كله قد يقع في كلام المتأخرين ولـكن المشهور ان الحقيقة والمجـاز من عوارض الالفاظ وبكل حال فهذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعـد انقضاء القرون الثلاثة لم يتكلم به أحد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ولا احد من الائمة المشهورين في العـلم كمالك والثوري والاوزاعي وابي حنيفة والشافعي ، بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو كالخليل وسيبويه وابي عمرو بن العلا ونحوهم واول من عرف انه تكلم بلفظ المجاز ابوعبيدة معمر بن المثنى في كتابه ولـكن لم يعن بالمجاز ماهو من قسيم الحقيقة وانما عني بمجاز الآية مايعبر به عن الاية ولهذا من قال من الاصوليين كابي الحسن البصري وأمثاله انه يعرف الحقيقة من المجاز بطرق منها نص أهل اللغة على ذلك بأن يقولوا هذا حقيقة وهذا مجاز فمن ظن هذا فقد تكلم بلا علم فانه ظن ان اهل اللغة قالوا هذا ولم يقل ذلك احد من أهل اللغة ولا من سلف الامة وعلمائها وانما هذا اصطلاح حادث والغالب انه كان من جهة المعتزلة ونحوهم من

من المتكلمين فانه لم يوجد هذا في كلام احد من اهل الفقه والاصول والتفسير والحديث ونحوهم من السلف وهذا الشافعي هو أول من جرد الكلام في أصول الفقه ولم يقسم هذا التقسيم ولا تكلم بلفظ الحقيقة والمجاز وكذلك محمد بن الحسن له في المسائل المبنية على العربية كلام معروف في الجامع الكبير وغيره ولم يتكلم بلفظ الحقيقة والمجاز وكذلك سائر الائمة لم يوجد لفظ المجاز في كلام واحد منهم الا في كلام احمد فانه قال في كتاب الرد على الجهمية في قوله انا ونحن ونحو ذلك في القرآن هذا من مجاز اللغة يقول الرجل انا سنعطيك انا سنفعل فذكر ان هذا من مجاز اللغة وبهذا احتج على مذهبه من أصحابه من قال ان في القرآن مجازاً كالقاضي أبي يعلى وابن عقيل وأبي الخطاب وغيرهم واخرون من أصحابه منعوا أن يكون في القرآن مجاز كأبي الحسن الجزري وأبي عبد الله بن حامد وأبي فضل التميمي ابن أبي الحسن التميمي وكذلك منع أن يكون في القران مجاز محمد بن جرير وغيره من المالكية ومنع منـــه داود بن علي وابنه أبو بكر ومنذر بن سعيد البلوطي وصنف فيه مصنفا وحكى بعض الناس عن احمد روايتين وأما سائر الائمــة فلم يقل أحد منهم ولا من قدماء أصحاب احمد ان في القران مجــازاً لا مالك ولا الشافعي ولا أبو حنيفة فان تقسيم الالفاظ الى حقيقة ومجاز انما اشتهر في المائة الرابعة وظهرت أوائله في المائة الثالثة وما علمته موجوداً في المائة الثانية اللهم الا أن يكون في أواخرها والذين انكروا ان يكون احمد أو غيره نطقوا بهذا التقسيم قالوا ان معنى قول احمد من مجاز اللغة أي مما يجوز في اللغة أي يجوز في اللغة ان يقول الواحد العظيم الذي له اعوان نحن فعلنا كذا ونحو ذلك قالوا ولم يرد احمد بذلك ان اللفظ استعمل في غير ما وضع له وانكر طائفة ان يكون في اللغة مجاز لا في القران ولا في غيره كأبي اسحاق الاسفرائني ثم اطال الكلام في هذا المبحث فمن أراد الوقوف عليه فليراجعه هناك فقد بسط القول فيه فاذا عرفت هذا فلا مجاز في القران وتقسيم اللغة الى حقيقة ومجاز مبتدع محدث كما ذكره شيخ الاسلام في هذا الكتاب ولم ينطق به السلف والخلف فيه على قولين وليس النزاع فيه لفظيا

بل يقال نفس هذا التقسيم باطل لا يتميز هذا عن هذا ولهذا كان كلما يذكرونه من الفروق يبين انها فروق باطلة و كلما ذكر بعضهم فرقا ابطله الثاني فاذا تحققت هذا فالشيخ رحمه الله متبع لا مبتدع وقد تبع سلف الامة وائمتها في عدم الاعتناء بهذه الامور المبتدعة المحدثة في الاسلام فكان هذا يعد في مناقبه ولا يعيب عليه بعدم معرفتها ويعدّ ذلك من مثالب الشيخ الا جاهل مبتدع ضال كحال هؤلاء المتعنتين المتنطعين المتهوكين الحيارى المفتونين فنعوذ بالله من رين الذنوب وانتكاس القلوب .

فصل

واما قوله : ورد على ابن عبد الوهاب الامام المحقق الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف بكتاب سماه سيف الجهاد لمدعى الاجتهاد وسئل الشيخ محمد بن سليمان الكردى المدني بمسائل ابتدعها ابن عبد الوهاب فرد على ابن عبد الوهاب رداً بليغاً والجواب جعلناه خاتمة هذا الكتاب بحمد الله تعالى ثم رأيت جوابات للعلماء الاكابر من المذاهب الاربعة لا يحصون بعدُ من أهل الحرمين الشريفين والاحساء والبصرة وبغداد وحلب واليمن وبلدان الاسلام نثرا ونظما أُتي الى بمجموع رجل من آل ابن عبد الرزاق الحنابلة الذين في الزبارة والبحرين فيه رد علماء كثيرين ونحن على ظهر سفر ما امكن نقل منه وطالعته جميعه الى آخر كلامه فالجواب ان يقال : كل هؤلاء المذكورين واضعافهم واضعاف اضعافهم اذا امعنت النظر في كلامهم تحققت انهم كلهم همج رعاع اتباع كل ناعق الذين لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا الى ركن وثيق فهم على كثرتهم من الجيل الخبيث فلا يعجبك كثرة الخبيث (وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) واذا سبرت أحوالهم وعرفت أقوالهم وتأملت ما في كتبهم وجدتها كما قال الله تعالى : (والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء

حتى اذا جاءه لم يجـــده شيئاً) لانه ليس في كتبهم الا ما لفقوه من الاكاذيب ، المخترعة والاوضاع المصنوعة المفترعـة ، وذلك بـعد ان احجم اكثر هؤلاء عن مقاومـــة ما دعاهم اليه شيخ الاسلام ، من توحيد الملك العلام ، واخلاص العبادة له وحـــده لا شريك له وترك عبادة ماسواه من الاولياء والصـــالحين والاوثان والاصنام ، فلما لم يجدوا سبيلا الى رد مادعاهم اليه من التوحيد واستنكفوا واستكبروا عن متابعته والانقياد لما امرهم به وبينه لهم عدلوا الى هذه الاكاذيب والاوهام فلم يبال رحمه الله بجميع من خالفه من الانام ، ومارموه به من الفوادح العظام ، وما فـوّقوا له من تلك السهام ، فلم يكن لهم اليه وصول ، وصار كلٌ منهم عنه مغلول ــ وحد لسانه مفلول . ثم ذكر هذا الملحد حكاية عن على بن مبارك الاحسائي وتلميذه الذي يزعم انه من اعوان المهدي وانه بعدحضوره مع علماء أهل مكة لمناظرة من وصل اليهم من تلاميذة الشيخ ادحض جميع حججهم لما احجم علماء مكة عن الجواب والمناظرة وأنه بهذا صار من اعوان المهدي وهذه الحكاية لا أصل لها فان هذا الرجل الذى يزعم انه من تلامذة على بن مبارك وانه من اعوان المهدي لم يسمّه ولا ذكر شيئاً من حججه التي رد بها على تلامذة الشيخ حتي ادحض حججهم حتى يتبين صدقه في ذلك من كذبه ولوكان لهذه الحكاية أصل لذكر ماجرى في المناظرة من الحجج وما أجاب به هذا الرجل الذي لا يعرف بل هو مجهول العين والحال فتبين انها من الكذب المحال ومن تلفيقات أهل الغي والضلال يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

فصل

ثم قال الملحد بعد حطه على مراجعة ما ذكره امام ضلالتهم عبد الله بن داود الحنبلي مما زعم انه من هفوات الشيخ محمد بن عبد الوهاب قال فنسرد لك

الآن هنا بعضا منها لتنظر اولا هفواته عن حقيقة ويقين وخبرة فمن ذلك انه يضمر دعوى النبوة وتظهر عليه قرائنها بلسان الحال لا بلسان المقال لئلا تنفر عنه الناس ، والجواب : ان يقال لهذا الملحد المفتري هذا من ابطل الباطل واحل المحال وبطلانه من وجوه ، الوجه الاول : انه زعم انه يضمر دعوى النبوة وهذا امر قلبي لا يطلع عليه الا الله فكيف ساغ له ان يدعي علم ما في القلوب مما لا يطلع عليه الا علام الغيوب ايدعي علم الغيب او انه يوحي اليه ومن ادّعى ذلك فهو كافر ثم ما هذه القرائن التي يزعم هذا الدجال المفترى انها تظهر عليه بلسان الحال فهلاذكر قرينة واحدة من ذلك فانا لا نعلم الا دعوة الخلق الى اخلاص العبادة لله وحده وان يكون الدين كله لله ثم كيف ساغ له دعوى ان الشيخ يضمر في قلبه دعوى النبوة وهي كذب ظاهر وينفيه بدعواه الباطلة لما قال الشيخ في المشركين عباد القبور انهم يعظمون مشاهد الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومشاهد الاوليـــاء تعظيما بليغا حتى يطلبون منهم ما لا يقدر عليه الا الله تبارك وتعالى وهذا امر معلوم مشهور عنهم واعتقادهم في الانبياء والاولياء لا ينكره الا مكابر في الحسيات مباهت في الضروريات فقول هذا الملحد فمن اين اطلع عليه واعتقد فيهم على سبيل القطع حتى بنى على تكفيرهم الى اخره . فيقال : اطلع عليه بافعالهم الظاهرة التي لا تصدر الا عن اعتقاد القلب فيمن يدعونه ويستغيثون به ويلجئون اليه في مهماتهم وملماتهم حالا ومقالا بخلاف ما زعمتَ انتَ واصحابك المفترون من ان الشيخ يضمر دعوى النبوة وهو امر قلبي لا يطلع عليه الا الله مع انها دعوى كاذبة خاطئة وبنيتم على ذلك تكفيره وتكفير من تبعه على دين الله ورسوله واستحلال دمائهم واموالهم من غير ذكر قرينة حال أو مقال الا بدعوى مجردة عن الدليل . الوجه الثاني : ان دعواهم هذه مما يعلم كذبها بالاضطرار وأن ذلك تهور في القول منهم عند ذوي العقول والابصار واما تعظيمهم لمشاهد الانبياء والاولياء وطلبهم منهم مالا يقدر عليه الا الله فمما لا يخفى على احاد الناس فانه من المعلوم

انهم مادعوهم والتجئوا اليهم واستغاثوا بهم في دفع الكربات وازالة الشدات وطلبوا منهم قضاء الحاجات واغاثة اللهفات الا لاعتقادهم انهم يشفعون لهم عند الله ويقربونهم اليه كما هو حال المشركين الاولين حذو القذة بالقذة ولا ينفعهم اعتقادهم ان الفاعل لذلك في الحقيقة هو الله لان المشركين الاولين لا يعتقدون أن آلهتهم تخلق شيئاً . بل يعتقدون ان الله هو الخالق الموجد النافع الضار وانهم انما ارادوا منهم الجـــاه والشفاعة كما ذكر الله ذلك عنهم في كتابه في غيرموضع وسيأتي بيان ذلك . الوجـــه الثالث : ان الشيخ قد ذكر في كتاب التوحيد ما رواه البرقاني في صحيحه قوله في الحديث وانما اخاف على أمتي الائمة المضلين واذا وقع عليهم السيف لم يرفع الى يوم القيامة ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى تعبد فئام من امتي الاوثان وانه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم انه نبي وانا خاتم النبيين لانبي بعدي الى آخر الحديث وقال في المسائل المستنبطة من هذا الباب الثامنة العجب العجاب خروج من يدعي النبوة مثل المختـــار مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه انه من هذه الامة وان الرسول حق وان القرآن حق وفيه ان محمدا خاتم النبيين ومع هذا يصدق في هذا كله مع التضـاد الواضح وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة وتبعه فئام فكيف يضمر مع هذا دعوى النبوة وكيف يزعم هذا ويرمي به الشيخ رجل يؤمن بالله واليوم الآخر وبهذا تعلم ان هذا من تزوير من شرق بهذا الدين من اعداء الله ورسوله تنفيرا للناس عن الاذعان لاخلاص التوحيد لله بالعبادة ويوهمون العامة ان هذه حال الشيخ فلا يقبلوا مادعاهم اليه من هذا الدين الذي مَنَّ الله به في آخر هذا الزمان الذى فشا فيه الجهل وتلاطم فيه موج الشرك والالحاد ، وكثر فيه البغي والفساد ، وانتشر ذلك في البـلاد والعباد ، وقوله : ويشهد لذلك ما ذكره العلماء من ان ابن عبد الوهاب كان في أول امره مولعا بمطالعة اخبار من ادّعى النبوة كاذبا كمسيلمة وسجاح والاسود العنسي وطليحة الاسدي واضرابهم فالجواب : ان يقال وهذا ايضاً من الكذب والفجور ، وقول الزور ، بل كان رحمه الله

تعالى مولعا بكتب الحديث والتفسير كما قال رحمه الله في بعض اجوبته :
ثم إنا نستعين على فهم كتاب الله بالتفاسير المتداولة المعتبرة ومن اجلها لدينا
تفسير محمد بن جرير ومختصره لابن كثير الشافعي وكذلك البيضاوي والبغوي
والخازن والجلالين وغيرهم . وعلى فهم الحديث بشروحه كالقسطلاني والعسقلاني
على البخاري والنووي على مسلم والمناوي على الجامع الصغير ونحوهم على كتب
الحديث خصوصا الامهات الست وشروحها ونعتني بسائر الكتب في سائر
الفنون أصولا وفروعا ، وقواعد وسِيَراً وصرفاً ونحواً وجميع علم الامة
ولا نأمر بإتلاف شيء من المؤلفات اصلا . فتبين بهذا لكل منصف أراد الحق
انه على خلاف ما يفتريه اعداء الدين مما لفقوه من هذه المفتريات ، التي لا يصغي
إليها إلاّ القلوب المقفلات ، بل كان المعروف من حاله عند كل عاقل خبر الناس
وعرف احوالهم ، وسمع شيئاً من اخبارهم ، وتواريخهم ان اهل نجد وغيرهم
ممن تبع الشيخ واستجاب لدعوته من سكان جزيرة العرب كانوا قبل دعوة
الشيخ على غاية من الجهالة والضلالة ، والفقر والعالة ، لا يستريب في ذلك عاقل
ولا يجادل فيه عارف كانوا من امر دينهم في جاهلية يدعون الصالحين ويعتقدون
في الاشجار والاحجار والنيران يطوفون بقبور الانبياء ويرجون الخير والنصر
من جهتها وفيهم من كفر الاتحادية والحلولية وجهالة الصوفية مايرون انه من
شعب الايمان والطريقة المحمدية وفيهم من إضاعة الصلوات ومنع الزكاة وشرب
المسكرات ما هو معروف مشهور فمحى الله بدعوته شعار الشرك ومشاهده
وهدم به بيوت الكفر ومعابده وكبت الطواغيت والملحدين وألزم من ظهر
عليه من البادية وسكان القرى بما جاء به محمد ﷺ من التوحيد والهدى وكفر
من انكر البعث واستراب فيه من اهل الجهالة والجفا وامر بإقامة الصلوات
وإيتاء الزكاة وترك المنكرات والمسكرات وعن الابتداع في الدين وامر
بمتابعة السلف الماضين في الاصول والفروع من مسائل الدين حتى ظهر دين الله
واستعلن واستبان بدعوته منهاج الشريعة والسنن وقام قائم الامر بالمعروف

والنهي عن المنكر وحددت الحــدود الشرعية ، وعزرت التعازير الدينية ، وانتصب علم الجهاد ، وقاتل لإعلاء كلمة الله اهل الشرك والفساد ، حتى سارت دعوته وثبت نصحه لله ولكتابه ولرسوله ولعامة المسلمين وأئمتهم وجمع الله به القلوب بعد شتاتها وتألفت بعد عداوتها وصاروا بنعمة الله إخواناً فأعطاهم الله بذلك من النصر والعز والظهور ، مالا يعرف مثله لسكان تلك الفيافي والصخور ، وفتح عليهم الاحساء والقطيف وقهروا سائر العرب من عمان إلى عقبة مصر ومن اليمن إلى العراق والشام ودانت لهم عربها واعطوا الزكاة . فهذا وأمثاله من إقامة دين الله وشرعه هو المعروف المشهور من حاله ومقاله لا كما يزعمه اعداء الله واعداء رسله وشرعه ودينه الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ويصدون عن سبيل الله من آمن به ويبغونها عوجا فبعداً للقوم الظالمين .

وأما قوله : وان اباه عبد الوهاب كان رجلا صالحاً ، وانه تفرس في ولده الشقاوة من حين صباه وكان يبغضه بغضاً شديداً ، ويقول : سيظهر منه فساد عظيم . فالجواب ان يقال : وهذا ايضاً من الكذب والبهتان ، والزور والعدوان . قال الشيخ ابو بكر حسين بن غنام رحمه الله تعالى في روضة الافكار بعد ان ذكر كلاماً في الثناء على الشيخ وكان والده قد توسم فيه الخير ويحدّث بذلك ويبديه ، ويؤمل ذلك ويرجوه ، كما حدّث به سليمان اخوه . قال : كان عبد الوهاب ابوه ، يتعجب من فهمه وإدراكه ، قبل بلوغه وإدراكه ، ومناهزته الاحتلام وإفراكه ، ويقول ايضاً : لقد استفدت من ولدي فوائد من الاحكام ، أو قريباً من هذا الكلام ، وقد كتب والده إلى بعض إخوانه ، رسالة نوّه فيها بشأنه يثني فيها عليه ، وان له فهما جيداً أو لديه ، ولو يلازم الدرس سنة على الولاية ، لظهر في الحفظ والاتقان آية ، وقد تحققت انه بلغ الاحتلام ، قبل اكمال اثنتي عشرة سنة على الاتمام ، ورأيته أهلا للصلاة بالجماعة والائتمام ، فقدمته لمعرفته بالاحكام ، وزوجته بعد البلوغ في ذلك العام . وذكر كلاما طويلا في الثناء عليه ليس هذا محل ذكره .

فصل

ثم قال الملحد : ومن ذلك أنه كان يتنقص النبي ﷺ كثيراً بعبارات مختلفة منها قوله فيه انه طارش بمعنى ان غاية امره انه كالطارش الذي يرسل إلى أناس في امر فيبلغهم اياه ثم ينصرف ومنها قوله اني نظرت في قصة الحديبية فوجدت فيها كذا وكذا كذبة الى غير ذلك مما يشبه هذا على أن اتباعه يفعلون ذلك أيضاً ويعلم بذلك ويظهر عليه الرضا به حتى كان بعضهم يقول عصاي خير من محمد لأنها ينتفع بها بقتل الحية ونحوها ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع أصلا وإنما هو طارش ومضى . وبهذا يكفر عند المذاهب الاربعة والجواب أن يقال : الله اكبر على هؤلاء الملاحدة الذين يصدون عن سبيل الله من آمن ويبغونها عوجا فان هذه الاكاذيب مما لا يمتري كل عاقل انها كذب وقد أجاب عنها الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد رحمه الله في الرسالة التي صنفها بعد دخول مكة المشرفة واجتماعه فيها بعلماء الحرمين قال جوابنا عن هذا كله ان نقول سبحانك هذا بهتان عظيم فمن روى عنا شيئاً من ذلك او نسبه الينا فقد كذب علينا وافترى ومن شاهد حالنا ورآى مجلسنا وتحقق ما عندنا علم قطعاً ان جميع ذلك وضعه علينا جماهير اعداء الدين واخوان الشياطين تنفيراً للناس عن الاذعان لاخلاص التوحيد لله بالعبادة إلى آخر كلامه . وأما قوله : ومن ذلك انه كان يكره الصلاة على النبي ﷺ ويتأذى من سماعها وينهى عن الجهر بها على المنابر ويؤذي من يفعله ومنع من الاتيان بها على المنابر ليلة الجمعة وكذلك احرق دلائل الخيرات وغير من كتب الصلاة على النبي ﷺ ويستتر بدعوى ان ذلك بدعة فالجواب ان يقال : وهذا ايضاً من نمط ماقبله من الكذب والبهتان والزور والعدوان قال الشيخ حسين بن غنام في روضة الافكار ، واما قوله وأبطل الصلاة على رسول الله ﷺ في يوم الجمعة وليلتها فهذا الكلام مع بشاعة لفظه فيه ابهام وإيهام وتشنيع بظاهره عند العوام وتنفير لهم

عن توحيد الملك العلام فان الشيخ رحمه الله لم ينه عن ذلك ولم يبطله إلا الفعل الذي يفعل في كثير من البلدان وقد ابطله جماعة من الإعيان وانكره جمع من نقاد هذا الشأن وقالوا لا يتقرب به إلى الله تعالى ولا يدان لانه بدعة محضة اظهرها في مقام العبادة الشيطان واشرب حبها من هو في الحماقة والتعصب كالولدان فخير الهدي هدى الرسول وما ورد عن خلفائه مقبول وما حدث بعد القرن السابع وكان بعده متواليا شائع حتى صيروه واتخذوه دينا ومنهجا جاء به الشارع وكان للنفوس إليه أعظم داع ووازع فلن يسوغ لذوي العقول ، من حملة الشرع وممارسي المنقول ، ان يسكتوا عنه فلا ينتهروا صاحبه ولا يزجروه ، ولا يزيلوه فوراً ويغيروه ، ويعترضوه وينكروه ، فضلاً عن كونهم يرتضوا فعله ، ويقروا اربابه واهله ، وليت من دان الله تعالى به عرف دين من أصله ووضعه ، حتى يعترض على من انكره ومنعه ، فقد ذكر السيوطي في كتاب الرسائل ، إلى معرفة الاوائل ، ان اول من احـــدث التذكير يوم الجمعة ليتهيأ الناس لصلاتها بعد السبعمائة في زمن الناصر ابن دقلاوون ولا شك ان ما كان من الدين إذ ذاك متخذا مجعول ، ومؤسساً شرعه منحول ، ليس مأخوذاً به ولا معمول ، اما يخاف المعترض شوم ذنبه ، وسخطه لمولاه وربه في توسله وتوصله إليه وقربه ، بعمل لم يشرعه سبحانه ولم يأذن به ، فويل لمن يحرف الكلم عن مواضعه ، وينتحل ماليس واضعه ، ويحسن ذلك في مواقعه ، ويضلل من قام حسبة لله في تهيئة موانعه ما جوا به إذ قام بين يدي مولاه فيما اسداه من الدين وابداه وزاد على ماجاء به الرسول وأتاه ، اظن ان دين نبيه ناقص فكمله ، ومحياه قبيح فحسنه وجمله ، نعوذ بالله مما تقوّله الغلاة ونسأله ان يجنبنا طريق الغواة ولا حول ولا قوة إلا بالله وليعلم القاريء : لهذا الكتاب ، والواقف على هذا الخطاب ، ان خلاصة البيان عن ذلك في الجواب ، ان الذي انكره من غير شك ولا ارتياب ، هو ما يفعل في غالب الامصار ، ويعمل في كثير من الاقطار ، لا سيما

الحرمين كما صح بالمشاهدة والاخبار وذلك ان يصعد ثلاثة او اكثر على رؤس المنار ، ويقرؤن آيات من القرآن ويصلون على النبي بارفع صوت واعلان ويأتون بقبيح الالحان ، واصوات تحاكي غناء القيان ، ويمططون آيات الله الكريمة ، ويغيرون حرمة اسمائه العظيمة ، وينقلونها من معناها إلى معني ، وكفى بذلك اثما ووهنا ، وتغييرا لما اراده الله بأسمائه وصفاته الحسني لقد خسر والله من ضل سعيه وهو يحسب انه يحسن صنعا انتهى وقال الشيخ : احمد بن مشرف الاحسائي في ابيات له قال فيها :

فسل فاعل التذكير عند اذانه	أهذا هدى ام انت بالدين تلعب
وهل سن هذا المصطفى في زمانه	او الخلفا اوبعض من كان يصحب
وهل سنه من كان للصحب تابعا	اذا قام للتأذين يوماً يثوب
وهل قاله النعمان او قال مالك	به اوراه الشافعي واشهب
وهل قاله سفيان او كان احمد	إليه إذا نادى المؤذن يذهب
اقيموا لنا فيه الدليل فإننا	نميل إلى الانصاف والحق نطلب
فخير الامور السالفات على الهدى	وشر الامور المحدثات فجنبوا
وما العلم إلا من كتاب وسنة	وغيرهما جهل صريح مركب
فخذ بهما والعلم فاطلبه منهما	ودع عنك جهالا عن الدين اضربوا
خفافيش اعشاها النهار بضوئه	فوافقها من ظلمة الليل غيهب
فظلت تحاكي الطير في ظلمة الدجى	وان لاح ضوء الصبح للعش تهرب

واما قوله : ولذلك احرق دلائل الخيرات وغيره من كتب الصلاة على النبي ﷺ إلى آخره فأقول : قد اجاب عن ذلك الشيخ بقوله واما دلائل الخيرات فلذلك سبب وذلك اني اشرت على من قبل نصيحتى من اخواني ان لا يصير في قلبه اجل من كتاب الله ويظن ان القراءة فيه انفع من قراءة القرآن واما إحراقه والنهي عن الصلاة على النبي ﷺ بأي لفظ كان فهذا من البهتان .

فصل

واما قوله : ومن ذلك انه منع من مطالعة كتب الفقة والحـــديث والتفسير واحرق كثيراً منها فالجواب : انا قد ذكرنا فيما تقدم انه قال رحمه الله : ثم انا نستعين على فهم كتاب الله بالتفاسير المتداولة المعتبرة ومن اجلها لدينـا تفسير محمد بن جرير ومختصره لابن كثير الشافعي وكذلك البيضاوي والبغوي والخازن والجلالين وغيرهم وعلى فهم الحديث بشروحه كالقسطلاني والعسقلاني على البخاري والنووي على مسلم والمناوي على الجامع الصغير ونحوهم على كتب الحديث خصوصاً الامهات الست وشروحها ونعتني بسائر الكتب في سائر الفنون اصولا وفروعاً وقواعد وسيراً وصرفاً ونحـــواً وجميع علم الامة ولا نأمر باتلاف شيء من المؤلفـــات وكيف يمنع من مطالعة كتب الفقة وقد صنف في ذلك مصنفات واختصر الشرح الكبير والانصاف وصنف في الحديث ككتاب التوحيد واصول الايمان وكتاب مجموع في الحديث وله مصنفات ورسائل عديدة مفيدة وبهذا تعلم انهم انما يتبعون اهوائهم وما يضعه الواضعون من أعداء الدين من الاكاذيب فالله المستعان واما قول الملحد : ومن ذلك اذنه لكل من تبعه ان يفسر القرآن بحسب فهمه حتى همج الهمج إلى آخره فأقول : وهذا ايضاً من نمط ماقبله في الكذب فإن الشيخ قال في الرسالة التي اختصرت لاهل مكـة ونحن ايضاً في الفروع على مذهب احمد بن حنبل رحمه الله ولا ننكر على من قلد احد الاربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة والزيدية والامامية ونحوهم فلا نقرهم على شيء من مذاهبهم الفاسدة بل نجبرهم على تقليد احد الائمة الاربعة ولا نستحق بمرتبة الاجتهاد المطلق ولا احد لدينا يدعيها الا اننا في بعض المسائل اذا صح لنا نص جلي من كتاب او سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الأئمة الأربعة أخذنا به وتركنا المذهب كارث الجد والأخوة

فانا نقدم الجدوان خالف مذهب الحنابله ولا نفتش على أحد في مذهب ولا نعترض إلا اذا اطلعنا على نص جلي كذلك مخالف لمذهب بعض الأئمة وكانت المسألة يحصل به شعار ظاهر كامام الصلاة فنأمر الحنفي والمالكي بالمحافظة على نحو الطمأنينة في الاعتدال والجلوس بين السجدتين لوضوح ذلك بخلاف جهر الامام الشافعي بالبسملة وشتان بين المسألتين فاذا قوي الدليل أمرناهم للنص وان خالف المذهب وذلك إنما يكون نادراً ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض فلا مناقضة لعدم دعوى الاجتهاد المطلق وقد سبق جمع من أئمة المذاهب الأربعة إلى اختيارات لهم في بعض المسائل مخالفين للمذهب ملتزمين تقليد صاحبه انتهى وتقدم آنفا انه يستعين على فهم كتاب الله بالتفاسير المعتبرة فاذا تحققت هذا وعلمته بطلت دعوى هؤلاء المفترين في قولهم واذن لكل من تبعه أن يفسر القرآن بحسب فهمه فان هذه الدعوى من الاكاذيب الذي افتراها هؤلاء الملحدون ليصدوا العوام عن الدخول في دين الله ورسوله وحسبنا الله ونعم الوكيل وقوله : ومن ذلك أنه يدعى باطنا أنه أتى بدين جديد كما يظهر من قرائن أحواله وأقواله : ولذلك لم يقبل من دين نبينا محمد ﷺ الا القرآن فانه قبله ظاهرا فقط لئلا يعلم الناس حقيقة أمره فينكشفوا عنه بدليل انه هو واتباعه انما يؤلون بحسب مايوافق هواهم لا بحسب مافسره النبي ﷺ وأصحابه والسلف الصالح وأئمة التفسير فانه لا يقول بذلك كما انه لا يقول بما عدا القرآن من أحاديث النبي ﷺ وأقاويل الصحابة رضى الله عنهم وما استنبطه العلماء من القرآن والحديث ولا يأخذ بالاجماع ولا القياس وغير ذلك مما اعتبروه إلى آخر ماهذى به والجواب : أن نقول وهذا أيضاً من جنس ما اسلفه من الاكاذيب الموضوعة والخرافات المصنوعة ، فانه كان رحمه الله على الدين العتيق الذي كان عليه السلف الصالح والصدر الاول من الدعوة إلى دين الله الذي بعث الله به رسوله محمداً ﷺ كما قال رحمه الله في رسالته إلى عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الاحسائي قال :

وأما ما ذكرتم عني فإني لم آته بجهالة بل أقـــول ولله الحمد وله المنه وبه القوة انني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ولست ولله الحمد أدعوا إلى مذهب صوفي أو فقيه أو متكلم أو امام من الأئمة الذين أعظمهم مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير او غيرهم بل ادعوا إلى الله وحده لا شريك له وادعو إلى سنة رسول الله ﷺ التى اوصى بها اول امته واخرهم وارجو اني لا ارد الحق اذا اتاني بل اشهد الله وملائكته وجميع خلقه ان اتاني منكم كلمة من الحق لاقبلنها على الرأس والعين ولاضربن الجدار بكل ما خالفها من اقوال أئمتى حاشا رسول ﷺ فإنه لا يقول إلا الحق فهذا نص كلامه رحمه الله كما ترى لم يقل فيه ولا في غيره من كلامه إنما أدعوكم إليه دين جديد بل كان رحمه الله يجدد ما اندرس من معالم الدين العتيق ويوطد أساس الملة المحمدية التي انطمست اعلامها واقوت رسومها فهذا الذي يظهر من قرائن احواله واقواله بل هذا صريح مايدعو اليه من الدين خلاف مايدعيه هؤلاء الضلال ولله در الامير محمد ابن اسماعيل الصنعاني رحمه الله حيث قال في ابيات له امتدح فيها الشيخ .

قفى واسالي عن عالم حل سوحها	به يهتدي من ضل عن منهج الرشد
محمـد الهـادي لسنة احمـــد	فياحب ذا الهادي ويا حب ذا المهدي
لقد انـكرت كل الطوائف قوله	بلا صدر في الحق منهم ولا وردي
وما كل قـــول بالقبول مقابل	ولا كل قول واجب الرد والطرد
سوي ما اتي عن ربنـــا ورسوله	فذلك قول جـل ياذا عن الرد
وأما اقاويل الرجال فإنهـــا	تدور على قدر الادلة في النقد
وقـد جاءت الاخبار عنه بأنه	يعيد لنا الشرع الشريف بمـا يبدي
وينشر جهرا ما طوى كل جاهل	ومبتدع منه فـــوافق ماعندي
ويعمر اركان الشريعة هادما	مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد
اعادوا بها معنى ســــواع ومثله	يغوث وود بئس ذلك من ود
وقـد هتفوا عند الشدائد باسمها	كما يهتف المضطر بالصمد الفرد

وكم عقروا في سوحها من عقيرة اهلت لغير الله جهراً على عمد
وكم طائف حول القبور مقبل ومستلم الاركان منهن باليد

وقال الشيخ الامام عالم الاحساء ابو بكر حسين بن غنام رحمه الله في ابيات له قال فيها .

لقد رفع المولى به رتبة الهدي بوقت به يعلى الضلال ويرفع
سقاه نمير الفهم مولاه فارتوى وعام بتيار المعارف يقطع
فاحيا به التوحيد بعد اندراسه واوهى به من مطلع الشرك مهيع
سما ذروة المجد التي ما ارتقى لها سواه ولا حاذى فناها سميدع
وشمر في منهاج سنة احمد يشيد ويحي ما تعفي ويرقع
يناظر بالآيات والسنة التي امرنا اليها في التنازع نرجع
فاضحت به السمحاء يبسم ثغرها وامسي محياها يضيء ويلمع
وعاد به نهج الغواية طامساً وقد كان مسلوكا به الناس تربع
وجرت به نجد ذيول افتخارها وحق لها بالا لمعي ترفع
فآثاره فيها سوام سوافر وانواره فيها تضيء وتسطع

وبهذا يظهر لكل ذي عقل سليم ودين مستقيم ، انه لم يكن يدعو إلى دين جديد بل الى دين قويم ، ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين كفعل هؤلاء الغلاة المارقين وقوله : ولذلك لم يقبل من دين النبي ﷺ إلا القرآن فانه قبله ظاهراً فقط إلى آخره فأقول وهذا ايضاً من الكذب وقد تقدم الجواب عن هذا وان الشيخ رحمه الله كان يعتني بالكتب المصنفة في التفسير كتفسير محمد بن جرير الطبري وتفسير ابن كثير والبغوي والبيضاوي وغيرهما من التفاسير ومن كتب الحديث كالبخاري ومسلم وبما صنف عليهما من الشروح كفتح الباري لابن حجر العسقلاني والقسطلاني والنووي على مسلم وكذلك الامهات الست وشروحها وسائر كتب الحديث والفقه مما هو معلوم مشهور لاينكره إلا مكابر معاند وما كان رحمه الله يفسر القرآن هو واتباعه ويتأولونه

بحسب ما يوافق أهواءهم كما يزعمه هؤلاء المفترون بل كان على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه فيأخذ بما صح عن رسول الله ﷺ وبما صح عن أصحابه من تفسير القرآن ومعاني الاحاديث وبما قاله أئمة التفسير وشراح الحديث مما يوافق الكتاب والسنة وبأقوال الأئمة من أهل الحديث والفقه ويأخذ بالاجماع ويعتقدون أن الامة لاتجمع على ضلالة ويأخذ بالقياس الصحيح الموافق للنص الصريح . وأما قوله : ويؤيد ذلك أنه كان يكتب إلى عماله في بلاده الذين هم من الهمج أيضاً اجتهدوا بحسب نظركم إلى آخر ما قال . فهذا من الكذب والزور والبهتان الذي لا يمتري فيه عاقل ولم يكتب الشيخ إلى عماله قط بهذا الكلام ، الذي لا ينميه ويحكيه إلا أشباه الانعام ، من هؤلاء الجهلة الطغام ، فيشبهون بذلك على العوام ، ومن لا معرفة لديه بمدارك الاحكام ، فبعداً للقوم الظالمين .

فصل

قال الملحد ويؤيده أيضاً مازعمه الشقي المطرود عبد العزيز بن سعود القائم بعده بدينه بمجرد التقليد من انه خاطب برسالة لأهل المشرق والمغرب يدعوهم الى التوحيد وانهم عنده مشركون شركا أكبر والجواب : ان نقول نعم قد كتب الامام عبد العزيز بن محمد بن سعود رسالة الى العلماء والقضاة في الحرمين والشام ومصر والعراق وسائر علماء المغرب والمشرق يخبرهم بحقيقة ما كان عليه من توحيد الله واخلاص العبادة له بجميع أنواعها لله تعالى والدعوة اليه وجهاد من ترك دين الله ونبذه وراء ظهره واشرك بالله غيره في عبادته وأنه عند ذلك غضب المشركون واشمأزت قلوبهم وزعموا انه بدعوته الخلق الى اخلاص العبادة لله وحده قد تنقص أهل المقامات والرتب فكتب هذه الرسالة الى العلماء يخبرهم بحقيقه مادعا اليه من توحيد الله وانه لما اعلمهم بتوحيد الله وفهّمهم اياه قام عليه أهل الاهوا فخرّجوه وبدّعوه وجعلوا

اليهود والنصارى اخف شرا منه ومن اتباعه وليس في هذه الرسالة ان اهل المشرق والمغرب كلهم مشركون عنده وعند اتباعه فان هذا من الكذب كما يزعمه هذا الملحد المفتري وهذا نص الرسالة ليتبين لكل منصف حقيقة ما قاموا به ودعوا اليه من دين الله ويتبين له شدة كلب عداوة هؤلاء الملاحدة الغلاة الذين يصدون عن سبيل الله من آمن به ويبغونها عوجا ويفسدون في الارض والله لايحب المفسدين قال رحمه الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولاعدوان الا على الظالمين ، وصلى الله عل خاتم الانبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه اجمعين ، من عبدالعزيز بن محمد بن سعود الى من يراه من العلماء والقضاة في الحرمين والشام ومصر والعراق وسائر علماء المغرب والمشرق سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد : فان الله عز وجل شأنه وتعالى سلطانه لم يخلق الخلق عبثا ولا تركهم سدى وانما خلقهم لعبادته فامرهم بطاعته وحذرهم مخالفته واخبرهم تعالى ان الجزاء واقع لامحاله أما في ناره بعدله أو في جنته بفضله ورحمته قد اخبر عز وجل بذلك في كل كتاب انزله وعلى لسان كل رسول ارسله كما نطق بذلك الآيات القرآنية واخبرتنا به الاحاديث النبوية قال تعالى : وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون وقال تعالى : واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وقال سبحانه وقضى ربك ان لاتعبدوا إلا اياه فالعبادة التي هي اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الاقوال والافعال مختصة بجلاله وعظمته فهي الغاية المحبوبة له تعالى شأنه والمرضية له وبها ارسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه اعبدوا الله مالكم من اله غيره وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم من الرسل كل قال لقومه اعبدوا الله ما لكم من إله غيره وذلك ان الإله يطلق على كل معبود بحق وباطل والاله الحق هو الله قال فاعلم انه لا إله إلا الله وقال تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الانوحي اليه انه لا إله إلا أنا فاعبدون .

فصل

فنحن لما علمنا وفهمنا من كلام الله وسنة رسوله وكلام الائمة الاعلام رضي الله عنهم كابي حنيفه ومالك والشافعي واحمد وغيرهم من ائمة السلف ان لا إله إلا الله معناها يخصّها وهي ترك كل معبود مع الله واخــــلاص الالهية له تعالى وحده وان العبادة وافعالهم مما امرهم به في كتابه وعلى لسان رسوله واذا جُعلت لغيره صار ذلك الغير الهاً مع الله وان لم يعتقد الفاعل ذلك فالمشرك مشرك شاء أم أبي وليست خاصة بالايمان بافعاله تعالى وتقدس كخلقه السموات والارض والليل والنهار ورزقه العباد وتدبير امورهم لان هذا يسمى توحيد الربوبية الذي اقر به الكفار الأولون كما في سورة يونس والزمر والزخرف وغيرها وان معناها لغة الذل والخضوع وشرعا ما امر به من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي من افعال العباد واقوالها المختصة بجـلال الله وعظمته كدعاء الله تعالى بمالا يقـدر عليه إلا هو من جلب نفع أو دفع ضر او رجائه فيه والتوكل عليه وذبح النسك والنذر ولجلب نفع أو دفع ضر لا يقدر عليه إلا الله والانابة والخضوع فكل ذلك مختص بجلال الله كالسجود والتسبيح والتهليل فكل ذلك مما قدمناه هو معنى قول لا إله إلا الله ولا ينفع أحد التوحيدين عن الآخر بل صحة احدهما مرتبط بوجود الآخر فلما فهمنا ذلك وعلمنا به قام علينا أهل الأهواء فخرّجونا وبدّعوناوجعلوا اليهود والنصارى اخف منا شرا ومن اتباعنا ولم ننازع العدو في سائر المعاصي بانواعها ولاالمسائل الاجتهادية فلم يجر اختلاف بيننا وبينهم في ذلك بل في العبادة بانواعها والشرك بانواعه

فصل

فنحن نقول ليس للخلق من دون الله من ولي ولا نصير وسائر الشفعاء محمد ﷺ سيدهم وأفضلهم فمن دونه لا يشفعون لاحد إلا باذنه من ذا الذي يشفع

عنده الا بإذنه افحسب الذين كفروا ان يتخذوا من دوني أولياء ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون واذا كان كذلك فحقيقة الشفاعة كلها لله فلا تسأل في هذه الدار الا من الله سبحانه وتعالى وان يشفع فيه نبيه ﷺ فجميع الأنبياء والأولياء لا يجعلون وسائل ولا وسائط بين الله وبين الخلق في جلب الخير او دفع الشر ولا يجعل لهم من حقه شيء لأنه حقه تعالى وتقدس غير جنس حقهم فان حقه عبادته بانواعها بما شرع في كتابه وعلى لسان رسوله وحق انبيائه عليهم السلام والايمان بهم وبما جاؤا به وموالاتهم وتوقيرهم واتباع النور الذي انزل معهم ومحبتهم على النفس والمال والبنين والناس اجمعين وعلامة الصدق في ذلك اتباع هديهم والايمان بما جاؤا به من عند ربهم قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله والايمان بمعجزاتهم وانهم بلغوا رسالات ربهم وادوا الامانة ونصحوا الامة وان محمداً ﷺ خاتمهم وأفضلهم واثبات شفاعتهم التي اثبت الله في كتابه وهي من بعد أذنه لمن رضى الله عنه من أهل التوحيد وأما المقام المحمود الذي ذكر الله في كتابه وعظم شأنه فهو لنبينا محمد ﷺ وكذلك حق أوليائه محبتهم والترضي عنهم والايمان بكراماتهم لا دعائهم ليجلبوا لمن دعاهم خيراً لا يقدر على جلبه إلا الله تعالى أو ليدفعوا عنهم سوء لا يقدر على دفعه إلا هو عز وجل لأن ذلك عبادة مختصة بجلاله تعالى وتقدس هذا إذا تحققت الولاية أو رجيت لشخص معين لظهور اتباع سنة وعمل بتقوى في جميع أحواله وإلا فقد صار الولي في هذا الزمان من أطال سبحته ووسع كمه وأسبل ازاره ومدّ يده للتقبيل ولبس شكلا مخصوصاً وجمع الطبول والبيارق وأكل أموال عباد الله ظلماً وادعاء ، ورغب عن سنة المصطفى وأحكام شرعه .

فصل

فنحن إنما ندعوا إلى العمل بالقرآن العظيم والذكر الحكيم الذي فيه كفاية لمن اعتبر وتدبر وبعين بصيرته نظر ففكر فإنه حجة الله وعهده ووعده ووعيده

وأمانه وقدره ومن اتبعه عاملا بما فيه جد جده وعلى مجده وأنار رشده وبان سعده والتوحيد ليس هو إلا محل الاجتهاد فلا تقليد فيــــه ولا عناد ولا نكفّر إلا من انكر أمرنا هذا ونهينا فلم يحكم بمــا أنزل الله من التوحيد بل حكم بضده الذي هو الشرك الأكبر الذي لا يغفر كما سنذكر أنواعه فجعله دينا وسماه الوسيلة عناداً و بغياً ووالى أهله وظاهرهم علينا أو لم يقم اركان الدين ممتنعاً إن دعوناه وامروهم ان يبدؤنا بقتالنا ليرجعونا عن دين الله الذي وصفنا إلى ما هم فيه وعليه من الشرك بالله والعمل بسائر ما لا يرضى رب العباد ويأبى الله إلا ان يتم نوره ولو كره المشركون وما حجتهم علينا إلا ان المدعو يكون شفيعاً ووسيلة ونحن نقول هؤلاء الداعون الهاتفون بذكره المعتقدون في الاحياء الغائبين المدعوون والاموات يطلبون كشف شدتهم وتفريج كربتهم وإبراء مريضهم ومعافات سقيمهم وتكثير رزقهم وإيجاده من العدم ونصرهم على عدوهم براً وبحراً لم يكفهم الاقتصار على مسألة الشفاعة والوسيلة وهما من أعظم المخاصمة الجارية علينا ممن قاتلنا وبدّعنا وجعل اليهود والنصارى أخف شراً منا ومن اتباعنا وحقيقة قولنا ، ان الشفاعة وإن كانت حقاً في الآخرة فلها أنواع مذكورة في محلها فوجب على كل مسلم الايمان بشفاعته ﷺ بل وغيره من الشفعاء فهى ثابتة بالوصف لا بالشخص ما عدا الشفاعة العظمى فإنها لأهل الموقف عامة وليس ما يقصــــدون والوصف من مات لا يشرك بالله شيئاً كما في البخاري من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « لكل نبي دعوة مستجابة واني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي وهى نائلة إن شاء الله من مات لايشرك بالله شيئاً » . وحديث أنس بن مالك الذى في الشفاعة بطوله . وحديث الذراع الذي رواه أبو هريرة المتفق عليه ، وإذا كانت بالوصف فرجاؤها من الله ودعاؤه ان يشفع فيه نبيه هو المطلوب .

فصل

فالمتعين على كل مسلم صرف همته وعزائم أمره إلى ربه تبارك وتعالى بالاقبال إليه والاتكال عليه والقيام بحق العبودية لله عز وجل فإذا مات موحداً سيشفع الله فيه نبيه بخلاف من أهمل ذلك وتركه وارتكب ضده من الاقبال إلى غير الله بالتوكل عليه ورجائه فيما لا يمكن وجوده إلا من عند الله والالتجاء إلى ذلك الغير مقبلا على شفاعته متوكلا عليها طالبها من النبي ﷺ أو غيره راغباً إليه فيها تاركا ما هو المطلوب المتعين عليه المخلوق لأجله فإن هذا بعينه فعل المشركين واعتقادهم ولا نشأت فتنة في الوجود إلا بهذا الاعتقاد فصار شقياً بالارادة الكونية والعاقبة الغوية لأن الارادة الدينية أصل في إيجاد المخلوقات والارادة الكونية أصل فمن كتبت عليه الشقاوة فلا يسير إلا لها ولا يعمل إلا بها ، قال تعالى : (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) فهذه هى الارادة الكونية وهى لا تعارض الارادة الدينية التي هى الاصل في إيجاد المخلوقات مع بقائه مختارا مدركا للأشياء ومن كان هذا وصفه فلا يناهما ، لأن الله تعالى ليس له شريك في الملك كما أنه ليس له شريك في استحقاق العبادة بل هو المختص بها ولا تليق إلا بجلاله وعظمته فلا إله إلا هو وحده لا شريك له ولهذا حسم جل وعلا مادة الشفاعة عن كل أحد بغير إذنه إلا له وحده فلا أحد يشفع عنده إلا بإذنه لاملك ولا نبي ولا غيرهما لأن من شفع عند غيره بغير إذنه فهو شريك له في حصول ذلك المطلوب لتأثيره فيه بشفاعته ولا سيما إن كانت من غير إذنه فجعله يفعل ما طلب منه والله تعالى لا شريك له بوجه من الوجوه وكل من أعان غيره على أمر فقد شفعه فيه والله تعالى وتر يشفعه أحد بوجه من الوجوه ولهذا قال عز من قائل: (قل لله الشفاعة جميعاً) . وقال تعالى : (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم

فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون) وطلبها من غير الله في هذه الدار زعم بعدم تعليقها بالاذن من الله والرضا عن المشفوع . وقال تعالى : (مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون) . وقال تعالى : (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون)، والعبرة في القرآن بعموم اللفظ لا بخصوص السبب مع ملاحظته وعدم القصور عليه .

فصل

وأما دعاء الله عز وجل للغير فقد مضت السنة ان الحي يطلب منه سائر ما يقدر عليه ودعوة المسلمين بعضهم لبعض مستحبة قد وردت بها الآثار الصحيحة في مسلم وغيره فإن كانت للميت فهي آكد ، وكان النبي ﷺ يقف على القبر بعد الدفن فيقول : « اسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل » فالميت أحوج بعد الدفن إلى الدعاء فإذا قام المسلمون على جنازته دعوا له لابه وشفعوا له بالصلاة عليه لا استشفعوا به فبدل أهل الشرك والبدع قولا غير الذي قيل لهم بدلوا الدعاء له بدعائه نائياً كان عنهم أو قريباً ، والاستغاثة به والهتف باسمه عند حلول الشدة وتركوا من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه وقصدوا بالزيارة التي شرعها رسول الله ﷺ إحسانا إلى الميت وتذكيراً بالآخرة ، فبدلوا ذلك بسؤال الميت نفسه وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذي هو مخ العبادة وحضور القلب وخشوعه عندها أعظم منه في الصلاة والمساجد وقت الأسحار ، وإذا شرع الدعاء لسائر المؤمنين فالنبي ﷺ أحق الناس بأن يصلى ويسلم عليه ويدعى له بالوسيلة كما في الحديث الصحيح عنه ﷺ أنه قال : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ فإنه من صلى عليّ مرة واحدة صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لعبد من عباد الله ، وأرجوا أن أكون ذلك العبد ،

فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيامة » واستشفاع العبد في الدنيا إنما هو فعل السبب لحصول شفاعته له يوم القيامة كما عد فيما جاء به قولا وعملا واعتقاداً ، وإنما سألت له الوسيلة مع تحققها تنويها بقدره ورفعا لذكره ويعود ثواب ذلك إلينا ، فهذا هو الدعاء المأثور وهو فارق بين الدعاء الذي أحبه والذى نهى عنه ولم يذكر أحد من الأئمة الأربعة ولا من غيرهم من أئمة السلف فيما نعلمه أن النبي ﷺ يسأل بعد الموت للاستغفار ولا غيره قال الامام مالك رحمه الله فيما ذكره إسماعيل بن إسحاق في المبسوط عنه والقاضي عياض في الشفا والمشارق وغيرهما من أصحابه لاأرى أن يقف عند القبر ويدعو ولكن يسلم ويمضي ، وقال أيضاً في المبسوط عن مالك لابأس لمن قدم من السفر أو خرج إليه أن يقف عند قبر النبي ﷺ ويصلي ويسلم عليه ويدعو له ولأبي بكر وعمر ، فقيل له إن ناساً من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه وهم يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر يأتون عند القبر فيسلمون عليه ويدعون ساعة ، فقال لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه في بلدنا لا من الصحابة ولا غيرهم ولا يصلح آخر هذه الامة إلا ما أصلح أولها ولم يبلغني عن أول هذه الامة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك ويكررون المجيء إلى القبر بل كانوا يكرهونه إلا لمن جاء من سفر أو أراده . انتهى .

فصل

وتلاوته الآية في قوله تعالى (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك) الآية والاستغفار بحضرة القبر وان قال به جماعة من متأخري الفقهاء كلهم لم يقولوا يدعى صاحب القبر ولا يدعى الله بل المحفوظ عنهم ان الميت والغائب لايسئل منه شيء لا استغفار ولاغيره واستغفارهم الله لاالرسول ﷺ وحياته في قبره برزخية ولا تقتضي دعاءه واصحابه أعلم بها منا ولم يأت احد منهم الى القبر فيسأله ويستغيث به وقد ثبت النهي عنه عليه الصلاة والسلام ان يتخذ قبره عيداً قال ابو يعلى

الموصلي في مسنده عن علي بن الحسين رضي الله عنهما قال: احدثكم حديثاً سمعته من ابي عن جدي رضي الله عنه عن رسول ﷺ قال «لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً وان تسليمكم يبلغني اينما كنتم» رواه ابو عبدالله محمد بن عبدالواحد المقدسي في مختارته وروى سعيد بن منصـــور في السنن عن ابى سعيد مولى المهدي قال قال رسول الله ﷺ لاتتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبورا وصلوا عليّ حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني روى هذا الحديث ابو داود عن ابي هريرة ورواه سعيد بن منصور في سننه عن ابى سعيد مولى المهدي ورواه ايضا من حديث الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنه وهـــذان الحديثان وان كانا مرسلين فهما يقويهما حديث ابي هريرة المرفوع وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة وابي ســـعيد رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لا تشد الرحال الى مسجد من المساجد الا لثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هذا» وهوحديث ثابت باتفاق أهل العلم يتلقى بالقبول عنهم وهو ان كان معناه لا تشدوا الرحال الى مسجد من المساجد الا الى الثلاثة التي قد ذكرت فالسفر الى هذه المساجد الثلاثة انما هو للصلاة فيها والدعاء والذكر وقراءة القرآن والاعتكاف الذي هو من الاعمال الصالحة .

فصل

وما سوى هذه المساجد لا يشرع السفر اليه باتفاق اهل العلم حتى مسجد قبا يستحب قصده من المكان القريب كالمدينة ولا يشرع شد الرحل اليه من بعيد ولذلك كان النبي ﷺ يأتي اليه كل سبت ماشياً وراكبا وكان ابن عمر يفعله كما في الصحيحين فانه كما اسس على التقوى فمسجده ﷺ اعظم في تأسيسه على التقوى كما ثبت في الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام انه سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال «مسجدي هذا» فكلا المسجدين اسس على التقوى ولكن اختص مسجده بانه اكمل في هذا الوصف من غيره وكان يقوم في مسجده يوم الجمعة ويأتي مسجد قبا يوم السبت فاذا كان السفر الى مسجد غير الثلاثة ممتنع

شرعاً مع ان قصده لاهل مصره يجب تارة ويستحب أخرى وقد جاء في قصد المساجد من الفضـــل مالا يحصى فالسفر الى مجرد القبور اولى بالمنع ولا يغتر بكثرة العادات الفاسدة التي احدثها الملوك واشباههم والاحاديث التي رواها الدار قطني في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام كلها مكذوبة موضوعة باتفاق غالب اهل المعرفة منهم ابن الصلاح وابن الجوزي وابن عبدالبر وابو القاسم السهيلي وشيخه ابن العربي المالكي والشيخ تقي الدين وغيرهم ولم يجعلها في درجة الضعيف الا القليل وكذلك تفرد بها الدار قطني عن بقية اهل السنن والأئمة كلهم يروون بخلافه واجلّ حديث روي في هذا الباب حديث ابي بكر البزار ومحمد بن عساكر حكاه اهل المعرفة بمصطلح الحديث كالقشيري والشيخ تقي الدين وغيرهما وانما رخّص ﷺ في زيارة القبور مطلقا بعد ان نهى عنها كما ثبت في الصحيح لكن بلا شد رحل وسفر اليها للاحاديث الواردة في ذلك كما تقدم .

فصل

واذا جاء السفر المشروع لقصد مسجد النبي ﷺ للصلاة فيه دخلت زيارة القبر تبعا لانها غير مقصودة استقلالا وحينئذ فالزيارة مشروعة مجمع على استحبابها بشرط عدم فعل محذور عند القبر كما تقدم عن مالك وما حكاه الغزالي رحمه الله ومن وافقه من متأخري الفقهاء من زيارة القبر فمرادهم السفر المجرد عن فعل العبادة من الصلاة والدعاء عنده بل يصلي ويسلم عليه ويسأل له الوسيلة ثم يسلم على ابي بكر وعمر ولا يقصد الصلاة عند القبر للعنه ﷺ المتخذين قبور أنبيائهم مساجد واللعنة في كلام الله وكلام رسوله لا تجامع الا الحرمة والاثم لامجرد الكراهة ولقوله « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيـــائهم مساجد » وقال بن حجر رحمه الله في الامداد الموسوم بشرح الارشاد ينوي الزائر المتقرب السفر الى مسجده ﷺ وشد الرحل اليه لتكون زيارة القبر تابعة انتهى واتخاذ قبور الانبياء والصالحين مساجد هو الواقع كثيراً

من الامم ، اما في الشرك الاكبر او فيما دونه من الشرك فان النفوس قد اشركت بتماثيل القوم الصالحين كود وسواع ويغوث وتماثيل طلاسم الكواكب ونحو ذلك يزعمون انها تخاطبهم وتشفع لهم والشرك بقبر النبي ﷺ أو الرجل ممن يعتقدون صلاحه اقرب الى النفوس من الشرك بخشبة او حجر ولهذا تجد أهل الشرك كثيراً ما يتضرعون ويخشعون عندها ما لا يخشعون لله في الصلاة ويعبدون اصحابها بدعائهم ورجائهم والاستغاثة بهم وسؤال النصر على الاعداء وتكثير الرزق وإيجاده والعافية وقضاء الديون ويبذلون لهم النذور لجلب ما املوه او دفع ما خافوه مع اتخاذهم اعيادا والطواف بقبورهم وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود على تربتها وغير ذلك من انواع العبادات والطلبات التي كان عليها عباد الاوثان يسألون اوثانهم ليشفعوا لهم عند مليكهم فهؤلاء يسأل كل منهم حاجته وتفريج كربتهم ويهتفون عند الشدائد باسمه كما يهتف المضطر بالفرد الصمد ويعتقدون ان زيارته موجبة للغفران والنجاة من النيران وانها تجب ما قبلها من الاثام بل قد وجد هذا الاعتقاد في الاشجار والغيران يهتفون باسمها واسم من ينسبون اليه من المعتقدين بما لا يقدر عليه الا رب العالمين واكثر ما يكون ذلك عند الشدائد .

فصل

والله تعالى عز شأنه قد فسر هذا الدعاء في مواضع وأخبر بأنه عبادة محضة كقوله (وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون) وقوله (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون) والانبياء والملائكة والصالحون كل معبود من هؤلاء داخل في عموم قوله سبحانه (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) كما هو سبب النزول وقوله عز شأنه (لا اعبد ما تعبدون) فدعاؤهم آلهتهم هو عبادتهم لها ولأنهم كانوا

اذا جاءتهم الشدائد دعوا الله وحده وتركوها ومع هذا فهم يسألونها بعض حوائجهم بواسطة قربهم من الله ويطلبونها منهم بشفاعتهم لهم ، فأمر الله العباد باخلاص تلك العبادة له وحده فلا يدعونهم ولا يسألونهم الشفاعة فان ذلك دين المشركين قال الله تعالى فيهم (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير) . وقال تعالى (قل أدعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون كشف الضر عنكم ولاتحويلا) وانما ذكر الله تعالى ذلك عنهم لانهم يدعون الملائكة والانبياء ويصورون صوراً ليشفعوا لهم فيما دعوهم فيه وذلك بطرق مختلفة ففرقة قالت ليس لنا اهلية مباشرة دعاء الله ورجائه بلا واسطة تقربنا اليه وتشفع لنا عنده لعظمته وفرقة قالت الانبياء والملائكة ذوا وجاهـــة عند الله ومنزلة عنده فاتخذوا صورهم من اجل حبهم لهم ليقربوهم الى الله زلفى وفرقة جعلتهم قبلة في دعائهم وعبادتهم وفرقة اعتقدت ان لكل صورة مصورة على صورة الملائكة والانبياء وكيلًا موكلًا بأمر الله فمن اقبل على دعائه ورجائه وتبتل اليه قضى ذلك الوكيل ماطلب منه بأمر الله والا أصابه نكبة بأمره تعالى فالمشرك انما يدعو غير الله بما لايقدر عليه الا هو تعالى ويلتجيء اليه فيه ويرجوه منه بما يحصل له في زعمه من النفع وهو لا يكون الا فيمن وجدت فيه خصلة من اربع إما ان يكون مالكا لما يريد منه داعيه فان لم يكن مالكا كان معينا فان لم يكن كان ظهيرا فان لم يكن كان شفيعا فنفى الله سبحانه وتعالى هذه المراتب الاربع عن غيره والشركة والمظاهرة والشفاعة التي لاجلها وقعت العداوة والمخاصمة بالآية المتقدمة وبقوله (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك) الآية وقوله (قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه) وقوله : (قل اللهم مالك الملك) وقوله : (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) وقوله : (يوم لاتملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله) وقوله : (مالك يوم الدين) وقوله : (وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع إلاهمسا) فأثبت سبحانه ما لا نصيب فيه لمشرك البتة وهي الشفاعة بإذنه لمن رضى عنه وهو سبحانه يعلم السر وأخفى لا يخفى

عليه شيء في الارض ولا في السماء ولهـذا لما قالت الصحابة رضى الله عنهم أربنا قريب فنناجيه ام بعيد فنناديه ، فأنزل الله سبحانه : (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان) الآية . وقال تعالى : (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون) .

فصل

الموحد من اجتمع قلبه ولسانه على الله مخلصاً له تعـالى الالوهية المقتضية لعبادته في محبته وخوفه ورجائه ودعائه والاستعانة به والتوكل عليه وحصر الدعاء بما لا يقدر على جلبه أو دفعه إلا الله وحده والموالاة في ذلك والمعاداة فيه وأمثال هـــذا ناظراً إلى الخالق والمخلوق من الأنبياء والأولياء مميزاً بين الحقين وذلك واجب في علم القلب وشهادته وذكره ومعرفته ومحبته وموالاته وطاعته وهذا من تحقيق لا إله إلا الله لأن معنى الاله عند الاولين ما تألهه القلوب بالمحبة التي كحب الله والتعظيم والاجلال والخضوع فالرجاء بما هو مختص من عند الله وذبح النسك له قال تعالى : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله) فالمحبة التي لله غير المحبة التي مع الله وقالوا لمن أحبوه كحب الله (تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين) وهم ما سووهم به في الصفات ولا في الذات كما حكي الله عنهم في الآيات والشاهد الله بأنه لا إله إلا هو وقائلها نافياً قلبه ولسانه لألوهية كل ماسواه من الخلق ومثبتاً به الألوهية لمستحقها وهو الله المعبود بالحق فيكون معرضاً عن ألوهية جميع المخلوقات لا يتألههم بما لا يقدر عليه إلا الله مقبلاً على عبادة رب الارض والسموات وذلك يتضمن اجـــتماع القلب في عبادته ومعاملته على الله ومفارقته في ذلك كل ماسواه فيكون مفرقاً في علمه وقصده وشهادته وإرادته ومعرفته ومحبته بين الخالق والمخلوق بحيث يكون عالماً بالله ذاكراً له عارفاً به وانه تعالى مباين لخلقه منفرد عنهم بعبادته وأفعـاله وصفاته فيكون محباً

فيه، مستعيناً به لا بغيره متوكلا عليه لا على غيره. وهذا المقام هو المعنيّ في (إياك نعبد وإياك نستعين) وهي من خصائص الالوهية التي يشهد له بها تعالى عباده المؤمنون كما أن رحمته لعبيده وهدايته إياهم وخلقه السموات والارض وما بينهما وما فيهما من الآيات من خصوص الربوبية التي يشترك في معرفتها المؤمن والكافر والبر والفاجر حتى ابليس عليه اللعنة معترف بها في قوله (رب انظرني إلى يوم يبعثون) وقوله (بما أغويتني لأزينن لهم في الارض ولأغوينهم أجمعين) وأمثال هـذا الخطاب الذي يعرف بأنه ربه وخالقه ومليكه وأن ملكوت كل شيء في يده تعالى وتقدس وإنما كفر بعناده وتكبره عن الحق وطعنه فيه وزعمه أنه فيما ادعاه وقاله محق وكذا لك المشركون الاولون يعرفون ربوبيته تعالى وهم له بها يعترفون قال تعالى: (قل لمن الارض ومن فيها إن كنتم تعلمون. سيقولون لله) وقال تعالى: (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقـولن الله) وقال تعالى: (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذاهم يشركون) فمن دعا غير الله تعالى لم يكن مخلصاً وقال تعالى: (قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون. سيقولون لله) وقال تعالى (واتل عليهم نبأ ابراهيم. إذ قال لأبيه وقومه ماتعبدون. قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين. قال هل يسمعونكم إذ تدعون. أو ينفعونكم أو يضرون. قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) والآيات في هذا الباب كثيرة جداً وروى الامام أحمد في مسنده والترمذي من حديث حصين بن المنذر أن رسول الله ﷺ قال «ياحصين كم تعبد قال ستة في الارض وواحد في السماء قال فمن الذي تعد لرغبتك قال الذي في السماء فقال له رسول الله ﷺ اسلم حتى اعلمك كلمات ينفعك الله بهن فأسلم فقال قل اللهم الهمني رشدي وقني شر نفسي» فمجرد معرفتهم بربوبيته تعالى واعترافهم بهـا لم تنفعهم ولم تدخلهم في الاسلام مع جعلهم مع الله آلهة اخرى يدعونها ويرجونها لتقربهم إلى الله زلفي وتشفع

لهم عنده فبذلك كانوا مشركين في عبادته ومعاملته ولهـذا كانوا يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما لك والدعاء مخ العبادة كما أن الاله اسم المعبود وروى النعمان بن بشير رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ان الدعاء هو العبادة وفي رواية مخ العبادة ثم قرأ رسول الله ﷺ (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) الآية رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح ورواه أيضاً النسائي وابن ماجه والحاكم والإمام أحمد وابن أبي شيبة بهذا اللفظ وهذه الصفة تفيد حصر الدعاء على العبادة فلايخرج عنها لانها من الصفات اللازمة التي ليس لها مفهوم يخالف المظهر كقوله تعالى : (ومن يدع مع الله إلهً آخر لا برهان له به) إذ كل مدعو فهو إله قصد الداعي أن يكون مدعوه اله أم لا اتخـذه المشركون الاولون أم لا وليس ثم دعا اله آخر لا برهان له .

فصل

وقد وصف الله سبحانه دين المشركين بقوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء) الآية فبين في هـذه الآية إنما قصدهم الا الشفاعة وفي صحيح البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سألت رسـول الله ﷺ أي الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله نداً وهو خلقك قال قلت ثم أي ؟ قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قال قلت ثم أي؟ قال أن تزاني بحليلة جارك فأنزل الله تصديقها (والذين لا يدعون مـع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون) الآية فبين النبي ﷺ أن أعظم الذنب الشرك بالله الذي هو جعـل الأنداد واتخاذهم من خلقه ليقربوهم اليه وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول ﷺ قال « ان الله يرضى لكم ثلاثاً أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا وان تناصحوا من ولاه الله أمركم » فدين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه .

فصل

والشرك شركان : أكبر وله أنواع ومنه الذي تقدم بيانه آنفاً ، وشرك أصغر كالرياء والسمعة ، كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «قال الله تعالى : أنا أغنى الشركا عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه » ومنه الحلف بغير الله لما روى ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ « من حلف بغير الله فقد أشرك » أخرجه الامام أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم وصححه ابن حبان وقال ﷺ «ان الله ينها كم أن تحلفوا بآباءكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » أخرجه الشيخان وروى الامام احمد وابو داود من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ انه قال له رجل ماشاء الله وشيئت قال «اجعلتني لله ندا قل ماشاء الله وحده» والشرك الاصغر لا يخرج من الملة وتجب التوبة منه ومن كل ذنب .

فصل

فلم يبق إلا التوسل بالأعمال الصالحة كتوسل المؤمنين بإيمانهم في قولهم (ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للايمان) وكتوسل اصحاب الصخرة المنطبقة عليهم وهم الثلاثة النفر الذين توسلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة الحديث في صحيح البخاري لانه وعد ان يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وكسؤاله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى قال تعالى : (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) وكالادعية المأثورة في السنن « اللهم إني اسألك بأن لك الحمد لا إله إلا انت المنان بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام » وامثال ذلك وهذا معني قوله (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) لانها القربى التي يتقرب بها إلى الله وتقرب فاعلها منه وهي الاعمال الصالحة لما روى البخاري في صحيحه من حديث ابي هريزة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « قال الله تعالى : من

عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب اليّ عبدي بشيء احب إليّ مما افترضت عليه وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى احبه فإذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لاعطينه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه » الحديث . ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا اهمه امر فزع إلى الصلاة فإنها اعظم القرب إلى الله تعالى . قال الله تعالى : (واستعينوا بالصبر والصلاة) وليست الوسيلة بمخلوق ينبغي ليحصل واسطة بين الله وبين خلقه يشفع لهم ويتقربون به إليه لان هذا عين ما نهى الله عنه في الآيات وانزل بقبحه الكتب وارسل الرسل وهو ماقالت بنو إسرائيل اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة لان قصدهم يتقربون به .

فصل

وأما الاقسام على الله بمخلوق فهو منهي عنه باتفاق العلماء ، وهل هو منهي عنه نهي تنزيه او تحريم على قولين اصحهما انه كراهة تحريم واختاره العز ابن عبد السلام في فتاواه . قال بشر بن وليد : سمعت أبا يوسف يقول : قال أبو حنيفة رحمه الله : لا ينبغي لاحد ان يدعو الله إلا به واكره ان يقول بمعاقد العز من عرشك هو الله فلا اكره هـذا واكره بحق انبيائك ورسلك وبحق البيت والمشعر الحرام ، قال القدوري: رحمه الله المسألة بحق المخلوق لاتجوز لهذا فلا يقول اسألك بفلان وبملائكتك وانبيائك ونحو ذلك لانه لاحق للمخلوق على الخالق . انتهى . واما قوله : وبحق السائلين عليك ففيه عطية العوفي وفيه ضعف ومع صحته فمعناه بأعمالهم لأن حقه تعالى عليهم طاعته وحقهم عليه الثواب والاجابة وهو تعالى وعد ان يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وإذا والى العبد ربه وحده اقام الله له وليا من الشفعاء وهي الموالاة بينه وبين عباده المؤمنين فصاروا أولياءه في الله بخلاف من اتخذ مخلوقا من دون الله أو معه فهذا نوع وذاك نوع آخر كما ان الشفاعة الشركية الباطلة نوع وشفاعة الحق الثابتة التي انما تنال بالتوحيد نوع آخر .

فصل

ومما استدل علينا الخصم ويزعم أن دعوة غير الله وسيلة قوله : « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك على ربي في حاجتي هذه لتقضى اللهم شفعه فيّ » . رواه الترمذي والحاكم وابن ماجه ، عن عمران بن الحصين فجوابه من وجوه ، الأول أنه في غير محل النزاع إذ هذا ليس فيه سؤال النبي ﷺ نفسه وإنما سأل الله أن يشفع فيه نبيه وعمل الخصم الاختراعي منكر ورواية الحديث بجرمته فأين هذا من عمارة القبور وإلقاء الستور عليها وتسريجها وهذه كلها كبائر كما قال أهل العلم حتى ابن حجر الهيتمي وغيره ان حدها كلما اتبع بلعنة أو غضب أو نار ، والأحاديث في تحريم عمارة القبور كثيرة في الصحيحين وغيرهما ويضاف إلى عمارتها دعاء أصحابها ورجاؤهم والالتجاء اليهم والنذر لهم وكتب الرقاع فيها وخطابهم ياسيدي يامولاي افعل كذا . وكذا عبدت اللات والعزى والويل كل الويل عندهم لمن عاب وانكر عليهم ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وما أمر ونهى وما كان عليه أصحابه اليوم رأى أحدهما مضاداً للآخر مناقضا له واذا كان سبب قول الله عز وجل : (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) مجيء حبر من اليهود إلى رسول الله ﷺ والمسلمين وقوله : نعم القوم أنتم لولا انكم تجعلون لله أنداداً فتقولون ماشاء الله وشاء فلان فقال رسول الله ﷺ أما انه قد قال حقاً وأنزل الله : (فلا تجعلوا لله نداً وأنتم تعلمون ومن أخرج الحديث جلال الدين السيوطي في الدر المنثور في تفسيره . وهؤلاء يحب أحدهم معتقده أكثر من حب الله وان زعم أنه لا يحبه كحب الله فشواهد الحال تشهد عليه بذلك فإنه يعظم القبر أعظم من بيت الله ويحلف بالله كاذباً ولا يحلف بمعتقده فلا جامع بين مااستدلوا به علينا وبين مانهيناهم عنه الثاني ان الحديث دليل لنا انه لا يدعى غير الله عز وجل فان مستهله : اللهم اني أتوجه اليك فسأل الله عز

وجل أن يشفعه فيه واسطة ياحبيبنا يامحمد إنا نتوسل بك إلى ربك فاشفع لنا
فهذا خطاب لحاضر كقولنا في صلاتنا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته
وكاستحضار الانسان محبه أو مبغضه في قلبه فيخاطبه بما يهواه بلسانه ومعناه
أتوجه اليك بدعاء نبيك وشفاعته التي معناها في هذه الدار الدعاء ولهذا قال في
تمام الحديث اللهم شفعه فيّ أي استجب دعاه وهذا متفق على جوازه إذ الحي
يطلب منه سائغ مايقدر عليه وأما الغائب أو الميت فلا يستغاث به ولا يطلب
منه مالا يقدر عليه قال تعالى : (قل إن الأمر كله لله) إنما غايته طلب الدعاء من
الحي وقبول شفاعته عند الله عز وجل وهو ﷺ انتقل من هذه الدار إلى دار
القرار بنص الكتاب والسنة وإجماع الأمة ولهذا استسقا أصحابه بعمه العباس
ابن عبد المطلب وان يدعو لهم في الاستسقاء عام القحط أخرجه البخاري عن
أنس بن مالك رضى الله عنه ولم يأتوا إلى قبره ولا وقفوا عنده مع أنه ﷺ
حياته في قبره برزخية والدعاء عبادة مبناها على التوقيف والاتباع ولو كان
هذا من العبادات لسنه رسول الله ﷺ ولكان أصحابه أعلم بذلك وأتبع
ولهذا لم يفعله أحد من الصحابة ولا التابعين مع شدة احتياجهم وكثرة
مدلهماتهم وهم أعلم بمعاني كتاب الله وسنة رسول وأحرص اتباعا لملته من غيرهم
بل كانوا ينهون عنه وعن الوقوف عند القبر للدعاء عنده وهم من خير القرون
التي قد نص عليها النبي ﷺ في قوله : « خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين
يلونهم » قال عمران لا أدري أذكر اثنين أو ثلاثا بعد قرنه اخرجه البخاري
في صحيحه الثالث أنهم زعموا أنه دليل الوسيلة إلى الله بغير محمد ﷺ وخرجوا
عن محل النزاع إلى شيء آخر وهو التوسل بغير رسول الله ﷺ فلا دليل فيه
أصلا لأنهم صرحوا بأنه لا يقاس مع فارق فلا يجوز لنا أن نقول اللهم إنا
نسألك ونتوجه اليك برسولك نوح يارسول الله يانوح ولا لنا أن نقول إنا
نسألك ونتوجه اليك بخليلك إبراهيم ولا بكليمك موسى ولا بروحك عيسى
مع أن الجامع في نوح عليه السلام الرسالة وفي إبراهيم عليه السلام الخلة مع

الرسالة وفي موسى عليه السلام الكلام مع الرسالة وفي عيسى روح الله وكلمته مع الرسالة فليس لنا أن نقول هذا لأنه لم يرد ولا حاجة لنا إلى فعل شيء لم يرد والقياس إنما يباح عند من يقول به للحاجة في حكم لا يوجد فيه نص ، فإذا وجد النص فلا يحل القياس عند من يقول به ولا حاجة لنا إلى قول مخترع يجر إلى الشرك خصوصاً مع ما ورد فيه وأنه فى هذه الأمة أخفى من دبيب النمل ، وان هذه الأمة افترقت على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة فالناجية من اتبع ما كان عليه النبي ﷺ واصحابه . الرابع ان الوسيلة ليست هى ان ينادي العبد غير الله ويطلب حاجته التي لا يقدر على إيجادها إلا الرب تبارك وتعالى ممن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ﴿ وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ﴾ كذلك من سرق التابوت والمعلق عليه من بيض النعام أو غيره .

فصل

ومما استدل به علينا في جواز دعوة غير الله في المهمات قوله ﷺ في الحديث الذي رواه ابن مسعود : « إذا انفلتت دابة أحدكم في أرض فلاة فلينادي ياعباد الله احبسوها » وفي رواية « إذا أعيت فلينادي يا عباد الله أعينوا الخ » . وهذا من جملة الجهل والضلال وإخراج المعاني عن مقاصدها من وجوه ، الأول : ان هذه ليست بوسيلة اصلا ، إذ معنى الوسيلة ما يتقرب به من الاعمال إلى الله عز وجل ، وهذا ليس بقربة ، الثاني : ان الحديثين غير صحيحين . اما الاول فرواه الطبراني في الكبير بسند منقطع عن عقبة رضى الله عنه وحديث انفلات الدابة عزاه النووي رحمه الله لابن السني ، وفي إسناده معروف بن حسان ، قال ابن عدي : هو منكر الحديث ولا دليل في هذين الحديثين مع ضعفهما ، ولا في الحديث المتقدم قبلهما على دعاء اصحاب القبور ، كعبد القادر الجيلاني من قطر شاسع بل ولا من عند قبره ولا ينادي غيره لا الانبياء ولا الأولياء

إنما غايته ان الله عز وجل جعل من عباده من لا يعلمهم إلا هو سبحانه وما يعلم جنود ربك إلا هو . وإن نادى شخصاً باسمه معيّنا فقد كذب على رسول الله ﷺ ونادى من لايؤمر بندائه ، وليس معنى الحديث في كل حركة وسكون وقيام وقعود ، وإنما أبيح له ذلك ان اراد عوناً على حمل متاعه او انانفلتت وهذا مع تقدير صحةالحديث و الثالث: ان الله تعالىقال : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) بعد ان اكمله بفضله ورحمته فلا يحل ان نخترع فيه ماليس منه ونقيس مالا يقاس عليه، الرابع: ان الحديث الصحيح «إذا شذ عن قواعد الشرع لا يعمل به لأنهمقالوا ان الحديث الصحيح الذي يعمل به إذا رواه العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة فكيف العمل بالحديث المتكلم فيه بما لا يدل عليه دلالة مطابقة ولا تضمن ولا التزام ?فهذا هو البهتان .الخامس :انهمعمروا مواقعهمبذكر من يعتقدونه ونسبوا الافعال إليهم وكل احد يذكر ما وقع له من الاستغاثة بفلان ، وانه أنجده وكشف شدته ، فإذا قال احد : سبحان الذي بيده ملكوت كل شيء سبحانك هذا بهتان عظيم . قاموا عليه وخرجوه وبدعوه ، وقالوا : معلوم ان أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون . فإذا قال نعم ولكن ليس بيد احد منهم ملكوت خردلة والله يقول : (ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير . ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم) فإن منهم من يدعى العلم والانصاف وهو واسع الصدر يقول هذه الآية نزلت في عباد الاصنام ، فإذا قيل له الاصنام ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر أسماء رجال صالحين وهذه الخرق على التوابيت ودعوة الاموات هى فعل عباد الاصنام ، وقد قرر أهل العلم ان العام لا يقصر على السبب . مثلا ان نستحل" الا نؤدي الامانة ، فإذا قيل ادوا الامانة ، فإن الله يقول : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها) فلايقال هذه نزلت في مفتاح باب الكعبة فلايحتج بها عامة ، كذلك

لا يقال هـذه نزلت في عباد الاصنام وتفعل فعلهم وتقول لسنا مشركين وفي الاحاديث القدسية عن خير البرية ﷺ قال الله عز وجل « انا والجن والانس في نبإ عظيم اخلـُقُ ويُعبد غيري وارزق ويشكر غيري » اخرجه الحاكم والترمذي والبيهقي في شعب الايمـان عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، فيجيب بأن الأُمة مطبقة على هذا والامة لاتجمع على ضلالة فيلزم منه تضليل الامة وتسفيه الآباء. وجوابه :اما ان الامة مطبقة على هذا فكذب عليها هذه كتب الحديث والتفسير ليس فيها يجوز ان يدعى غير الله عز وجل بمـا لا يقدر عليه إلا هو تعالى ، ولا يباح ،بل الآيات البينات والاحاديث وأقوال العلماء ترشد ان هذا شرك محقق والله تعالى يقول لرسوله ﷺ : (قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئاً) . ويقول : (وقضي ربك ان لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) ،والاحاديث ونصوص العلماء لا تخالف الكتاب، السادس :أنه قد اختلفوا في التوسل إليه بشيء من مخلوقاته تعالى وتقدس ،هل هو مكروه أو حرام ؟ ، والاشهر الحرمـــة كما قال به أبو محمـد العز ابن عبد السلام في فتاويه لانه لا يجوز التوسل إليه بشيء من مخلوقاته لا الانبياء ولا غيرهم وتوقف في حق نبينا محمد ﷺ هل فيـه الحرمة او الكراهة وتقدم قول ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله . السابع : انهم يشترون اولادهم ممن يعتقدونه ويجعلون زوايا لمن يعتقدونه ويجعلون فيها الطبول والبيارق والمزاهر ومطارق الحديد يضربون بهـا أنفسهم وفيهـا جماعة ينسبون إلى ذلك المعتقد كالعلوانية والقادرية والرفاعية وأسماء ما أنزل الله بها من سلطان ويعبّدون أنفسهم لهم كعبد فلان وفلان والله قد سمانا المسلمين . قال الله تعالى : (هو سماكم المسلمين من قبل) في الكتب المنزلة كالتوراة والانجيل وفي هذا القرآن فاستبدلوا الذي هو أدنى بالذى هو خير ، وإذا مرض هذا المشتري من المعتقد نذر أهله النذور ولم يزل يستغيث به يشفي سقمه ويكشف شدته وهذا الامر سرى في العلماء والجهال ، في مكة أكثر،فهم قد غلبت عليهم العوائد وسلبت

عقولهم عن تفهم المراد والمقاصد من الكتاب والسنة وكلام الأئمة ولم يجدوا هذا في كتاب فروع احد منهم ولا أصوله صانهم الله عن هذه الوصمة فما استدلوا به مما تقدم لا يكون دليلاً على التوسل بالاموات المعلوم حالهم انهم في أعلى الجنان فكيف غيرهم ممن لا يعلم حاله في الآخرة ولا يدري اين مآله وكيف يكون دليلا على دعوة غير الله في المهمات ويقال الوسيلة ويستدل لها بهذا ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم وتحريف الكلام عن مواضعه .

فصل

فبهذا يتبين أن الشيطان اللعين نصب لأهل الشرك قبوراً يعظمونها ويعبدونها أوثاناً من دون الله ثم يوحي إلى أوليائه أن من نها عن عبادتها واتخاذها أعياداً وجعلها والحالة هذه أوثاناً فقد انتقصها وغمطها حقها فيسعى الجاهلون المشركون في قتالهم وعقوبتهم وما ذنبهم عند هؤلاء المشركين إلا أنهم أمروهم بإخلاص التوحيد ونهوهم عن الشرك بأنواعه وقالوا بتبطيله فعند ذلك غضب المشركون واشمأزت قلوبهم فهم لا يؤمنون وقالوا قد تنقص أهل المقامات والرتب فاستحقوا الويل والعتب وفي زعمهم انهم لا حرمة لهم لدينا ولا قدرا حتى يسري ذلك في نفوس الجهال والطغام وكثير ممن ينتسب إلى العلم والدين[1] اتباع المرسلين وبسبب ذلك عادونا ورمونا بالعظائم والجرائم ونسبوا كل قبيح الينا ونفروا الناس عنا وعن ماندعوا اليه ووالوا أهل الشرك وظاهروهم علينا وزعموا أنهم اولياءالله وانصار دينه ورسوله وكتابه ويأبى الله ذلك فما كانوا اولياءه ان اولياؤه إلا المتقون الموافقون لله العارفون به وبما جاء به والعاملون به والداعون اليه لا المتشبعون بما لم يعطوا اللابسون ثياب الزور الذين يصدون الناس عن دين نبيهم وهديه وسنته ويبغونها عوجا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا باتباعه واحترامه والعمل به وتعظيم الانبياء

(١) بياض في الاصل

والاولياء واحترامهم متابعتهم له فيما يحبُّونه وتجنب ما يكرهونه وهم اعصى الناس لهم وأبعدهم منهم ومن هديهم ومتابعتهم كالنصارى مع المسيح وكاليهود مع موسى والرافضة مع عليّ. واهل التوحيد اين كانوا اولى بهم وبمحبتهم ونصرة طريقتهم وسنتهم وهديهم ومناهجهم واولى بالحق قولاً وعملاً من اهل الباطل فالمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض والمنافقون والمنافقات والمشركين والمشركات بعضهم اولياء بعض ومن اصغى إلى كلام الله بكلية قلبه وتدبره وتفهمه اغناه عن اتباع الشياطين وشركهم الذي يصد عن سبيل الله وعن الصلاة وينبت النفاق في القلب وكذلك من أصغي اليه وإلى حديث الرسول بكليته وحدث نفسه بها وعمل باقتباس الهدى والعلم منه لا من غيره اغناه من البدع والشرك والآراء والتحرزات والشطحات والخيالات التي هي وساوس الشيطان والنفوس وتخيلات الهوى[1] ومن بعد ذلك فلا بد ان يتعوض ما لا ينفعه بل مضرة عليه واغناه ايضاً عن عشق الصور وإذا خلا عن ذلك صار عبد هواه اي شيء استحسنه ملكه واستعبده فالمعرض عن التوحيد عابد الشيطان مشرك شاء أم أبى كما في صحيح مسلم عن ابي الهياج الاسدي واسمه حيان بن حصين قال: قال عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه الا ابعثك على مابعثني عليه رسول الله ﷺ ان لا أدع تمثالا الا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته وفي الصحيح ايضاً عن ثمامة بن شفي الهمداني قال كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فسوي فقال سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها وقد أمر به وفعله الصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون قال الشافعي في الام ورايت الائمة بمكة يأمرون بهدم مايبنون على القبور ويؤيد الهدم قوله ولا قبراً مشرفاً إلا سويته وحديث جابر الذي في صحيح مسلم نهى ﷺ عن البناء على القبور ولأنها أسست على معصية الرسول لنهيه عن البناء عليها وأمره بتسويتها فبناء أسس

---

(١) بياض في الاصل

على معصيته ومخالفته ﷺ بناء غير محترم وهو أولى بالهدم من بناء الغاصب قطعاً وأولى من هدم مسجد الضرار المأمور بهدمه شرعاً إذا المفسدة اعظم حماية للتوحيد والله المستعان وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على أفضل الخلق أجمعين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

فهذا نص الرسالة التي أشار إليها هـذا الملحد كما ترى ليس فيها ولله الحمد وله المنة إلا دعوة الخلق إلى التوحيد وابطال الشرك والتنديد وليس فيها ان جميع اهل المشرق والمغرب ليسوا على الاسلام او انهم كلهم مشركون الشرك الاكبر فمن كان لله به عناية نظر إليها بعين البصيرة والعدل والانصاف ومال عن طريقة أهل الغي والبغي والانحراف ، ومن استحوذ عليه الشيطان وكان على نصيب وافر من الخذلان لم يزده النظر إليها إلا عتواً وعناداً وتكبراً وتمادياً في الغي وارتداداً ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ، ثم انه قد كان من المعلوم عند كل عاقل خبير الناس وعرف احوالهم وسمع شيئاً من اخبارهم ان اكثر سكان البسيطة حال دعوة الشيخ إلى دين الله ورسوله على غاية من الجهل والضلال لايستريب في ذلك عاقل كانوا من امر دينهم في جاهلية يدعون الصالحين ويعتقدون في الاشجار والاحجار والغيران ويطوفون بقبور الانبياء والاولياء ويرجون الخير والنصر من جهتها إلى غير ذلك من الامور الشركية التي انهمك فيها أكثر البرية واعتقدوا أنها أمور دينية محبوبة لله مرضية . ونذكر من ذلك شيئاً يسيراً ليتبين لمن طلب الحق وأراده ما كان عليه الشيخ رحمه الله تعالى مما أصله من الدين وأشاده وما كان عليه اهل الاقطار من الكفر والشرك بالله في غالب جميع الامصار. قال الشيخ الامام أبو بكر حسين بن غنام الاحسائي رحمه الله :

الفصل الاول

فى بيان ما جرى في تلك الازمان من الشرك والضلال والطغيان

في نجد والاحساء وغيرهما مما يليهما من البلدان

نقول كان غالب الناس في زمانه متضمخين بالارجاس ، متلطخين بوضر الانجاس ، حتى قد انهمكوا في الشرك بعد حلول السنة المطهرة بالارماس ، وإخفاء نور الهدى بالانطماس ، بذهاب ذوي البصائر والبصيرة ، والالباب المضيئة المنيرة ، وغلبة الجهل والجهال ، واستعلاء ذوي الاهواء والضلال ، حتى نهجوا في تلك الطريق منهجاً وعراً ، ونبذوا كتاب الله تعالى وراءهم ظهرا ، وأتوا زوراً وبهتاناً وهُجراً ، وزين لهم الشيطان أنهم ينالون بذلك أجراً ، ويحوزون به عزاً وفخراً ، فأركبهم مراكب الاسلاف قسراً ، وامتطى كواهلهم في ذلك السنن قهراً ، وحسن لهم ان الآباء بحقيقة الحق أدرى ، وأنهم بنهج منهج الشريعة أحرى ، فعدلوا إلى عبادة الاولياء والصالحين ، وخلعوا ربقة التوحيد والدين ، فجدوا في الاستغاثة بهم في النوازل والحوادث ، والخطوب المعضلات الكوارث ، واقبلوا عليهم في طلب الحاجات ، وتفريج الشدائد والكربات ، من الاحياء والاموات ، وكثير منهم يعتقد النفع والاضرار ، في الجمادات كالاحجار والاشجار ، وينتابون ذلك في اغلب الازمان والاوقات ، ولم يكن لهم إلى غيرها اقبال ولا التفات ، فهم على تلك الاوثان عاكفون ، ولها في كثير الاحايين ملازمون ، نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون ، لعب بعقولهم الشيطان ، واخذ بهم منهج الخسارة حتى ألقاهم في قعر الهوان ، فلجوا في طغيانهم يعمهون ، تسنموا من الهوى اسمى فَنَن ، وأتوا من الضلال أشمى فِتَن ، ورفضوا والله أسنى سَنَن ، الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ، إلى أن قال رحمه الله تعالى : وكان في بلدان نجد من ذلك أمر عظيم ،

والكل على تلك الاحوال مقيم ، وفي ذلك الوادي مسيم ، حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ، وقد مضوا قبل بدوّ نور الصواب ، يأتون من الشرك بالعجاب ، وينسلون إليه من كل باب ، ويكثر منهم ذلك عند قبر زيد ابن الخطاب ، ويدعونه لتفريج الكرب بفصيح الخطاب ، ويسألونه كشف النوب من غير ارتياب ، (قل انتبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون) ، وكان ذلك في الجبيلة مشهورا ، وبقضاء الحوائج مذكورا ، ثم ذكر المعابد التي في نجد . ثم قال : وكذلك ما يفعل الآن في الحرم المكي الشريف ، زاده الله تعالى رفعة وتشريفا ، فهو يزيد على غيره وينيف ، فيفعل في تلك البقاع المطهرة المكرمة ، والمواضع المعظمة المحترمة ، من الامور المحظورة المحرمة ؛ ما يحق ان تسفح عند رؤيته العيون والاجفان ، وتذال لأجله الدموع ولا تصان ، وتلتهب في القلب لواعج الاحزان ، إذا أبصر الموحد ما يصدر من أولئك العربان ، من الفسوق والضلال والعصيان ، وما عدي الدين فيه من الهوان ، فلقد انتهكت فيه المحرمات والحدود ، وكان لأهل الباطل به قيام وقعود ، كما هو الآن مشاهد موجود ، أين قوله تعالى : (وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود) ، ويشهد بذلك من رآه ممن كان له قلب سليم (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) ، ولقد تظاهر بذلك منهم جم غفير ، وتجاهر به بين أظهرهم جمع كثير ، ولم يكن لأهل العلم إزالة ولا تغيير ، بل تألبوا على مصادمة الحق الشهير ، وراموا اطفاء مصباحه المنير ، وإخماد ضيائه المستنير ، وحاولوا تغيير مُحيَّا الصواب ، (وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب) (أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير) . قلت : ومن جملة هؤلاء المجادلين بالباطل هـذا الرجل المسمى بالحداد صاحب هذا الافتراء والإلحاد . ثم قال رحمه الله : فمن ذلك ما يفعل عند قبر المحجوب ،

وقبة أبي طالب ، وهم يعلمون انه شريف حاكم متعد غالب ، كان يخرج إلى بلدان نجد ويضع عليهم من المال خراجا ومطالب ، فإن أعطى ما أراد انصرف وإلا أصبح لهم معاديا ومحارب ، وكذلك عند قبر المحجوب ، يطلبونه الشفاعة لغفران الذنوب ، لأنه عندهم المقرب المحبوب ، فلهذا كانوا من شره يحذرون ، وان دخل متعد او سارق او غاصب مال ، قبر احدهما لم يتعرض له احد من الرجال ، ولا يخشى معاقبة ولا نكال ، ولا يتوصل إليه بما يكره ولا ينال ، وان تعلق جان ولو اقل جناية بالكعبة سحب منها بالاذيال ، فهم في تعظيمهما مفرطون (واتخذوا من دونه آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون) . ومن ذلك ما يفعل عند قبر ميمونة بنت الحارث رضى الله عنها بسرف ، وعند قبر خـديجة رضى الله عنها بالمعلى ، مما لا يسوغ لمسلم ان يطلق عليه إباحة وحلا ، فضلا عن كونه يدرك بها أجراً وفضلا ، من اختلاط النساء بالرجال وفعل الفواحش والمنكرات ، وارتفاع الاصوات عندهم بالدعوات ، وحصول الندبة وشدة الاستغاثات ، وعند قبر عبد الله بن عباس رضى الله عنهما في الطائف ، من الامور التي تشمئز منها نفس الجاهل فكيف بالعارف ، فيقف عند قبره متضرعاً مستغيثاً كل مكروب وخائف ، وينادي أكثر الباعة في الاسواق ، من غير نكير ولا زاجر على الاطلاق ، ويقول بلهجة قلب واحتراق ، كثير من اهل الشرك والابلاس ، وذوي الفقر والافلاس : اليوم على الله وعليك يا ابن عباس ، ويسألونه الحاجات ويسترزقون ، (أأتخذ من دونه آلهة إن يردني الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون) . وأما ما يفعل عند قبره عليه السلام من الامور المحرمة العظام ، من تعفير الخدود ، والانحناء بالخضوع والسجود ، واتخاذ ذلك القبر عيداً ، وقد لعن عليه السلام فاعله وكفى بذلك زجراً ووعيداً ، ونهى عن ما يفعل عنده غالب العلماء نهياً شديداً وغلظوا في ذلك تغليظاً أكيداً ، فهو مما لا يخفى ولا ينكر ، واعظم من ان يذكر ، فهو في الشهرة والانتشار ،

كالشمس في رابعة النهار ، ويكل اللسان عما يفعل عند قبر حمزة والبقيع وقباء من ذلك القبيل ، ويعجز القلم عن بيانه على التفصيل ، ولولم يذكر منه إلا القليل :

وليس يصح في الاذهان شيء   إذا احتاج النهار إلى دليل

وأما مايفعل في جدة فمما عمت به البلوى ، قد بلغ من الضلال والفحش الغاية القصوى ، وعندهم قبر طوله ستون ذراعاً عليه قبّة يزعمون أنه قبر حواء ، وضعه بعض الشياطين من قديم وهيأه وسوى ، يجبون عنده السدنة من الاموال ، كل سنة مما لا يكاد يخطر بالبال ، ولا يدخل يسلم على امه كل إنسان ، إلا مسلما دراهم عاجلا من غير توان ، أيبخل احد من اللئام ، فضلا عن الكرام ، ببذل الحطام ، ويدع الدخول على امه والسلام ، وعندهم معبد يسمى العلوي بالغ في تعظيمه جميع الخلائق ، واربوا في الغلو على تلك الطرائق فلو دخل قبره قاتل نفس او غاصب او سارق ، لم يتعرض بمكروه من مؤمن ولا فاسق ، ولا يجسر احد ان يكون مخرجاً له سائق ، او إلى المساعدة إليه مسارع مسابق ، فمن استجار بتربته أجير ، ولم يعرج عليه حاكم ولاوزير . وأماما فى بلدان مصر وصعيدها ، من الامور التي ينزه اللسان عن ذكرها وتعديدها ، خصوصاً عند قبور الصلحاء والعباد من ساداتها وعبيدها ، كما ذكرها الثقات في نقل الاخبار وتوكيدها ، فيأتون قبر احمد البدوي وكذا قبور غيره من العباد ، وسائر ترب المشهورين بالخير والزهاد . فيستغيثون ويندبون ويعجلونهم بالامداد ، ويستحثونهم على زوال المصيبة عنهم والانكاد ، ويتداولون بينهم حكايات ، وينسبون عنهم قضايات ، ويحكون في محافلهم ماجريّات ، من أفحش المنكر والضلالات ، فيقولون فلان استغاث بفلان ، فأغيث فوراً في ذلك الاوان ، وفلان شكى لصاحب القبرحاله وأمره ، فأغاثه وكشف عنه ضره وفلان شكى إليه حاجته فأزال عنه فقره ، وأمثال هذا الهذيان ، الذي هو زور وبهتان ، ويصدر هذا الكلام في تلك البلدان ، وهي مملوءة بالعلماء من أهل الزمان ، وذوي التحقيق والعرفان ، ولا يزال ذلك المحظور ،

ولا يغار من صدور تلك الامور ، بل ربما تنشرح منهم له الصدور ، قلتُ :
ومصداق ماذكره الشيخ الامام حسين ابن غنام قد ذكره هذا الملحد في
الفصل السابع في كرامات الاولياء ومعجزاتهم وخاتمته فيما يأتي بعد . ثم قال
وأما ما يفعل في بلدان اليمن من الشرك والفتن ، قبل هذا الوقت وفي هذا
الزمن ، فأكثر من ان يحسب أو يحصى ، أو يُعدّ ويستقصى ، أو يدرك له
أقصى ، فمن ذلك ما يفعله أهل شرقي صنعاء بقبر عندهم يسمى قبر الهادي ،
والكل على دعوته والاستغاثة به رائح أو غادي ، فتأتيه المرأة اذا تعسر عليها
الحمل أو كانت عقيمة ، فتقول عنده كلمة قبيحة عظيمة ، فسبحان من لا يعاجل
بالمعاقبة على الجريمة ، وأما أهل بلد برع فعندهم رجل يرحل إلى دعوته ، كل
ناء عن محله وبلدته ، ويؤتي اليه من غير اشكال ، من مسيرة أيام وليال ،
لطلب الاغاثة ، وشكاية الحال ، ويقيمون عند قبره للزيارة ، ويتقربون
بالفضائح عنده كما حقق اخباره ، من شاهد حضرته واحتضاره ، وأما أهل
الحجرية ومن حذا حذوهم فعندهم قبر يسمى ابن علوان ، وقد اقبل عليه العامة
في نوائب الزمان ، واستغاث به منهم كل لهفان ، فهم يلجئون به في كل وقت
وأوان ، ويسميه غوغاهم منجي الغارقين ، كما حكاه بعض السامعين ، واغلب
أهل البر منهم والبحر يطربون ، عند سماع ذكره ويستغيثون به وأن لم يصلوا
إلى قبره وينذر له في البحر والبر ، وعند أهل بلده من تعظيمه ما يزيد على
الحصر ويفعلون عند قبره السماعات والموالد ، ويجتمع عندها أنواع المعاصي
والمفاسد ، فليس في اقطار اليمن في هذا الزمن من يساويه في الاشتهار ، بل
ولا في سائر الاقطار ، ولهم في حضرته أمور يفعلونها دينا ، ويتوخونها حينا ،
فحينا يطعنون أنفسهم بالسكاكين والدبابيس ، وقد جعلها لهم عبادة ابليس ،
ويقولون وهم يرقصون بما يغنيه طربون ، قد ملا الوجد منهم ألبابا وذهنا :ـ
ياسادتي قلبي معكم مُعنّا ، وأما أهل حضرموتّ والشحر ويافع وعدن ، فقد
ثوى فيهم الغي وقطن ، وعندهم العيدروس يفعل عند قبره من السفه والضلال

الوبيل ، ما يغني مجمله عن التفصيل ، ويقول قائلهم: شيء لله ياعيدروس ، شيء لله يامحيي النفوس ، ثم ذكر مايفعل في بلدان الساحل وما يفعل أهل المخا عند قبر علي بن علو الشاذلي وأهل الحديدة عند قبر الشيخ صديق وأهل اللحية عند قبر الزيلعي وعند قبر رابعة ، وما يفعل أهل نجران عند سيدهم . قال وأما ما في حلب ودمشق واقصى الشام وادناه ، فهو مما لم يوقف له على حد ولم يمكن ضبط اقصاه ، ولا يعرف قدره ومنتهاه ، ولو استفرغ الانسان في ذلك قصاراه ، بحسب ما يحكيه من يشاهد ذلك ويراه ، من العكوف على عبادة القبور ، وصرف القربان اليها والنذور ، والمجاهرة بالفسوق والفجور ، وأخذ الامكاس والمستور ، ووضع الخراج على البغايا من تلك المهور ، وفي الموصل وبلدان الاكراد ، وما يليها من سائر البـــلاد ، وكذا في العراق خصوصاً المشهد وبغداد ، مما لا يحتاج الى حصر وتعداد ، فيفعل عند قبر الامام أبي حنيفة ومعروف الكرخي والشيخ عبــد القادر رضي الله تعالى عنهم من الدعاء والاستغاثة بهم ومنهم في سائر الأوقات والازمان ، مالا يعرف له صفة ولا شأن ، وتسفح عنده العبرات والدموع ، ويحصل من التعظيم والتذلل عندهم والخضوع ، أعظم مما يصدر بين يدي الله في الصلاة في الحضور والخشوع ، بل كثير ممن فعل ذلك مراداً وجربهم لقضاء الحوائج ترياق مجرب . قلت : وقد اعتذر الحداد وعلل ذلك بانهم يعرفون الله أكثر منا ، ثم قال رحمه الله وأما مشهد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقد صيّرته الرافضة وثناً يعبد ، ويدعى بخالص الدعاء دون من ذراء الخلق وأوجد ، ويصلى له في قبته ويركع ويسجد ، وليس في صدور أولئك الضلال ، وغيرهم من الجهال ، وذوي الفسق والضلال ، من التعظيم والهيبة والجلال ، لذى الفضل والنوال ، معشار ما فيها لعلي رضي الله عنه من غير اشكال ، ولا اسراف في المقال ، فتراهم يحلفون الايمان الكاذبة بالله ، ولا يخاف احدهم مولاه ، ولا يراقبه سراً ولا جهراً ولا يخشاه ، ولا يحلف بعلي كاذبا ابدا يعظم بذلك حماه ، فلا ينتهك ذلك

ولا يتعداه ، ويجزمون ان عنده مفاتح الغيب من غير شك ، قبحهم الله ولا ريب ولهذا يقولون ان زيارته افضل من سبعين حجة ، وكفى بما ذكرناه في خروجهم عن الاسلام حجّة ، واخراجهم عن واضح السنن والمحجة ، ولقد غلوا فيه وأتوا من الشرك القبيح ، اعظم مما يفعله النصارى في المسيح ، سوى دعوى الولدية ، فلم تصدر من هذه البرية ، وساووهم وزادوا عليهم في غيرهما من الخصال الردية ، وزخرفوا على قبره الذي يدعونه قبة مذهبة ، وخالفوا هديه رضي الله عنه ومذهبه ، ولقد كان في حياته حرق ممن غلا فيه اناس ، فما اغنا عن انتهاج منهج الضلال فيه والابلاس ، قلتُ : وقد اعتقد غلاة هذه الامة في نبينا محمد ﷺ ما اعتقده النصارى في المسيح وما اعتقدته الرافضة في علي رضي الله عنه سوى دعوى الولدية كما صرح به البوصيري وذكره دحلان مستشهدا به على تعظيم الرسول ﷺ بكل تعظيم يعظم به الرب فقال :

دع ما ادعته النصارى في نبيهمو   واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

ثم قال الشيخ رحمه الله ومثل ذلك ما يفعل من الشرك والمكر والشين عند مشهد الكاظم ومشهد الحسين ، قال وأما جميع قري الشط والمجرة ، فقد لبسوا ثياب الشرك والمضرة ، بل كانوا أهله وأصله ومقره ، وكذلك ماحول البصره وما توسط فيها من تلك القبب والمشاهد ، التي أصبح كل اليها مقبلا وقاصد ، لاسيما قبر الحسن البصري والزبير رضي الله عنهما ، فقد طلبوا الفرج منهما ، وصرفوا لهما من العبادة والاستغاثة عند الشدائد ، وطلبوا منهما جميع الفوائد ، وليس لها منكر ولا جاحد ، سوى ما يصدر ومايشاهد في تلك البلدان من المنكرات والفواحش والمفاسد ، ولا يجحد ذلك إلا مباهت معاند ، وأما ما في القطيف والبحرين من البدع الرفضية ، والأمور القبيحة الشركية ، والمشاهد المعظمة الوثنية ، وما يفعله أولئك الضلال والانجاس ، من الضلال والغي والابلاس ، وما يأتونه من الشرك والأرجاس ، فلا يكاد يخفى على أحد من الناس ، ويقف دون ساحل احصائه الادراك ، ويقصر عن مقتضاه

ونظمه في هذه الاسلاك ، وما يجحد ذلك إلا كل معتد افاك ، وهـذا آخر ما اردنا ايراده من كلام الشيخ حسين بن غنام رحمه الله ليتبين لكل ذي عقل سليم ما عليه غالب أهل الأرض من الشرك العظيم وان الشيخ رحمـه الله ممن جدد دين الاسلام ورفع له المقامات العظام فعاب عليه هؤلاء الغلاة الطغام ورموه بالمعضلات العظام التي لا تطاق ولا ترام وقال الامير محمد بن اسماعيل الصنعاني رحمه الله في ابيات له قال فيها :

اما آن عما انت فيـه متاب	وهل لك من بعـد البعاد اياب ؟
تقضت بك الاعمار في غير طاعة	سوى عمـل ترضاه وهو سراب
اذا لم يكن لله فعلك خالصـا	فكل بناء قد بنيت خـراب
فللعمل الاخلاص شرط اذا أتي	وقد وافقتـه سنة وكتاب
وقد صين عن كل ابتداع وكيف ذا	وقد طبق الآفاق منـه عباب
طغي الماء من بحر ابتداع على الورى	فلم ينج منـه مركب وركاب
وطوفان نوح كان في الفلك اهله	فنجا همو والغارقون تبـاب
فاني لنـا فلك ينجى وليتـه	يطير بنـا عما نراه غراب
واين الى اين المطـار وكلمـا	على ظهرها يأتيك منـه عجاب
نسايل من دار الاراضي سياحة	عسى بلدة فيهـا هدى وصواب
فيخبر كل عن قبـائح ما رآى	وليس لأهليها يكون متـاب
لانهمو اعـدوا قبائح فعلهم	محاسن يرجى عنـدهن ثواب
كقوم عراة في ذرى مصر ما علا	على عورة منهم هنـالك ثياب
يدورون فيهـا كاشفين لعورة	تواتر هـذا لا يقال كذاب
يعدونهم في مصرهم فضلاؤهم	دعاؤهمو فيما يرون مجاب
وفيها وفيهـا كل ما لا يعـده	لسان ولا يدنو اليه خطـاب
وفي كل مصر مثل مصر وانمـا	لـكل مسمى والجميع ذباب
ترى الدين مثل الشاة قد وثبت له	ذئاب وما عنـه لهن ذهاب

لقد مزقتـــه بعد كل ممزق فلم يبق منه جثـــة واهاب
وليس اغتراب الدين إلا كما ترى فهل بعد هـذا الاغتراب اياب
فياغربة هل يرتجى منك اوبة فيجبر من هذا البعـــاد مصاب

الى آخر كلامه رحمه الله وقد تقدم كلامه في الدالية ، فمن تأمل ما ذكره الصنعاني رحمه الله وما ذكره الشيخ حسين بن غنـام رحمه الله تبين له ما كان عليه غالب الناس من الشرك العظيم والمرتع الوبي الوخيم وتبين له كذب هؤلاء الغلاة الملاحدة وانهم شرقوا بهذا الدين وابتغوا غير سبيل المؤمنين وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فصل

قال الملحد ومن ذلك ان ضابط الحق عنده ما وافق هواه وان خالف النصوص الشرعية واجماع الامة وضابط الباطل عنده مالم يوافق هواه وان كان على نص جلي واجمعت عليه الامة ومن ذلك وهو أعظمها انه كان يكفر جميع الناس من ستمائة سنة ومن لا يتبعه وان كانوا من أتقى المتقين فيسميهم مشركين ويستحل دماءهم واموالهم ويثبت الايمان لكل من تبعه وان كان من أفسق الفاسقين والجواب ان يقال : قد كان من المعلوم ان هذا مما افتراه هؤلاء الملحدون بل ضابط الحق عنـــده ما وافق الكتاب والسنة وان خالف اهواء الخلق وارادتهم وضابط الباطل عنـده ما خالف كتاب الله وسنة رسوله واجماع سلف الامة وأئمتهـا وان وافق اهواء الخلق وارادتهم وما أجمعوا عليه من كفرهم وضلالاتهم فانه رحمه الله تعالى كان على ما كان عليـه رسول الله ﷺ واصحابه وسلف الامة وأئمتها في باب معرفة الله واسمائه واثبات صفات كماله ونعوت جلاله والايمان به وفي باب العلم والعمل والعبادة يعرف ذلك من مقاله وحاله من نظر في مؤلفـاته ومصنفاته ولا يكفر الا من كفر الله ورسوله وأجمع على تكفيره الامة ويوالي كافة اهل الاسلام وعلمائهم من اهل الحديث

والفقه والتفسير واهل الزهد والعبادة ويرى المنع من الانفراد عن أئمة الدين من السلف الماضين برأى مبتدع او قول مخترع فلا يحدث في الدين ما ليس له اصل يتبع وما ليس من اقوال اهل العلم والاثر ويؤمن بما نطق به الكتاب وصحت به الاخبار وجاء الوعيد عليه من تحريم دماء المسلمين واموالهم وأعراضهم ولا يبيح من ذلك الا ما اباحه الشرع وأهدره الرسول ومن نسب اليه خلاف ماعليه اهل السنة والجماعة من سلف الامة وأئمتها فقد كذب وافترى وقال ما ليس له به علم وأما زعمه انه يكفر الناس منذ ستماية سنة فقد اجاب الشيخ عن هذا بقوله سبحانك هذا بهتان عظيم واما قوله ويثبت الايمان لكل من تبعه الى آخره فالجواب ان يقال مراد هذا الملحد المفترى ان من تبع الشيخ محمدا على توحيد الله وتبرأ من عبادة الطواغيت وتبرأ من الشرك واهله ووافقه على اخلاص العبادة والدعوة لله وتاب وأناب الى الله مما كان يفعله من الشرك بالله ودعوة الصالحين وغيرهم من الاحياء والاموات وعرف معنى قول لا اله الا الله وانها نفي واثبات فشطرها الاول نفي الالهية مطلقا والثاني اثباتها لله دون ما سواه من اهل السموات والارض من الاحياء والاموات سماه مؤمناً موحداً واثبت له الايمان وان كان فاسقا فنعم هكذا قال الشيخ رحمه الله وعلى هذا سائر العلماء من أهل السنة والجماعة وذلك ان الانسان اذا دخل في الاسلام وحكم باسلامه لا يخرجه من الاسلام ما يفعله من الكبائر كالسرقة والزنا وشرب المسكر واخذ الاموال ظلما وعدوانا وانما يخرجه من الاسلام الى الكفر الشرك بالله وانكار ماجاء به الرسول من الدين بعد معرفته بذلك واقامة الحجة عليه وقد قال تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فثبت بهذه الآية المحكمة ان جميع الذنوب ماخلا الشرك بالله معلقة بالمشيئة قد يغفرها لمن يشاء من عباده وان الشرك بالله لا يغفره الا بالتوبة ومن مات عليه فهو من اهل النار المخلدين فيها ولو كان من اعبد الناس وازهدهم ولا ينفع مع الشرك بالله عمل البتة ، فاذا تحققت هذا

وعلمته فلا عجب من هذا الملحد المفتري فانه له اعواناً من اعداء الله واعداء دينه قد تفوهوا بمثل هذه الخرافات وحكوا عن الشيخ من المفتريات المكذوبات نحواً بما ذكره هذا الملحد ولكن اقام الله في نحورهم من أهل العلم والدين من ردّ عليهم وابطل جميع ماموهوا به من الاكاذيب والحكايات وما لفقوه من الاباطيل والترهات قال الشيخ ملا عمران نزيل لنجة في رد مفتريات بعض هؤلاء الوضاعين فيما افتروه على الشيخ من الاكاذيب .

جاءت قصيدتهم تروح وتغتدي ... في سب دين الهاشمي محمد
قد زخرفوها للعوام بقولهم ... ان الكتاب هو الهدى فبه اقتد
لو ان ناظمها تمسك بالذي ... قد قال فيها اوّلا اذ يبتدي
لهدي ووفق ثم حاز سعادة ... لا شك فيها عند كل موحد
لكنه قد زاغ عما قاله ... متأولاً فيها بتأويل رَدِي
فأتت كشهد فيه سم ناقع ... من ذاق منه ففي الهلاك المبعد
اذ شبه الشيخ الامام المهتدى ... بأخي مسيلمة الكفور المعتدي
فهو الذي ان مات معتقداً بذا ... يا ويله ماذا يلاقي في غد
ماذا يجيب وما يقول ومن له ... يوم القيامة وهو خصم محمّد
قد شبه التوحيد بالكفر الذي ... شهد الكتاب به وسنة احمد
الشيخ شاهد بعض اهل جهالة ... يدعون اصحاب القبور الهمّد
تاجاً وشمسان ومن ضاهاهما ... من قبة أو تربة أو مشهد
يرجون منهم قربة وشفاعة ... ويؤملون كذاك أخذاً باليد
ورأى لعباد القبور تقرّبا ... بالنذر والذبح الشنيع المفسد
ما انكر القراء والاشياخ ما ... شهدوا من الفعل الذي لم يحمد
بل جوّزوه وشاركوا في اكله ... من كان يذبح للقبور ويفتدي
فأتاهم الشيخ المشار اليه بالنصح ... المبين وبالكلام الجيد
يدعوهمو لله ان لا تعبدوا ... الا المهيمن ذا الجلال السرمد

لاتشركوا ملكاً ولا من مرسل   كلا ولا من صالح أو سيد

فتنافروا عنه وقالوا ليس ذا   الا عجيب عندنا لم يعهد

ما قاله آباؤنا ايضاً ولا   اجدادنا أهل الحجى والسؤدد

إنّا وجدنا جملة الآبا على   هذا فنحن بما وجدنا نقتدي

فالشيخ لما ان رآى ذا الشان من   اهل الزمان اشتد غير مقلد

ناداهمو ياقوم كيف جعلتمو   لله انداداً بغير تعدد

قالوا له بل ان قلبك مظلم   لم تعتقد في صالح متعبّد

قد عيروه بانه قد كان في   وادي حنيفة دار من لم يسعد

قلنا لهم ما ضر مصر بأنها   كانت لفرعون الشقي الاطرد

ان النماردة الفراعنة الاولى   كانوا بأرض الله اهل تمرّد

ذا قال أنا ربٌ وذا متنبيء   هم في بلاد الله اهل تردد

يمناً وشاماً والعراق ومصرها   من كل طاغٍ في البرية مفسد

فبموتهم طابت وطار غبارها   وزهت بتوحيد الإله المفرد

ان المواطن لم تشرف ساكنا   فيها ولا تهديه ان لم يهتد

من كان لله الكريم موحّدا   لومات في جوف الكنيف المطرد

وبعكسه من كان يشرك فهو لم   يفلح ولو قد مات وسط المسجد

خرج النبي المصطفى من مكة   وبقي ابو جهل الذي لم يسعد

ان الاماكن لا تقدس اهلها   ان لم يكونوا قائمين على الهدِ

لو انصفوا لرأوا له فضلا على   اظهار ما قد ضيّعوه من اليد

ودعوا له بالخير بعد مماته   ليكافئوه على وفاق المرشد

لكنهم قد عاندوا وتكبّروا   ومشوا على منهاج قوم حُسّد

ورموه بالبهتان والافك الذي   هم يعملون به ومنهم يبتدي

كمقالهم هو للمتابع قاطعٌ   بدخول جنات وحُور خرد

حاشا وكلا ليس . هذا شأنه   بل انه يرجو بها لموحّد

قالوا له أشقى الورى مع كونه ... ينهى عن الانداد للمتفرد

قالوا له يا سالكا طرق الردى ... لم لا تسير على الطريق الارشد

وهمو يرون الشمس ظاهرة لهم ... لكنّ أعمى القلب ليس بهتد

قـــالو له : يا كافراً يا فاجراً ... ما ضره قول العداة الحُسَّد

قالت قريش قبلهم للمصطفى ... ذا ساحر ذا كاهن ذا معتدي

قد اتهموه بأنه يحتـــال في ... تأذينه ليجيء أهل المسجد

فاذا أتوا قتلوا بغير جناية ... تالله هذا إفك أفاك ردي

قالوا يعم المسلمين جميعهم ... بالكفر قلنا ليس ذا بمؤكد

بل كل من جعل العديل لربه ... ونهى فصدّ فذاك كالمتهوّد

قالوا له غشاشُ أمة احمد ... وهو النصيح بكلّ وجه يبتدي

هل قال الا وحدوا رب السماء ... وذروا عبادة ما سوى المتفرّد

وتمسكوا بالسنة البيضا ولا ... تتنطعـــوا بزيادة وتردد

هذا الذي جعلوه غشا وهو قد ... نطقت به الرسل الكرام لمن هُدي

من عهد آدم ثم نوح هكذا ... تترى الى عهد النبي محمد

وكذلك الخلفاء بعد نبيهم ... والتابعون وكل حبر مهتدي

منهاجهم هذا عليه تمسكوا ... من كان مستناً بهم فليقتدي

عجباً لمن يتلو الكتاب ويدّعي ... علم الحديث مسلسلا في المسند

ويقول للتوحيد غشا انّ ذا ... خطر على من قال فليتشهد

ويجدد الاسلام والايمان مع ... ترفاً بان الشيخ خير مجدد

ما ذنبه في الناس الاّ انّه ... هَدَم القباب وتلك سيرة احمد

ما صح عهد ثقيف لما عاهدوا ... الا بهدم اللاّت لو لم يُعبد

ما اللاّت الا كان عبداً صالحا ... لتّ السويق لطائف متعبّد

لما توفى عظموا لضريحه ... كصنيع عباد القبور النُّكّد

اذ كان حياً قادراً قاموا باطعـ ... ـام له وبكسوة وتفقّد

واذا توارى عنهمو في قبره … جعلوه نداً للاله السيد

ولقد رآى الفاروق يوما قبة … نصبت على قبر تشد بأعمد

فأشار نحوها دعوه يضله … عمل له ان لم يكن عمل ردي

وحديث ابي الهياج فيه كفاية … لذوي البصائر والعقول النقّد

في طمس تمثال وقبر مشرف … جاء الحديث به صحيح المسند

لما نفى الاطراء عنهم والغلو … قالوا أتيت بذا الجفاء المبعد

لو كان حبك للنبي محققاً … لفعلت فعلتنا لعلك تهتدي

اما الدلائل فهو لم ينكر بها … صلوات أزكى العالمين الأمجد

إلا التظاهر بالغلو وجعلها … درساً يكرر في كتاب مفرد

فترى لهم حرصا على تجويدها … خطا وتزويقا وحسن مجلّد

لا يعتنون بمصحف لهمو كما … هم يعتنون براتب وبمولد

فلو اعتنى رب الدلائل بالذي … يأتي عقيب شهادة المتشهد

لكفاه كل مؤنة وتكلف … ومشى على النهج القويم الارشد

سأل النبي من الصحابة سائل … كيف الصلاة عليك كالمسترشد

فأجاب يرشده بما قد جاء في … قول المصلي دبر كل تشهد

لوحت فيه ولم أصرح حيث لم … يدخل على وزن القريض المنشد

هذا الكلام على الدلائل ليس ما … قد قاله من شذ عن ذا المقصد

وكذاك في روض الرياحين الذي … فيها الغلوّ بصالح وبسيّد

والله قد ذم الغلّو فقال يا … أهل الكتاب بغلظة وتهدد

اذ قال لا تغلوا بنهي لازم … في دينكم في الحكم لم يتردد

وكذا الرسول نها وأخبر أنه … فيه الهلاك لراهب متعبّد

عجبا لهم لو كان فيهم منصف … لرآى المحبّ محمّدا لمحمّد

من حيث ان الاتباع مقارن … للحبّ في نص الكتاب الامجد

قالوا صبأتم نحوه قلنا لهم … الحق شمس للبصير المهتدي

ما بيننا نسب نميل به ولا ... حسبٌ يقربنــا له بتودد
أيضاً ولا هو جارنا الادني الذي ... نمتار نعمتــه ولم نسترفد
لكنها شمس الظهيرة قد بدت ... لذوي البصائر فاهتدى من يهتدي
فالعالمون العاملون المنصفون له ... اقروا بالفضــائل واليد
لكن قليل منهمو في عصرنا ... كالشعرة البيضا بجلد اسود
والله قد ذم الكثير وقال في ... حق القليل مقالة لم تجحد
بـ « سبا » و« ص » فاتلها متدبرا ... تلق الصحيح بها فخذه تهتد
فان اعتراكم في الذي قد قاله ... شك وريب واختلاف يبتدى
فزنوا بميزان الشريعة قوله ... تجدوه حقاً ظاهراً للمقتدي
ولئن وجدتم فاسقاً أو جافيا ... أو جاهلا في العلم كالمتردد
قد زل يوماً أو هفا لا تنسبوا ... هفواته لجناب ذاك المرشد
فالآل والاصحاب ماذا ضرهم ... من بعدهم تكدير صافي المورد
من بعد ذاك الاجماع على الهدى ... ظهروا ذوي فرق وأهل تبدّد
ماذا يضر السحب نبح الكلب ام ... ماذا يضر الصحب سبّ الملحد
ثم الصلاة على النبي محمّد ... أزكى الورى أصلا وأطيب محتد
والآل والاصحاب جمعاً كلّما ... قد ذب عن ذا الدين كل موحّد

انتهى ماذكره الشيخ ملا عمرا رحمه الله تعالى ، لقد افاد واجاد ، وقمع اهل الشرك والشك والعناد ، وجلي بما أبداه غياهب الضلال والفساد ، وجاهد في الله اعداء الله حق الجهاد ، وهؤلاء الملاحدة الغلاة على وتيرة واحدة في حكاية هذه الاكاذيب ، التي لايحكيها إلا كل متمرد مريب ، فنعوذ بالله من رين الذنوب ، وانتكاس القلوب .

فصل

قال الملحد وغاية شبهته في نسبة الشرك الى غير اتباعه وهي التي بنى عليها اساس بدعته وزندقته وجميع قبائحه انه ادعى انهم يعظمون مشاهد الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومشاهد الاولياء نفعنا الله بهم تعظيما بليغاً حتى صاروا يطلبون منهم ما لا يقدر عليه الا الله تبارك وتعالى وذلك بزعمه الفاسد وإلا فان الفاعل هو الله حقيقة اكراما منه لأنبيائه واوليائه اذا توسلوا بهم اليه كما وقع من النبي في الاحاديث الصحيحة لما توسلوا به حياً وميتاً سقاهم الله في حياته بنفسه استسقوا به وبعد وفاته أمرتهم سيدتنا عائشة أم المؤمنين يفتحون كوة حذا قبره للشمس فسقوا لما فعلوا ذلك كما اتى في الحديث الصحيح عن مالك الداراني الى آخر كلامه . والجواب ان نقول: سبحان من طبع على قلوب اعدائه حتى أعمى بصائر قلوبهم عن معرفة ما اوجب الله عليهم من اخلاص العبادة له وحده لا شريك له بجميع انواعها ومعرفة ما حرمه عليهم من الشرك في عبادته وصرف خالص حقه سبحانه وتعالى لغيره من الانبياء والاولياء والصالحين فان هذا الملحد زعم انما امر الله به ورسوله من اخلاص العبادة له وترك عبادة من سواه هو الشبهة التي بنا عليها الشيخ اساس بدعتـــه وزندقته وجميع قبائحه وذلك انه ذكر ان المشركين في هذه الازمان يعظمون مشاهد الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومشاهد الاولياء تعظيما بليغا حتى صـــاروا يطلبون منهم مالا يقدر عليه إلا الله تبارك وتعالى فنقول : ما ذكره الشيخ رحمه الله من ان المشركين في هذه الازمان يعظمون مشاهد الانبياء ومشاهد الاوليـــاء تعظيما بليغا حتى صاروا يطلبون منهم مالا يقدر عليه الا الله هو شرك جاهلية العرب الذين بعث فيهم عبد الله ورسوله محمد ﷺ فانهم كانوا يدعون اربابها ويلتجئون اليهم ويسألونهم على وجه التوسل بجاههم وشفاعتهم ليقربوهم الى الله كما حكى الله ذلك عنهم في مواضع من كتابه كقوله تعالى(ويعبدون من دون

الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله)الآية. وقال تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) وقال تعالى (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون) قال رحمه الله : ومعلوم ان المشركين لم يزعموا ان الانبياء والاولياء والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السموات والارض واستقلوا بشيء من التدبير والتأثير والايجاد ولو في خلق ذرّة من الذرّات قال تعالى : (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون)فهم معترفون بهذا مقرون به لا ينازعون فيه ولذلك حسن موقع الاستفهام وقامت عليهم الحجة بما أقروا به من هذه الجمل وبطلت عبادة من لا يكشف الضر ولا يملك الرحمة ولا يخفي ما في التنكير من العموم والشمول المتناول لأقل شيء وأدناه من ضر أو رحمة وقال تعالى (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون) الى قوله (فأنى تسحرون) وقال تعالى (وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) ذكر فيه السلف كابن عباس وغيره ايمانهم هنا ما أقروا به من ربوبيته وملكه وفسر شركهم بعبادة غيره قال رحمه الله: وقد بين القرآن في غير موضع ان من المشركين من اشرك بالملائكة ومنهم من اشرك بالانبياء والصالحين ومنهم من اشرك بالكواكب ومنهم من اشرك بالاصنام وقد رد عليهم جميعهم وكفر كل اصنافهم كما قال تعالى (ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ انتم مسلمون)وقال تعالى (اتخذوا احبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم) الآية وقال (لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون) ونحو ذلك في القرآن كثير وبه يعلم المؤمن ان عبادة الانبياء والصالحين كعبادة الكواكب والاصنام من حيث الشرك والكفر بعبادة غير الله .قال رحمه الله : وهذه العبادات التي صرفها المشركون لآلهتهم هي

افعال العبد الصادرة منه كالحب والخضوع والانابة والتوكل والدعاء والاستعانة والاستغاثة والخوف والرجا والنسك والتقوى والطواف ببيته رغبة ورجاء وتعلق القلوب والآمال بفيضه ومده واحسانه وكرمه فهذه الانواع اشرف انواع العبادة واجلها بل هي لب سائر الاعمال الاسلامية وخلاصتها وكل عمل يخلو منها فهو خداج مردود على صاحبه وانما الشرك وكفر من كفّر المشركين بقصد غير الله بهذا وتأهيله لذلك قال تعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون) وقال تعالى (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون)

وقال تعالى (أأتخذ من دونه آلهة ان يُردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون) وقال تعالى (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يُخلقون) الآية وحكي عن اهل النار انهم يقولون لآلهتهم التي عبدوها مع الله (تالله ان كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين) ومعلوم انهم ماسووهم به في الخلق والتدبير والتأثير وانما كانت التسوية في الحب والخضوع والتعظيم والدعاء ونحو ذلك من العبادات، قال رحمه الله فجنس هؤلاء المشركين وامثالهم ممن يعبد الاولياء والصالحين نحكم بأنهم مشركون ونرى كفرهم اذا قامت عليهم الحجة وما عدا هذا من الذنوب التي دونه في الرتبة والمفسدة لا نكفر بها ولا نحكم على احد من اهل القبلة الذين باينوا لعباد الاوثان والاصنام والقبور بكفر بمجرد ذنب ارتكبوه وعظيم جرم اجترحوه، وقال رحمه الله ومن انواع هذا الشرك العكوف على قبور المشهورين بالنبوة والصحبة والولاية وشد الرحال الى زيارتها لان الناس يعرفون الرجل الصالح وبركته ودعائه فيعكفون على قبره ويقصدون ذلك فتارة يسألونه وتارة يسألون الله عنده وتارة يصلون ويدعون الله عند قبره، ولما كان هذا مبدأ الشرك سدّ النبي ﷺ هذا الباب ففي الصحيحين أنه قال في مرض موته «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ماصنعوا، قالت عائشة ولولا ذلك لأبرز قبره لكن كره أن يتخذ مسجداً

وقال : « لا تتخذوا قبرى عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا عليّ حيث ما كنتم فان صلاتكم تبلغني » وقال ﷺ « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وفي الموطأ عنه ﷺ قال « اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد » وفي صحيح مسلم عن علي رضي الله عنه قال « بعثني رسول الله ﷺ أن لا ادع قبرا مشرفا إلا سويته ولا تمثالا إلا طمسته » فامر بطمس التماثيل من الصور الممثلة على صورة الميت والتمثال الشاخص المشرف فوق قبره فان الشرك يحصل بهذا وبهذا ، وبلغ عمر رضي الله عنه ان قوماً يذهبون الى الشجرة التى بايع النبي ﷺ أصحابه تحتها فأمر بقطعها . وارسل اليه ابو موسى أنه ظهر بتستر قبر دانيال وعنده صحيفة فيها أخبار ما سيكون وفيها أخبار المسلمين وأنهم اذا اجدبوا كشفوا عن القبر فمطروا فارسل اليه عمر يأمره أن يحفر في النهار ثلاثة عشر قبرا ويدفنه بالليل في واحد منها لئلا يعرفه الناس فيفتنون به واتخاذ القبور مساجد وبناء المساجد عليها محرماً لم يكن من ذلك شيء على عهد الصحابة والتابعين وكان الخليل عليـــه السلام في المغارة التى دفن فيها وهي مسدودة لا أحد يدخلها ولا تشد الصحابة الرحال لا إليه ولا إلى غيره من المقابر ففي الصحيحين عنه ﷺ قال « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هذا » فكان من يأتى منهم إلى المسجد الاقصى يصلون فيه ، ثم يرجعون لا يأتون مغارة الخليل ولا غيرها وكانت مسدودة حتى استولى النصارى على الشام في أواخر المائة الرابعة فتحوا الباب وجعلوا ذلك مكان كنيسة ولما فتح المسلمون البلاد اتخذه بعض الناس مسجدا وأهل العلم ينكرون ذلك وهذه البقاع وأمثالها لم يكن السابقون الاولون يقصدونها ولا يزورونها فانها محال الشرك ولهذا توجد فيها الشياطين كثيرا وقد رآهم غير واحد على صورة الانسان ويقولون انهم رجال الغيب يظنون انهم رجال من الانس غائبون عن الابصار وإنما هم جن والجن رجال كما قال تعالى (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن) وما أحدث

في الاسلام من المساجد على القبور هو من فعل من لم يعرف شريعة الاسلام وما بعث الله به محمدا ﷺ من كمال التوحيد واخلاص الدين لله وحده وسد ابواب الشرك التى يفتحها الشيطان ولهذا يوجد من كان ابعد عن التوحيد والاخلاص ومعرفة الاسلام اكثر تعظيما لمواضع الشرك فالعارفون بسنة رسول الله ﷺ وحديثه اولى بالتوحيد والاخلاص وأهل الجهل بذلك أقرب للشرك والبدع ولهذا يوجد في الرافضة أكثر مما يوجد في غيرهم لانهم أجهل من غيرهم واكثر شركا وبدعاً ولهذا يعظمون المشاهد ويخربون المساجد فان المساجد لايصلون فيها جمعة ولا جماعة والمشاهد يعظمونها حتى يرون زيارتها أولى من الحج وكلما كان الرجل اتبع لدين محمد ﷺ كان هو اعظم توحيد الله واخلاصا له واذا بعد عن متابعته نقص من دينه بحسب ذلك ، فاذا أكثر بعده عنه ظهر فيه من الشرك والبدع ما لا يظهر فيمن هو أقرب منه لاتباع الرسول والله انما أمر بالعبادة في المساجد وهو عمارتها . قال تعالى (انما يعمر مساجد من آمن بالله واليوم الآخر) ، ولم يقل مشاهد الله . وأما نفس بناء المسجد فيجوز ان يبنيه البر الفاجر وذلك يسمى بناء كما قال : « من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة » ثم كثير من المشاهد واكثرها كذب كالذي بالقاهرة على رأس الحسين رضى الله عنه فان رأسه لم يحمل الى هناك . وكذلك مشهد عليّ رضى الله عنه انما حدث في دولة بني بويه . قال الحافظ[1] وغيره هو قبر المغيرة بن شعبة ، وعليّ انما دفن بقصر الامارة بالكوفة ، ودفن معاوية بقصر الامارة بدمشق ، ودفن عمرو بن العاص بقصر الامارة بمصر خوفاً عليهم اذا دفنوا ان ينبشهم الخوارج ، انتهى . وكان العلماء رضى الله عنهم من قديم الزمان ينكرون هذا الذي حدث في هذه الازمنة من تعظيم القبور وبنائها وبناء المشاهد والمساجد عليها ودعائها وسؤال اهلها الحاجات وتفريج الكربات ويبينون للناس ان هذا خلاف دين الاسلام الذي بعث الله به رسوله ﷺ ودخول في دين عبادة الاوثان ، فليس هذا الذي بيّنه الشيخ رحمه الله للناس

---

(١) بياض في الاصل .

من النهي عن دعوة اهل القبور والاشراك بهم والتبرك بالاشجار فهما فهمه من تلقاء نفسه دون ان يفهمه احد من علماء هذه الامة ، بل العلماء كلهم من جميع المذاهب مطبقون على النهي عنه والانكار والتغليظ على من فعله من الجهال وازالة ما قدروا عليه من ذلك ، ومرادي بالعلماء هم الذين يعتد بهم في معرفة الحلال والحرام المشهورون بالعلم والمعرفة عند اهل الاسلام الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم ، بل يجاهدون في سبيل الله اهل البدع والآثام بحسب استطلاعاتهم وقدرتهم إما باليد أو باللسان أو بالقلب وهو أضعف مراتب الايمان . وقد ثبت ان رسول الله ﷺ قال « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان » . وقال ﷺ « اذا امرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » ، اخرجاه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه ، ومن ذلك ما ذكره الامام محمد ابو بكر الطرطوشي رحمه الله في كتابه المشهور الذي سماه كتاب الحوادث والبدع . روى البخاري عن ابي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون حولها وينوطون بها اسلحتهم ، فمررنا بسدرة ، فقلنا يا رسول الله : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال رسول الله ﷺ : الله اكبر ، هذا كما قالت بنوا اسرائيل لموسى ، اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم فانظروا رحمكم الله اينما وجدتم سدرة او شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأنها ويرجون البرء او الشفا من قبلها وينوطون المسامير والخرق فهى ذات أنواط فاقطعوها ، انتهى كلامه رحمه الله . فانظر رحمك الله الى تصريح هذا الامام بأن كل شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ويرجون الشفاء والعافية من قبلها فهى ذات أنواط التي قال رسول الله ﷺ لاصحابه لما طلبوا منه ان يجعل لهم شجرة كذات أنواط ، فقال : « الله اكبر هذا كقول بني اسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً ، مع انهم لم يطلبوا إلا مجرد مشابهتهم في العكوف عندها وتعليق الاسلحة للتبرك ، فتبين لك بهذا ان من جعل قبراً او حجراً او شجرة

او شيئاً حياً او ميتاً مقصوداً له وعظمه ودعاه واستغاث به وتبرك به وعكف على قبره فقد اتخذه إلهاً مع الله . فاذا كان رسول الله ﷺ انكر عليهم بمجرد طلبهم منه مشابهة المشركين في العكوف وتعليق الاسلحة للتبرك ، فما ظنك بما هو اعظم من ذلك واطم الشرك الاكبر الذي حرمه الله ورسوله ، واخبر ان اصلح الخلق لو يفعله لحبط عمله وصار من الظالمين . فصلواة الله وسلامه عليه كما بلغ البلاغ المبين وعرفنا بالله وأوضح لنا الصراط المستقيم ، فحقيق بمن نصح نفسه وآمن بالله واليوم الآخر ان لا يغتر بما عليه اهل الشرك من عبادة القبور من هـذه الامة . وقال الامام ابو الوفا بن عقيل الحنبلي رحمه الله تعالى : لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن اوضاع الشرع الى اوضاع وضعوها لانفسهم فسهلت عليهم اذا لم يدخلوا تحت امر غيرهم . قال وهم عندي كفار بهذه الاوضاع مثل تعظيم القبور واكرامها والزامها لما نهى عنه الشرع من ايقاد السرج وتقبيلها وتخليقها وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها يا مولاى افعل بي كذا وكذا واخذ تربتها تبركا بها وافاضة الطيب على القبور وشد الرحال اليها والقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد الكف ولم يتمسح بأجر مسجد المأموسة يوماً الا ربعا ولم يقل الحمالون على جنازته الصديق ابو بكر او محمد وعليّ ، او لم يعقد على قبر أبيه ازجا بالجص والاجر ولم يخرق ثيابه الى الذيل ولم يرق ماء الورد على القبر ، انتهى . فتأمل رحمك الله ما ذكره هذا الامام الذي هو اجل أئمة الحنابلة ، بل من اجل أئمة الاسلام وما كشفه من الامور التي يفعلها الخواص من الانام فضلا عن النساء والغوغاء والعوام مع كونه في سادس القرون والناس اذ ذاك لما ذكره يفعلون يتضح لك فساد ما زخرفه المبطلون وموّه به المتعصبة والملحدون ، وقال ابن القيم رحمه الله في اغاثة اللهفان .

فصل

ثم ان في اتخاذ القبور أعيادا من المفاسد العظيمة التى لا يعلمها الا الله تعالى ما يغضب لأجله كل من في قلبه وقار لله تعالى وغيرة على التوحيد وتهجين وتقبيح للشرك ولكن ما لجرح بميت ايلام فمن مفاسد اتخاذها أعياد الصلاة اليها والطواف بها وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود على ترابها وعبادة أصحابها والاستغاثة بهم. وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الديون وتفريج الكربات ، واغاثة اللهفات ، وغير ذلك من أنواع الطلبات ، التى كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيدا وقد نزلوا عن الاكوار والدواب اذا رأوها من مكان بعيد فوضعوا لها الجباه وقبلوا الأرض وكشفوا الرؤوس وارتفعت أصواتهم بالضجيج ، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج ، ورأوا انهم قد أربوا في الربح على الحجيج ، فاستغاثوا بمن لا يبدي ولا يعيد ، ونادوا ولكن من مكان بعيد ، حتى اذا دنوا منها صلوا عند القبر ركعتين ، ورأوا انهم قد احرزوا من الأجر ولا أجر من صلى الى القبلتين ، فتراهم حول القبر ركعا سجدا يبتغون فضلا من الميت ورضوانا ، وقد ملؤا اكفهم خيبة وخسرانا ، فلغير الله بل للشيطان ما يراق هناك من العبرات ، ويرتفع من الاصوات ، ويطلب من الميت من الحاجات ، ويسأل من تفريج الكربات ، واغناء ذوي الفاقات ، ومعافات أولى العاهات ، والبليات ، ثم انبثوا بعد ذلك حول القبر طائفين تشبيها له بالبيت الحرام الذي جعله الله مباركا وهدى للعالمين ، ثم أخذوا في التقبيل والاستلام ، ارأيت الحجر الأسود وما يفعل به وفد البيت الحرام ، ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود ، الذى يعلم الله انها لم تعفر كذلك بين يديه في السجود ، ثم كملوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق ، واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن اذ لم يكن لهم عند الله من خلاق ، وقربوا لذلك الوثن القرابين ، وكانت

صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين ، فلو رأيتهم يهني بعضهم بعضا ، ويقول اجزل الله لنا ولكم اجرا وافرا وحظا ، فاذا رجعوا سألهم غلاة المتخلفين ان يبيع أحدهم ثواب حجة القبر بحج المتخلف الى البيت الحرام ، فيقول لا ولو بحجك كل عام ، هذا ولم نتجاوز فيما حكيناه عنهم ولا استقصينا جميع بدعتهم وضلالهم اذ هى فوق مايخطر بالبال ، أو يدور في الخيال ، وكان هذا مبدأ عبادة الأصنام في قوم نوح كما تقدم وكل من شم ادني رائحة من العلم والفقه يعلم ان من اهم الأمور سد الذريعة الى هذا المحذور وان صاحب الشرع اعلم بعاقبة ما نهى عنه وما يؤل اليه واحكم في نهيه عنه وتوعد عليه وان الخير والهدى في اتباعه وطاعته والشر والضلال في معصيته ومخالفته ثم ذكر كلام أبي الوفا بن عقيل المتقدم ذكره ثم قال ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وما امر به ونهى عنه وما كان عليه اصحابه وبين ما عليه اكثر الناس اليوم رآى احدهما مضادا للاخر مناقضا له بحيث لايجتمعان ابدا فنهى رسول الله ﷺ عن الصلاة الى القبور وهؤلاء يصلون عندها ونهى عن اتخاذها مساجد وهؤلاء يبنون عليها المساجد ويسمونها مشاهد مضاهاة لبيوت الله تعالى ونهى عن ايقاد السرج عليها وهؤلاء يوقفون الوقوف على ايقاد القناديل عليها ونهى ان يتخذ عيدا وهؤلاء يتخذون اعيادا ومناسك ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو اكثر وامر بتسويتها كما روى مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الاسدى قال قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الا ابعثك على ما بعثني رسول الله ﷺ ان لا ادع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا الا سويته وفي صحيحه ايضا عن ثمامة بن شفي قال كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فسوي ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها وهؤلاء يبالغون في مخالفة هذين الحديثين ويرفعونها من الأرض كالبيت ويعقدون عليها القباب ونهى عن تجصيص القبر والبناء كما روى مسلم في صحيحه عن جابر قال : نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر وأن يقعد عله وأن يبني عليه بناء ونهى عن الكتابة عليها كما روى أبو داود في سننه عن جابر رضي الله

عنه ان رسول الله ﷺ نهى ان تجصص القبور وان يكتب عليها قال الترمذي حديث حسن صحيح وهؤلاء يتخذون عليها الألواح ويكتبون عليها القرآن ونهى ان يزاد عليها غير ترابها كما روى ابو داود من حديث جابر أيضا ان رسول الله ﷺ نهى ان يجصص القبر أو يكتب عليه او يزاد عليه وهؤلاء يزيدون عليه سوى التراب الاجر والاحجار والجص ونهى عمر بن عبد العزيز ان يبني القبر بأجر واوصى ان لا يفعل ذلك بقبره واوصى الاسود بن يزيد ان لا تجعلوا على قبري آجرا وقال ابراهيم النخعي كانوا يكرهون الآجر على قبورهم واوصى ابو هريرة رضي الله عنه حين حضرته الوفاة ان لا يضربوا على قبره فسطاطا وكره الامام احمد أن يضرب على القبر فسطاطا والمقصود ان هؤلاء المعظمين للقبور المتخذينها اعيادا الموقدين عليها السرج الذين يبنون عليها المساجد والقباب مناقضون لما امر به رسول الله ﷺ محادون لما جاء به واعظم ذلك اتخاذها مساجد وايقاد السرج عليها وهو من الكبائر وقد صرح الفقهاء من اصحاب احمد وغيرهم بتحريمه قال ابو محمد المقدسي ولو ابيح اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله ولان فيه تضييعا للمال في غير فائدة وافراطا في تعظيم القبور اشبه تعظيم الاصنام قال ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور لهذا الخبر ولأن النبي ﷺ قال : لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا متفق عليه ولأن تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأموات باتخاذ صورهم والتمسح بها والصلاة عندها ، انتهى. وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين الى ان شرعوا للقبور حجا ووضعوا له مناسك حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتابا وسماه مناسك حج المشاهد مضاهاة منه بالقبور للبيت الحرام ولا يخفى ان هذا مفارقة لدين الاسلام ودخول في دين عباد الأصنام فانظر الى هذا التباين العظيم بين ما شرعه رسول الله ﷺ وقصده من النهى عما تقدم ذكره في القبور وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه ولا ريب ان في ذلك من المفاسد ما يعجز العبد عن حصره فمنها تعظيمها الموقع في الافتتان بها ومنها اتخاذها عيدا ومنها السفر اليها ومنها مشابهة عباد الأصنام بما يفعل عندها من العكوف عليها والمجاورة عندها

على المجاورة عند المسجد الحرام ويرون سدانتها افضل من خـــدمة المساجد والويل عندهم لقيمها ليلة يطفى القنديل المعلق عليها ومنها النـذر لها ولسدنتها ومنها اعتقاد المشركين بها ان بها يكشف البلاء وينصر على الأعداء ويستنزل غيث السماء ويفرج الكروب ويقضي الحوائج وينصر المظلوم ويجار الخائف الى غير ذلك ومنها الدخول في لعنة الله تعالى ورسوله باتخاذ المساجد عليها وابقاء السرج عليها ومنها الشرك الاكبر الذى يفعل عندها ومنها إيذاء اصحابها بما يفعله المشركون بقبورهم فانهم يؤذيهم ما يفعل عند قبورهم ويكرهونه غاية الكراهة كما ان المسيح يكره ما تفعله النصارى عند قبره وكذلك غيره من الانبياء والاولياء والمشايخ يؤذيهم ما يفعله اشباه النصارى عند قبورهم ويوم القيامة يتبرؤن منهم كما قال تعالى: (ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء ام هم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان ينبغى لنا ان نتخذ من دونك من اولياء ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بورا) قال الله للمشركين فقد كذبوكم بما تقولون وقال تعالى (واذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق) الآية وقال تعالى (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون) ومنها مشابهات اليهود والنصارى في اتخاذ المساجد والسرج عليها ومنها محادة الله ورسوله ومناقضة ما شرعه فيها ومنها التعب العظيم مع الوزر الكثير والاثم العظيم ومنها إماتة السنن واحياء البدع ومنها تفضيلها على خير البقاع واحبها الى الله فان عباد القبور يقصدونها من التعظيم والاحترام والخشوع ورقة القلب والعكوف بالهمة على الموتى بما لا يفعلونه في المساجد ولا يحصل لهم فيها نظيره ولا قريب منه ومنها ان ذلك يتضمن عمارة المشاهد وخراب المساجد ودين الله الذي بعث به رسوله بضد ذلك ولهذا كانت الرافضة من ابعد الناس عن العلم والدين عمروا المشاهد واخربوا المساجد ومنها ان الذى

شرعه الرسول ﷺ عند زيارة القبور انما هو تذكر الآخرة والاحسان الى المزور بالدعاء له والترحم عليه والاستغفار له وسؤال العافية فيكون الزائر محسناً الى نفسه والى الميت فقلب هؤلاء المشركون الامر وعكسوا الدين وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت ودعائه والدعاء به وسؤالهم حوائجهم واستنزال البركات منه ونصره لهم على الاعداء ونحو ذلك فصاروا مسيئين الى نفوسهم والى الميت ، انتهى . فتأمل ماذكره الشيخ رحمه الله تعالى وماذكره العلماء من المفاسد العظيمة التى اعظمها الشرك بالله الشرك الاكبر وادناها ما يفعلونه من الكبائر التى حرمها الله ورسوله ، وذلك بسبب تعظيمها والغلو فيها كما فعلت اليهود والنصارى فمن تأمل ما ذكره أهل العلم تبين له حقيقة ما دعا اليه الشيخ من توحيد الله واخلاص العبادة له وتبين له خطأ المغرورين في انتحالهم غير سبيل المؤمنين من تعظيم المشاهد وطلبهم من أربابها ما لا يقدر عليه الا الله تعالى ، وأما قوله: وذلك بزعمه الفاسد والا فان الفاعل هو الله حقيقة كرامة منه لانبيائه وأوليائه اذا توسلوا بهم كما وقع من النبي ﷺ في الاحاديث الصحيحة لما توسلوا به حياً وميتاً سقاهم الله به في حياته بنفسه استسقوا به وبعد مماته أمرتهم سيدتنا عائشة الى قوله وانما يعتقدون الوجاهة لهم عند الله في أمر جزئي وينسبون لهم مجازا ويعتقدون ان الاصل والفعل لله تعالى .

والجواب ان يقال : بل الزعم الفاسد والقصد الكاسد ما تضمنه كلامك من الامور الشركية والمفاسد فأما قوله فان الفاعل هو الله حقيقة وان اسناد الغوث الى الاموات والغائبين مجاز ولا فرق بين الحي والميت عنده في ذلك لان الله هو الفاعل حقيقة فهذا تخليط وهذيان فان الله لم يجعل للعباد قدرة على مايختص بهم من الاغاثة المطلقة ، واما الاغاثة بالاسباب العادية وما هو في طوق البشر وقدرتهم فهذا ليس الكلام فيه ، والاموات لا قدرة لهم على الأسباب العادية (وما يستوى الاحياء ولا الأموات) والمسلمون متفقون على قول ما شاء الله كان وما يشأ لم يكن يؤمنون بقوله (والله خلقكم وما تعملون) خلق في الحي اختياراً ومشيئة بها يثاب وبها يعاقب وبها يكلف والميت ليس له قدرة الحي ولا يكلف بل ينقطع عمله بموته وتطوي صحيفته

ولا يسأل ولا يستقى ولا يرجع اليه في شيء مما للعباد عليه قدرة وسائر الحيوان يفرقون بين الحي والميت ، وهؤلاء الملاحدة لا يفرقون بين الحي والميت ، قال تعالى (وما يستوي الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور) . واستغاثة الميت ليست سبباً كاستغاثة المخلوق فيما يقدر عليه ، ولم يجعل هذا سبباً إلا عباد الاصنام الذين هم أضل خلق الله ، يجعلون الاموات سبباً ووسيلة ، والميت ليس في شرع الله وما جاءت به رسله ان يدعو لمن دعاه ، والكرامة ليست فعله بل هي فعل الله والمكرم لا يُدعى ولا يستغاث به ولا يرجى لشيء من الشدائد ، بل هذا فعل المشركين حذو النعل بالنعل كانوا يدعون الصالحين والانبياء والمرسلين طالبين منهم الشفاعة عند رب العالمين ، كما قال تعالى : (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) . وقال تعالى : (ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى) على ان القول باسناد الغوث الى الله تعالى اسناد حقيقي باعتبار الخلق والايجاد والى الانبياء والصالحين اسناد مجازي باعتبار السبب والكسب بديهي البطلان ، بيانه من وجوه ، الاول : انه لو كان مناط الاسناد الحقيقي اعتبار الخلق والايجاد كما توهم صاحب الرسالة لزم ان يكون اسناد افعال العباد كلها الى الله تعالى حقيقيا ، فان اعتقاد اهل السنة والجماعة ان الخالق لافعال العباد هو الله تعالى ، وهـذا يقتضي ان يتصف الله تعالى حقيقة بالايمان والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وصلة الرحم وغير ذلك من الاعمال الحسنة ، وكذلك يتصف بالاعمال السيئة من الكفر والشرك والفسق والفجور والزنا والكذب والسرقة والعقوق وقتل النفس وأكل الربا وغيرها ، فانه تعالى هو الخالق لجميع الافعال حسنها وسيئها والتزام هذا فعل من لا عقل له ولا دين فانه يستلزم اتصاف الله تعالى بالنقائص وصفات الحدوث واجتماع الاوصاف المتضادة بل المتناقضة . والثاني : لو كان مناط الاسناد المجازي اعتبار السبب والكسب كما زعم هذا الزاعم لزم ان لا يكون الانسان حقيقة مؤمناً ولا كافراً ولا براً ولا فاجراً ولا مصلياً ولا مزكياً ولا صائماً ولا حاجاً ولا مجاهداً ولا زانياً ولا سارقاً ولا قاتلاً ولا كاذباً فيبطل الجزاء والحساب

وتلغو الشرائع والجنة والنار ، وهذا لا يقول به احد من المسلمين . والثالث ان دعوى كون الانبياء والصالحين سبباً للغوث وكاسباً له محتاج الى اقامة الدليل ودونه لا تسمع ، وبالجملة فهذه شبهة داحضة ووسوسة زاهقة ، تنادي بأعلى نداء على صاحبها بالجهل والسفه ، فتبين مما تقدم الفرق بين الحي والميت ، وان الميت لا يقدر على شيء مما يقدر عليه الحي من الاسباب العادية ، فان الاسباب العادية التي يقدر عليها الحي وفي وسعه فهي وان حصلت من العبد فهي حقيقة لا مجاز ولا ينازع في هذا من عرف شيئاً من اللغة ، والعبد يفعل حقيقة فيأكل حقيقة ويشرب حقيقة ، وينصر اخاه ظالماً او مظلوماً حقيقة ، والله سبحانه خلق العبد وما يعمل ، وهذا معروف من عقائد اهل السنة والجماعة ، والمقصود ان هذا الملحد زعم ان طلب المشركين ممن يعبدونه من دون الله مما لا يقدر عليه إلا الله تبارك وتعالى ليس بشرك ، لان الله تعالى هو الفاعل لذلك حقيقة والله سبحانه يعطي لاجلهم اكراماً لهم ، وهكذا كان المشركون السابقون الذين بعث الله اليهم رسوله محمداً ﷺ فانهم كانوا يعلمون ان الله تعالى هو الخالق الموجد . واما الاصنام وسائر المعبودين من دون الله فيقولون انها اسباب ووسائل عادية فمن اجل ذلك كانوا يدعونهم ويستغيثون بهم ويعبدونهم وهذا هو دأب عبدة الصالحين في هذا الزمان يدعونهم ويستغيثون بهم وينحرون لهم وينذرون والدعاء والاستغاثة والنحر والنذر لها من اقسام العبادة على معناها المجازي فكذلك فليحمل لفظ العبادة الواقع في كلام المشركين الاولين الذين حكا الله تعالى عنهم حيث قال سبحانه وتعالى (مانعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى) فما وجه الفرق؟ واما زعمه ان ذلك كرامة لانبيائه واوليائه اذا توسلوا بهم ، فالجواب أن يقال حاشا لله أن تكون اوليائه بهذه المثابة ، فهذا ظن اهل الاوثان كذا اخبر الرحمن (هؤلاء شفعاؤنا عند الله ـ ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى ـ أأتخذ من دونه آلهة إن يُردن الرحمن بضر لا تغني عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون) فان ذكر من ليس شأنه النفع ولا رفع الضر من نبي وولي وغيره على وجه الامداد

منه إشراك مع الله إذ لا قادر على الدفع غيره ولا خير إلا خيره وايضا فإن دعاء الانبياء والاولياء والصالحين والاستغاثة بهم في نيل المقصود ليس سبباً شرعياً فإن هذه من الاسباب المحرمة ولو سلمنا أن الكرامات سبب فمن أين يؤخذ انها سبب يقتضي دعاء من قامت به أو فعلت له ومن أي وجه دلت الكرامة على هذا ؟وأفضل الناس الرسل والملائكة من أفضل خلق الله ولهم من المعجزات والكرامات والمقامات ماليس لغيرهم فقد جاء عيسى بن مريم بما هو من أفضل المعجزات والكرامات يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله ويبرىء الاكمه والابرص ويحيي الموتى بإذن الله وينبئهم من الغيب ما يأكلون وما يدخرون ، وقد أنكر تعالى على من قصده ودعاه في حاجاته وملماته وأخبر أن فاعل ذلك كافر به ، ضال بعبادة غيره قال تعالى (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون؟) والارباب هم المعبودون المدعوون ، وقال تعالى فيمن عبد المسيح (قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم) فأخبر تعالى عن المسيح انه لا يملك لمن دعاه نفعاً ولا ضراً وان قل كما يفيده التنكير ، وأبطل عبادته وأنكرها أشد الانكار، ومعجزاته أوضح من الشمس وسط النهار ، وطرد الدليل الذي استدل به هذا الملحد ان يقال بدعاء كل ذي كرامة ومزية إذا اعتقد أن الفاعل هو الله فلا يتوجه الانكار على النصارى في قولهم ياعيسى افعل كذا ياروح القدس اعطني كذا ياوالدة المسيح اشفعي لنا إلى الآلهة لانه من أولى العزم ومن أكابر أهل الكرامات وبهذا يتبين لكل عاقل أن هذه الشبهة هي التي تعلق بها النصارى في دعائه ودعاء أمه فضارعوا النصارى في الغلو بالأنبياء والأولياء واتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا سواء السبيل. وأما قوله: كما وقع من النبي ﷺ في الاحاديث الصحيحة لما توسلوا به حياً وميتاً سقاهم الله الى آخره فالجواب أن يقال : قد ثبت في صحيح البخاري عن أنس أن عمر استسقى بالعباس

ابن عبد المطلب وقال اللهم انا كنا اجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا ، فيسقون فاستسقوا به كما كانوا يستسقون بالنبي ﷺ في حياته وهو انهم يتوسلون بدعائه وشفاعته لهم فيدعو لهم ويدعون معه كالامام والمأمومين من غير ان يكونوا يقسمون على الله بمخلوق كما ليس لهم ان يقسم بعضهم على بعض بمخلوق ، ولما مات النبي ﷺ توسلوا بدعاء العباس واستسقوا به ولهذا قال الفقهاء : يستحب الاستسقاء بأهل الخير والدين والافضل ان يكونوا من اهل بيت النبي ﷺ . وقد استسقى معاوية بيزيد بن الاسود الجرشي وقال : اللهم انا نستسقي بيزيد ابن الاسود يا يزيد ارفع يديك ، فرفع يديه ودعا ودعا الناس حتى امطروا وذهب الناس . ولم يذهب احد من الصحابة الى قبر نبي ولا غيره يستسقي عنده ولا به . قاله شيخ الاسلام ابن تيمية ، اذا علمت هذا فالتوسل صار مشتركا في عرف كثير فبعض الناس يطلقه على قصد الصالحين ودعائهم وعبادتهم مع الله وهـذا هو المراد بالتوسل في عرف عباد القبور وانصارهم وهو عند الله ورسوله وعند أولي العلم من خلقه الشرك الاكبر والكفر البواح ، والاسماء لا تغير الحقائق ، ويطلق ايضاً على مسألة الله بجاه الانبياء والصالحين وحقهم على الله ، ويطلق ايضاً في عرف السنّة والقرآن وعرف أهل العلم بالله ودينه على التوسل والتقرب الى الله بما شرعه من الايمان به وتوحيده وتصديق رسله وفعل ما شرعه من الاعمال الصالحة التي يحبها الرب ويرضاها كما توسل أهل الغار الثلاثة بالبر والعفة واداء الامانة ، فاذا اطلق التوسل في كتاب الله وسنة رسوله وكلام أهل العلم من خلقه فهذا هو المراد لا ما اصطلح عليـه المشركون الجاهلون بحدود ما أنزل الله على رسوله . فاذا تبين لك هذا علمت ان التوسل في عرف هؤلاء الغلاة هو دعاء الانبياء والاولياء والصالحين من الغائبين والاموات ، والطلب منهم قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات واغاثة اللهفات ، والاستغاثة بهم في الملمات والمهمات ، الى غير ذلك من جميع الطلبات ، وأما التوسل بذاته الشريفة ﷺ فليس من محـل النزاع ولا يدل على مشروعيته سؤال الله

بخلقه أو بحق غيره من الانبياء وقد يحصل بدعائه ﷺ أو بذاته ما لا يحصل بالدعاء به والقياس هنا لا يسوغ. وأما قوله: وبعد مماته أمرتهم سيدتنا عائشة أم المؤمنين يفتحون كوة حذاء قبره للشمس فسقوا لما فعلوا ذلك كما اتى في الحديث الصحيح عن مالك الداري فالجواب ان يقال : قد قرر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ان هذا لم يثبت وقال الحافظ المزي في الكلام على أوس ابن عبد الله الربعي ابو الجوزاء البصري قال البخاري في اسناده نظر ويختلفون فيه انما قاله عقب حديث رواه له في التاريخ من رواية عمرو بن مالك النكري والنكري ضعيف عنده ، وقال بن عدي حدث عنه عمرو بن مالك قدر عشرة احاديث غير محفوظة ، وابو الجوزاء روى عن الصحابة وارجو انه لا بأس به ولا يصح روايته عنهم انه سمع منهم وقول البخاري في اسناده نظر يريد انه لم يسمع منهم فعمرو بن مالك النكري قد ضعفه البخاري ولم يذكر الحافظ احدا وثقه . وقد انفرد برواية هذا الحديث فلذلك توقف فيه البخاري ونظر فيه وجزم بضعفه ، ولو سلم هذا الحديث فليس فيه حجة للمبطل لما تقدم من انه ثبت انّ دانيال النبي ﷺ وجـــد على سرير في بيت مال الهرمزان واخبر الفرس انهم يستسقون به فيسقون مع انهم عبّاد نيران ليسوا بأهل كتاب وبركة نبينا ﷺ اعظم مما ذكر واجل مما وصف لكن لا دليل فيه على انه يدعى ويقصد للاستسقاء ولا لغيره بعد وفاته ﷺ وقد كان جسد دانيال النبي عليه السلام عند أهل تستر على السرير في بيت مال الهرمزان وكان عنده مصحف وكانوا اذا قحطوا اخرجوه فامطروا فكتب عامل عمر اليه يخبره بذلك فأمره ان يحفر بضعة عشر قبرا ويدفن ليلا في احدها ليعفى أثره ويخفى خبره والقصة مشهورة ذكرها بن اسحاق في مغازيه . وقد خاف عمر من ان يشرك به ويجعل ندا لله كما جعل عيسى وأمه فاجتهدوا في اخفاء قبره وعدم اظهاره فهذا هو فعل المهاجرين والانصار الذين هم من أعلم الناس بحقه واعظمهم توقيرا له وليس في انزال المطر اذا كشفت اجساد الانبياء أو قبورهم ما يستدل به

على جواز التوسل الشركي بهم فان الامر الشرعي والعبادات الدينية توقيفية لا يجوز احداثها نظرا الى الاسباب القدرية الكونية فإن اسباب الكائنات لا يحصيها الا الله أعيانا وأنواعا ،وليس كل سبب منها يكون ديناً شرعياً محمدياً عليه رسم المدينة هذا وما يحصل ببركته ﷺ اضعاف ما ذكر ولكن الشأن كل الشأن في السير على منهاجه ،والأخذ بأمره والانتهاء عن زجره ونهيه ، وقد حمى حمى التوحيد وسد طرائق الشرك ووسائله حتى قال للوفد الذين قالوا له : انت سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا « السيد الله تبارك وتعالى قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » هذا وقد قال في مقام الاخبار والاعلام « انا سيد ولد آدم ولا فخر » انتهى .

فصل

واما قوله:وزعم النجدي الفاسد انهم جعلوها شركاء مع الله تعالى عن ذلك علواً كبيرا وهذه الدعوى منه باطلة من وجوه بينها الشارح في مواضع أتم بيان منها : ان هذا الاعتقاد الذي نسبه اليهم أمر قلبي لا يطلع عليه الا الله تعالى فمن اين اطلع عليه واعتقده فيهم على سبيل القطع حتى بنى عليه تكفيرهم بل تكفير من لم يكفرهم واستحلال دمائهم واموالهم مع ان الظاهر من حالهم خلافه ؟ والجواب ان نقول : قد كان من المعلوم انهم مادعوهم ولجئوا اليهم واستغاثوا بهم وطلبوا منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات واغاثة اللهفات ونسكوا لهم النسائك وقربوا لهم القرابين الا لما يعتقدون فيهم من جلب منفعة أو دفع ضرر وازالة شدة واغاثة ملهوف وتفريج كربة ، واعتقدوا فيهم انهم يقدرون على مالا يقدر عليه الا الله عز وجل ويفعلون مالا يفعله الا الله عز وجل حتى نطقت السنتهم بما انطوت عليه قلوبهم فصاروا يدعونهم تارة مع الله ،وتارة استقلالا ، ويصرحون باسمائهم ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع

ويخضعون لهم خضوعاً زائداً على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الدعاء وهذا هو اعتقاد كفار قريش الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ وقاتلهم عليه ليكون الدين كله لله وان يخلصوا العبادة له ويخلعوا الانداد المدعوة من دونه فمن طلب من مخلوق مالا لا يقدر عليه الا الخالق فقد اشرك ذلك المخلوق في عبادة الله سواء كان المدعو نبياً أو ملكا أو رجلا صالحا أو غير ذلك فظهر بأفعالهم الشركية ما انطوت عليه العقائد القلبية بل صرحوا بذلك في اقوالهم وما اعتمدوا عليه في احوالهم حتى نطقوا بما اعتقدوه جهارا فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا .واما قوله: ومنها على تسليم ان ذلك شرك فهو من الشرك الاصغر كقول القائل ضرني اللبن وذلك لا يقتضي الكفر لانه لم يعتقد في اللبن ما يعتقده في جانب الحق تبارك وتعالى من الالوهية وكذلك هؤلاء مهما عظموا الانبياء والاولياء فانهم لا يعتقدون فيهم ما يعتقدون في جانب الحق تبارك وتعالى من الخلق الحقيقي التام العام وانما يعتقدون الوجاهة لهم عند الله في أمر جزئي وينسبونه لهم مجازا ويعتقدون ان الاصل والفعل لله سبحانه وتعالى.فالجواب ان يقال :هذا قول جاهل مركب لا يدرى ولا يدري انه لا يدري فان قول القائل ضرني اللبن أي صار سبباً في مضرتي والاسباب العادية لا محذور فيها ولا نكير وليست من الشرك الاصغر والاكبر في شيء ونسبة الفعل اليه غاية ما قالوا فيه انه مجاز عقلي كما يعلم من رسالة السكاكي والاضافة تقع ولو لأدنى ملابسة ولو كان من الشرك الاصغر لما قال امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قتلني الكلب يعني ابا لؤلؤه غلام المغيرة واما اعتقاد المشركين فيمن عبدوه من دون الله فانما هو اشراك في الالوهية بالافعال الصادرة منهم كالدعاء والحب والخوف والرجاء والتوكل والاستغاثة والذبح والنذر والانابة والخضوع والخشوع والذل والالتجاء والاستعانة والاستعاذة وغير ذلك من انواع العبادة التي اختص الله بها دون من سواه فمن صرف منها شيئاً لغير الله كان مشركاً سواء اعتقد التأثير ممن يدعوه ويرجوه أو لم يعتقد فمن صرف

من هذه العبادة المتقدم ذكرها شيئاً لغير الله فقد عبد ذلك الغير واتخذه الهاً واشركه مع الله في خالص حقه وان فر من تسمية فعله ذلك تألهاً وعبادة وشركاً ومعلوم عند كل عاقل ان حقائق الاشياء لاتتغير بتغير الاسماء فلا تزول هذه المفاسد بتغير اسمائها كتسمية كبادة غير الله توسلاً وتشفعاً وتعظيماً للصالحين وتوقيرا فالاعتبار بحقائق الامور لا بالاسماء والاصطلاحات فالحكم يدور مع الحقيقة لا مع الاسماء وقوله وكذلك هؤلاء مهما عظموا الانبياء والاولياء فانهم لا يعتقدون فيهم ما يعتقدون في جناب الحق تبارك وتعالى. من الخلق الحقيقي التام العام وانما يعتقدون الوجاهة لهم عند الله في أمر جزئي الى آخر كلامه فالجواب ان نقول ما اشبه الليلة البارحة لقد والله امكنت الرامي من سواء الثغرة فان قولك هذا هو شرك جاهلية العرب الذين بعث الله فيهم رسوله محمدا ﷺ فانهم كانوا يدعون الانبياء والاولياء والملائكة والصالحين يلتجئون اليهم ويعظمونهم ويسألونهم على وجه التوسل بجاههم وشفاعتهم ليقربوهم الى الله كما حكى الله ذلك عنهم في مواضع من كتابه قال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الآية) وقال تعالى (والذين اتخذوا من دونه اولياء مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) وقال تعالى (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون) ومن المعلوم ان الكفار الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ وقاتلهم واستحل دماءهم واموالهم كانوا مقرين ان الله هو الخالق الرازق المحي المميت النافع الضار المدبر لجميع الامور ويعتقدون أن الله هو الفاعل لهذه الاشياء وانه لا مشارك له في ايجاد شيء واعدامه وان النفع والضر بيده وانه هو رب كل شيء ومليكه ولا يعتقدون ان آلهتهم التي يدعونها شاركوا الله في خلق السموات والارض واستقلوا بشيء من التدبير والتأثير والايجاد بل هم معترفون بهذا مقرون به لا ينازعون فيه ولكن لم يدخلهم ذلك في الاسلام وقاتلهم رسول الله ﷺ الى ان يكون الدين كله لله.

وهكذا حـــال عباد القبور في هذه الازمان حذو النعل بالنعل واما قوله وينسبونه لهم مجازا فأقول قد تقدم ان طلب الاغاثة وقضاء الحوائج من الاموات والغائبين مما لا يقدر عليه الا الله اشراك به في الميته لايشك في ذلك مسلم واما الاستغاثة التي هي من جنس الاسباب العادية التي يقدر عليها المخلوق وفي وسعه فهي وان حصلت من العبد فهي حقيقة لا مجاز فلا ينازع في هذا من عرف شيئاً من اللغة والعبد يفعل حقيقة فيأكل حقيقه ويشرب حقيقة ويهب حقيقة وينصر اخاه ظالماً أو مظلوما حقيقة والله سبحانه خلق العبد وما يفعل وهذا معروف من عقائد أهل السنة والجماعة .

فصل

واما قوله : ومنها انه اذا اراد رجل ان يدخل في دينه يقول أشهد على نفسك أنك كنت كافراً واشهد على والديك انهما ماتا كافرين واشهد على العالم الفلاني والفلاني انهم كفار وهكذا فان شهد بذلك قبله والا قتله الى غير ذلك مما ذكر الشارح من فضائحه وقبائحه وزندقته بل مما يدل على كفره . فالجواب ان يقال : قد كان من المعلوم والمتقرر المفهوم ان هذا من تزوير اعداء الله واعداء رسله وشرعه ودينه وقد اجاب عن هذا كله الشيخ محمد رحمه الله وابنه الشيخ عبدالله بن محمد وقالا في الجواب سبحانك هذا بهتان عظيم .

فصل

ثم قال هذا الملحد وأهم من هذا كله ماذكره النبي ﷺ الصادق المصدوق فيه أي في النجدي كما بينه في مقدمة الشرح من الاحاديث الكثيرة المبينـــة لعلامات الخوارج مما يبين ان ابن عبد الوهاب واتباعه منهم ككونهم من نجد وكونهم من الشرق ومعلوم ان نجد شرقي المدينة كما جاء عنه عليه السلام لولا الفجر يأتي من المشرق أي مشرق المـــدينة لما نظرت اليه وكون

سيماهم التحليق مع كونهم من المشرق والجواب ان نقول الله اكبر على هؤلاء الملاحدة الذين يقولون على الله وعلى رسوله وعلى اهل العلم من خلقه بغير علم بل بالكذب والزور وتحريف الكلم عن مواضعه وَلَيِّ مَعَاني احاديث رسول الله ﷺ فنقول في سبيل النقض والاختصار ان ما ورد من الاحاديث عن النبي ﷺ في ذكر الخوارج وكونهم من نجد ومن المشرق ان المراد به العراق كما قال في الفتح تحت قوله ﷺ رأس الكفر نحو المشرق الواقع في كتاب بدء الخلق وفي ذلك اشارة الى شدة كفر المجوس لان مملكة الفرس ومن اطاعهم من العرب كانت من جهة المشرق بالنسبة الى المدينة وكانوا في غاية القوة والتكبر والتجبر حتى مزّق مَلِكُهم كتاب النبي ﷺ كما سيأتي في موضعه واستمرت الفتن من قبل المشرق كما سيأتي واضحاً في الفتن وقال ايضاً تحت قوله ﷺ هل ترون ما أرى ؟ قالوا لا قال فاني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر الواقع في كتاب الفتن وانما اختصت المدينة بذلك لأن قتل عثمان رضي الله عنه كان بها ثم انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك فالقتال بالجمل وصفين كان بسبب قتل عثمان والقتال بالنهروان كان بسبب التحكيم بصفين وكل قتال وقع في ذلك العصر انما تولد عن شيء من ذلك أو عن شيء تولد عنه ثم ان قتل عثمان كان أشد اسبابه الطعن على أمرائه ثم عليه بتوليته لهم وأول ما نشأ ذلك من العراق وهي من جهة المشرق فلا منافاة بين حديث الباب وبين الحديث الآتي أن الفتنة من قبل المشرق . وقال الخطابي : نجد من جهة المشرق ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها وهي مشرق أهل المدينة واصل النجد ما ارتفع من الارض وهو خلاف الغور فانه ما انخفض منها وتهامة كلها من الغور ومكة من تهامة انتهى. وقال الحافظ ايضاً في الفتح في آخر كتاب التوحيد تحت قوله ﷺ يخرج ناس من قبل المشرق : تقدم في كتاب الفتن انهم الخوارج وبيان مبدأ امرهم وما ورد فيهم وكان ابتداء خروجهم في العراق وهي من جهة المشرق بالنسبة الى المدينة المشرفة انتهى . واخرج البخاري عن بشر بن عمرو قال : قلت لسهل بن حنيف

هل سمعت النبي ﷺ يقول في الخوارج شيئاً قال سمعته يقول وأهوى بيده قبل العراق يخرج منه قوم يقرؤون القرآن لايجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية فتبين أن المراد بنجد انه العراق وان قوله ﷺ لما قيل له وفي نجدنا قال تلك مواضع الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان فالمقصود به نجد العراق وشرق المدينة وقد ورد ذلك صريحا في حديث بن عمرو نص عليه الخطابي وغيره واما قوله كما جاء عنه عليه السلام لولا الفجر يأتي من المشرق أي مشرق المدينة لما نظرت اليه . فأقول لم يسند هذا الحديث ولم يعزه الى كتاب ولا شك انه مما لا يصح رفعه الى النبي ﷺ ولو صح لكان المراد به العراق لأن العراق هو نجد المدينة ومشرقها وتلك شكاة خارج عنك عارها .
وأما قوله قال السيد العلامة سليمان الاهدل مفتي زبيد يكفي في التصنيف والرد على النجدي الحديث الصحيح في البخاري فرن العلامتين سيماهم التحليق وانهم من المشرق . فالجواب ان التحليق من سيما الخوارج وقد بينا فيما تقدم ان خروجهم كان من العراق الذى هو مشرق المدينة وقد وقع مصداق ذلك في الخوارج الذين خرجوا على عليّ رضي الله عنه من العراق ونواحيه وأما أهل اليمامة فليس التحليق واقعا على جميعهم بل الغالب عليهم تسريح شعورهم كما كان ذلك واقعاً من الصحابة في المدينة المنورة وغيرها منهم من يحلق ومنهم من يسرح شعره . قال ابن عبد البر قد أجمع العلماء في جميع الامصار على اباحة الحلق فلم تجتمع فيهم الخصلتان المذكورتان فتبين جهل الاهدل ، وانه مشى على غير السنن الاعدل . بل كان مع قلة معرفته بالدين وأهله كان عديم المعرفة بالجهات والاقطار ، وبأقوال أهل التاريخ والاخبار فلا يلتفت اليه ولا يعول عليه لجهله وعدم معرفته . وأما قوله فمن ذلك ما أخرجه في المشكاة عن حذيفة رضي الله عنه قال ما ادري أنسي اصحابي أم تناسوا والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه واسم قبيلته رواه ابو داود . فالجواب ان يقال : ماذكره

رسول الله ﷺ وصح عنه فهو الحق الذي لا مرية فيه والشيخ رحمه الله ليس هو من قواد الفتن بل هو من الدعاة الى الله والى دينه بل الذي يصدق على الشيخ قوله ﷺ ان الله يبعث على رأس كل قرن من يجدد لهذه الامة أمر دينها او كما قال ﷺ وقد جدد رحمه الله ما اندرس من معالم الحنيفية ودعا الى الله والى توحيده واخلاص العبادة له وترك عبادة ما سواه كما هو معروف مشهور عند من سلمت سريرته وحمدت في الاسلام سيرته . ثم إن هذا الحديث ليس فيه أن كل قائد فتنة يكون من الخوارج ، واما قوله وذكر في حاشية البخاري عند قوله عليه الصلاة والسلام من علامات الساعة ان ترى اهل البهم والابل يملكون الناس بالقهر ويتطاولون في البنيان ومن علامات ابلهم انها سودوهم طوال الوجوه وصغار الاعيان على ابدانهم الكمودة وهم خضر وابدانهم سود انتهى .

فالجواب أن نقول هذا الحديث ذكره الملحد بغير اسناد وما كان هذا سبيله فلا يعتمد عليه الا بعد تصحيحه وتوثيق رواته وتعديلهم وعلى تقدير ثبوته وصحته فلا ينطبق هذا الوصف على أهل اليمامة بل على الجفاة من أهل البوادي أهل الابل والفخر والخيلاء ، وأما من آمن بالله ورسوله منهم ومن غيرهم فلا يدخل في هذا الوصف مع أن هذه الاوصاف لاتكاد توجد فيهم فلا متعلق في هذا لمبطل ولله الحمد والمنة ،وقوله: ويكفيك دعاء النبي ﷺ وأبي بكر الصديق رضي الله عنه على أهل نجد أنهم لا يزالون في شر وبلية من كذابهم ما بقيت الدنيا الى أن يعصمهم الله ، والجواب أن نقول : لم يرد عن النبي ﷺ حديث في الدعاء على أهل اليمامة كما زعم هذا الملحد بل الذي صح عن النبي ﷺ بأنهم سفهاء الاحلام وان الفتنة تظهر من قبلهم فهم الخوارج الذين خرجوا من العراق ولم يدخل في هذا الوصف من يؤمن بالله ورسوله من أهل نجد وأهل اليمامة ولا من غيرهم بل الموصوف باجماع المسلمين هم الحرورية الخارجون على علي رضي الله عنه الذين قاتلهم علي بالكوفة والبصرة وما يليهما وفيهم من بنى يشكر ومن طي وتميم وغيرهم من قبائل العرب ودارهم ومسكنهم بالعراق ولا يختلف في هذا وهي دار سفهاء الاحلام بنص الحديث وباجماع الامة

ودولتهم وشوكتهم كانت هناك دون النهر وان ولذلك نسبوا اليها فقيل أهل النهر وان حروراء هناك بلدة نسبوا اليها فقيل الحرورية فاين في الحديث انهم أهل اليمامة ما أقبح الكذب وما أعظم خـــزي مبديه فمن آمن بالله ورسوله وكذب مسيلمة ولم يؤمن به فهو من المؤمنين وقد وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأما قول الصديق فالمراد به من آمن بمسيلمة وأدركه منهم كما وقع من ابن النواحة ، وأما من بعدهم من نسلهم وذراريهم المؤمنين فلا يتوجه اليهم عيب ولا ذم والصديق أجل من أن يعيب من لم يؤمن بمسيلمة ولم يشهد عصره وآباء أصحاب رسول الله ﷺ وأسلافهم كانوا على جاهلية وشرك وعبادة للأصنام والاحجار وغيرها ولا يتوجه عيب أحد منهم بأسلافه وقد يخرج الله من أصلاب المشركين والكفار من هو من خواص أوليائه وأصفيائه ، ولما استأذن ملك الجبال رسول الله ﷺ ان يطبق الاخشبين لما رجمه أهل الطائف ودعا بدعائه المشهور وهو قوله « أشكوا ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس أنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكلنى الى بعيد يتجهمنى أو الي قريب ملكته أمري إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي غير أن عافيتك هي أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي سخطك أويحل علي غضبك لك العتبي حتى ترضي ولا حول ولا قوة إلا بك » فاستأذنه الملك عند ذلك فقال بل إنتني بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده ولا يشرك به شيئاً .

فصل

ثم ساق هذا الملحد ما ورد من الاحاديث في الخوارج ، وهي حق نؤمن بها ونصدق ولكن أعداء الله ورسوله يتأولونها ويضعونها في غير مواضعها بغياً وعدوانا حسداً من عند أنفسهم أن ينزل الله من فضله على من يشاء من

عباده ، وقد بينا كلام العلماء فيما تقدم ان المراد بالمشرق ونجد هو العراق ، وليس منها حديث واحد منطبقا على حال الشيخ محمدبن عبد الوهاب واتباعه ولله الحمد والمنه لأنه لا يكون من الخوارج الا من يستن بسنة هؤلاء الذين خرجوا على علي رضي الله عنه فمن يأتي بعد هؤلاء الذين خرجوا على علي ومرقوا من الدين ممن يصلي ويتخشع ويقرأ كتاب الله الى يوم القيامة ويجتهد في التلاوة والعبادة لا يكون من الخوارج بالضرورة وإلا لزم أن يكون معظم الامة من أهل الفقه والحديث من الخوارج بل من سلك مسلكهم من قتل أهل الاسلام وودع أهل الاوثان وتكفير من لايعتقد معتقدهم واباحة دمه وماله وأهله وان عثمان وعليا أصحاب الجمل وصفين وكل من رضي بالتحكيم كفار وان كل من أتي كبيرة فهو كافر مخلد في النار أبدا وان من لم يخرج ويحارب المسلمين فهو كافر ولو اعتقد معتقدهم وابطال رجم المحصن وقطع يد السارق من الابط وايجاب الصلاة على الحائض في حال حيضها وكفر من ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ان كان قادراً وان لم يكن قادر فقد ارتكب كبيرة ، وحكم مرتكب الكبيرة عندهم حكم الكافر وسائر معتقداتهم الفاسدة وأعمالهم الزائغة الكاسدة ولا يتحقق شيء من عقائدهم وأعمالهم في الشيخ وأتباعه بل مذهبهم في أصـــول الدين مذهب أهل السنة والجماعة وطريقتهم طريقة السلف التي هي الطريق الاسلم والاعلم والاحكم وهم في الفروع على مذهب الامام احمد بن حنبل ، ومن روى عنهم شيئا من تلك الاوضاع فقد كذب عليهم وافترى ، وهذا ظاهر لمن طالع كتابه كتاب التوحيد وسائر الرسائل المؤلفة للشيخ رحمـه الله ، ثم اعلم أيهـا الواقف على ماذكرناه أن هؤلاء الملاحدة الغلاة يتأولون أحاديث رسول الله ﷺ على غير تأويلها ويضعونها في غير مواضعها . فمن ذلك قوله بعد قوله وفي المشكاة في أحد حديثيهم شر من تظل السماء يومئذ علماؤهم منهم خرجت الفتنة وفيهم تعود ، وقوله عليه الصلاة والسلام منهم خرجت الفتنة المراد مسيلمة الكذاب

وقوله وفيهم تعود المراد ابن عبد الوهاب واتباعه ، وقد علمت أن هذا أو اشباهه من الاحاديث ان المراد به العراق لما روى مسلم من طريق فضيل ابن غزوان سمعت سالم بن عبد الله بن عمر يقول يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة واركبكم للكبيرة سمعت أبي يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان الفتنة ستجيء من هاهنا » واوما بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان وأين اليمامة من العراق لو كانوا يعملون ؟ ثم أن مسيلمة ليس هو من الخوارج الذين خرجوا على علي بالعراق أو غيره فإن خروج مسيلمة كان على عهد رسول الله ﷺ والخوارج إنما خرجوا بعد ذلك فلا يكون ابتداء فتنة الخوارج من مسيلمة كما زعمه هؤلاء والخوارج مختلف في تكفيرهم ومسيلمة لا خلاف في كفره ، وقوله ومع ذلك فاعلمنى بعض العلماء بحديث للبخاري في صحيحه الآتي انه لا يرجى للوهابية أهل نجد ومن تبعهم أن يرجعوا إلى الحق لأن النبي ﷺ قال « يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم الى قوسه » أي موضع وتره ،وهذا الحديث في صفة الخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه ومن سلك سبيلهم ، وليس الوهابية كذلك بل هم مخالفون لهم في جميع ما خالفوا به أهل السنة والجماعة ، فليس في الحديث نص على الوهابية ولا ذكره أحد من أهل العلم بل هذا من تأويل أعداء الله ورسوله ، وكذلك قوله وفي رواية قرنا الشيطان بالتثنية أي مسيلمة وابن عبد الوهاب ، وقد ثبت في صحيح مسلم من طريق فضيل بن غزوان سمعت سالم بن عبد الله بن عمر يقول يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة ، سمعت أبي يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول ان الفتنة تجيء من هاهنا وأوما بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان كذا فيها بالتثنية وهذا صريح في أنه أراد أهل العراق ولم يرد أهل اليمامة لأن مشرق المدينة العراق كما جاء صريحاً في كلام العلماء فبعدا للقوم الظالمين ولكن أعداء الله يريدون بهذا تنفير العوام عن دين الله ورسوله ويصدون عن سبيل الله من آمن به ويبغونها عوجا .

فصل

وأما قوله وفي بعض التواريخ بعد ذكره لقتال بنى حنيفة قال ويخرج في آخر الزمان في بلد مسيلمة رجل يغير دين الاسلام ولا يتعدي ملكه نجدا واظنّ التاريخ للمسعودي صاحب مروج الذهب . فالجواب أن نقول وهذا أيضاً من جنس الموضوعات المكذوب التي وضعها أعداء الله وأعداء رسوله ودينه فان أهل التواريخ انما يذكرون ما وقع وما كان واما ما لم يقع ولم يكن بعد فهذا لا يثبت ولا يصح الا بخبر عمن لا ينطق عن الهوى ان هو إلا وحى يوحى بر واة الثقات الاثبات ، ولا خبر بذلك عن رسول الله ﷺ فيكون باطلا .

وأيضا فان الشيخ رحمه الله لم يكن من الملوك بل كان هو وأتباعه الذين قاموا بهذا الدين من آل سعود الذين ساعدوه على اظهار دين الله ورسوله وجهاد أعداء الله من الدعاة الى دين الله ورسوله ومما يدل على كذب هؤلاء الملاحدة ان هذا الرجل الذى يخرج في آخر الزمان في بلد مسيلمة الكذاب لا يتعدى ملكه نجدا على زعمهم وقد أعطى الله المسلمين من النصر والعز والظهور مالا يعرف مثله لسكان تلك الفيافي والصخور وقهروا سائر العرب من عمان الى عقبة مصر ومن اليمن الى العراق والشام فقد تعدى ملكهم نجدا فلو كان ما ذكروه عن صاحب هذا التاريخ حقا لم ينطبق على الشيخ محمد وأتباعه لأن ملكهم اتسع من اليمن الى عقبة مصر والى الشام والعراق وعمان كما قال الشيخ الامام عالم الاحساء احمد بن مشرف في أبيات له قال فيها :

فكم ملكوا ما بين ينبع بالقنا ... وما بين جعلان الى جنب مزيد
ومن عدن حتى تنيخ بأيليا ... قلوصك من مبدا سهيل الى الجدى

فصل

قال الملحد: وعنه عليه السلام «انما أخاف على أمتي الأئمة المضلين» وهم رؤساء القوم ومن يدعوهم الى فعل أو اعتقاد ، والجواب : أن يقال ما قاله رسول الله ﷺ فهو الحق وهو الصاق المصدوق والشيخ رحمه الله انما يدعو الخلق الى دين الله ورسوله والى طريقة السلف الصالح والأئمة المهتدين قال رحمه الله تعالى في رسالته التي أرسلها الى عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الاحسائي .وأما ماذكرتم عني فاني لم آته بجهالة بل أقول والله الحمد وله المنة وبه القوة انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ولست ولله الحمد أدعو الى مذهب صوفي أو فقيه أو متكلم أو امام من الأئمة الذين أعظمهم مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم بل ادعوا الى الله وحده لا شريك له وادعوا الي سنة رسول الله ﷺ التي أوصي بها أول أمته وآخرهم وأرجوا أن لا أرد الحق اذا أتاني بل اشهد الله وملائكته وجميع خلقه ان أتي منكم كلمة من الحق لا قبلنها على الرأس والعين ولا ضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي حاشا رسول الله ﷺ فانه لا يقول إلا الحق وقال الشيخ محمد ابن احمد الحفظي التي في أرجوزة له قال فيها :

ولم يزل يدعو الى دين النبي	ليس الى نفس دعا أو مذهب
أو ذهبا أو مذهبا يريد	وانما مطلوبه التوحيد
يعلم الناس معاني أشهد	ان لا إله غير فرد يعبد
محمد نبيه وعبده	رسوله اليكم وقصده
ان تعبدوه وحده لا تشركوا	شيئا به والابتداع فاتركوا
ومن دعا دون الاله أحدا	أشرك بالله ولو محمدا
ان قلتموا نعبدهم للقربة	أو للشفاعات فتلك الكذبة
وربنا يقول في كتابه	هذا هو الشرك بلا تشابه
هذي معاني دعوة الشيخ لمن	عاصره فاستكبروا عن السنن

فاذا تبين لك هذا علمت أن الأئمة المضلين هم هؤلاء الملاحدة الذين يدعون الناس الى الكفر بالله والاشراك به وغيره والى العقائد المحدثة المبدعة في الدين وأما قوله وقد استنبط العلماء من مفهوم قول النبي ﷺ يطلع منها أي نجد قرن الشيطان من معجزاته لأنه أتي بالياء للاستقبال لأن مسيلمة لعنه الله في حياته عليه السلام طلع وادعى النبوة وهلك في خلافة الصديق مقتولا أشر قتلة ولم يطلع قرن الشيطان الا بعد الألف والمائة والخمسين وهو محمد بن عبد الوهاب رأس هذه البدعة وأسها ، فالجواب أن يقال ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار وهذا القول يعود على ما ذكره أولا بالهدم والرد بقوله وفي المشكاة في أحد حديثهم شر من تظل السماء يومئذ علماؤهم منهم خرجت الفتنة المراد بة مسيلمة الكذاب وقوله وفيهم تعود المراد بن عبد الوهاب فقد نقض ما قال هناك بما قاله هاهنا وقد ثبت في الحديث قرنا الشيطان بالتثنية فبطل ما موهوا به وأيضا فيقال فمن هؤلاء العلماء الذين استنبطوا هذا الاستنباط أن يتبعون الا الظن وأنهم ألا يخرصون بل هم من الصم البكم الذين لا يعقلون وعلى قول هؤلاء الملاحدة انما ذكره العلماء من الفتن التى خرجت من العراق ونواحيه وانتشرت في البلاد والعباد كما جرى في الجمل وصفين والنهروان وغيرها لم يكن له أصل ولا حقيقة ولم تكن هذه الفتن خرجت حيث يطلع قرن الشيطان بالعراق ونواحيه ولم يتضح مصداق ما أخبر به النبي من هذه الفتن ولم يكن ما جرى مما أخبر به من معجزاته وانما حدثت هذه الفتن والامور الهائلة العظيمة بعد الألف والمائة والخمسين بدعوة شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب الى دين الله ورسوله في أرض اليمامة وهل هذا إلا مكابرة في الحسيات ومباهتة في الضروريات؟ فهلا نظروا في أحاديث رسول الله ﷺ وكلام أهل العلم عليها كالحافظ ابن حجر رحمه والخطابي والداودي وغيرهم وتذكر من ذلك ما يبين غلط هؤلاء وكذبهم على الله وعلى رسوله وعلى أهل العلم قال الحافظ في الفتح قوله الفتنة ههنا كذا فيه مرتين وفي رواية يونس ها أن الفتنة هاهنا أعادها ثلاث مرات قوله من حيث

يطلع قرن الشيطان أو قال قرن الشمس كذا هنا بالشك وفي رواية عبد الرازق هينا أرض الفتن وأشار الي المشرق يعني حيث يطلع قرن الشيطان وفي رواية شعيب ألا أن الفتنة ههنا يشير الى المشرق حيث يطلع قرن الشيطان وفي رواية يونس مثل معمر لكن لم يقل أو قال قرن الشيطان بل قال يعني المشرق ولمسلم من رواية عكرمة بن عمار عن سالم سمعت بن عمر يقدل سمعت رسول الله ﷺ يشير بيده نحو المشرق ويقول ها أن الفتنة هاهنا ثلاثا حيث يطلع قرن الشيطان وله من طريق فضيل بن غزوان سمعت سالم بن عبد الله بن عمر يقول يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغير واركبكم للكبيرة سمعت أبي يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول ان الفتنة تجيء من هاهنا وأومأ بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان كذا فيه بالتثنية ، انتهى . قال النووي رحمه الله وأما قرنا الشيطان فجانبا رأسه وقيل هما جمعاه اللذان يغريهما باضلال الناس وقيل شيعتاه من الكفار والمراد بذلك اختصاص المشرق بمزيد من تسلط الشيطان ومن الكفر ، انتهى . وقال غيره المراد بقرني الشيطان ربيعة ومضر والدليل عليه حديث أبي مسعود قال : أشار النبي ﷺ بيده نحو اليمن فقال الايمان هاهنا وان القسوة وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الابل حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعـــة ومضر أخرجه مسلم فتبين من هذه الاحاديث أن المراد بالمشرق حيث يطلع قرن الشيطان أنه العراق كما جاء صريحا في حديث بن عمر رضى الله عنهما .

وقال الحافظ في الفتح أيضاً تحت قوله ﷺ راس الكفر نحو المشرق الواقع في كتاب بدء الخلق وفي ذلك اشارة الى شدة كفر المجوس لأن مملكة الفرس ومن اطاعهم من العرب كانت من جهة المشرق بالنسبة الى المدينة وكانوا في غاية القوة والتكبر حتى مزق تلك هم كتاب النبي ﷺ كما سيأتي في مواضعه واستمرت الفتن من قبل المشرق كما سيأتي واضحاً في الفتن . وقال الحافظ أيضاً عند قوله ﷺ هل ترون ما أرى قالوا لا قال فاني لارى الفتن تقع بين خلال

بيوتكم كوقع القطر الواقع في كتاب الفتن وانما اختصت المدينة بذلك لأن قتل عثمان رضي الله عنه كان بها ثم انتشرت الفتن في البلاد وبعد ذلك فالقتال بالجمل وصفين كان بسبب قتل عثمان والقتال بالنهر وان كان بسبب التحكيم بصفين وكل قتال وقع في ذلك العصر انما تولد عن شيء تولد عنه ثم ان قتل عثمان كان أشد أسبابه الطعن على امرائه ثم عليه بتوليته لهم وأول ما نشأ ذلك من العراق وهي من جهة المشرق ، فلا منافاة بين حديث الباب وبين الحديث الآتي ان الفتنة من قبل المشرق انتهى . وقال أيضاً تحت قوله ﷺ اللهم بارك لنا في شامنا الحديث ، وقال الخطابي : نجد من جهة المشرق ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها وهي مشرق أهل المدينة وأصل النجد ماارتفع من الارض وهو خلاف الغور فانه ما انخفض منها وتهامة كلها من الغور ومكة من تهامة ، انتهى . فهذا كلام العلماء واستنباطهم وتنقيحهم للاحاديث النبوية وتبين معانيها والمراد بها لاما ادعاه هؤلاء الملحدون المفترون المؤلون كلام رسول الله ﷺ على ما تهواه انفسهم واين العراق من اليمامة لو كانوا يعقلون ؟ فاذا تحققت ان أن من كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها وهي مشرق أهل المدينة تحققت ان هؤلاء الملاحدة يحرفون الكلم عن مواضعه ويحملون كلام رسول الله ﷺ مالا يحتمل وان هؤلاء العلماء الذين ذكر هذا عنهم ليسوا بأهل علم ولا معرفة بكلام الله وكلام رسوله وماقاله أهل العلم بل هم في غمرة ساهون وفي غيهم يعمون انهم إلا كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون .

فصل

ثم قال الملحد: ويصدق في النجدي الاثر والخبر سيظهر من نجد شيطان تزلزل جزيرة العرب من فتنته والجواب :أن هذا الاثر لم يذكر له سندا ولم يعزه الى الكتاب وما كان هكذا فهو مطرح ساقط لا يلتفت اليه ولا يعول عليه وهذا حاصل بضاعته انه لا يعتمد على حديث صحيح ولا قول يشهد لصحته

العقل والنقل واشد بطلانا من هذا واعظم كذبا على رسول الله ﷺ ماذكره بقوله بل جاء حديث عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عن النبي ﷺ سيخرج في ثاني عشر قرنا في وادي حنيفة رجل كهيئة الثور لا يزال يلعق براطمة به قوباء يكثر في زمانه الهرج والمرج يستحلون أموال المسلمين ويتخذونها بينهم متجراً ويستحلون دماء المسلمين ويتخذونها مفخرا وهي فتنة يعتز فيها الارذلون والسفل تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه الى آخر الحديث وهو طويل وله شواهد تقوي معناه وان لم يعرف مخرجه وهذا كما ترى وعليه من الظلمة وشواهد الكذب ما يعرفه كل عاقل فضلا عن أهل العلم والحديث النقد وقد ابطله هذا الملحد بقوله وان لم يعرف مخرجه . وأيضاً فهذه الصفات التي ذكرها لم يظهر على الشيخ رحمه الله منها شيء ولكن هذا لا يستحي من ذكر هذه الفضائح التي لا يحكيها إلا ذاهب العقل عديم الورع قليل الديانه . وأما قوله: واصرح من ذلك ان هذا المغرور محمد بن عبدالوهاب من تميم ويحتمل انه من عقب ذي الخويصرة التميمي الذي جاء في حديث البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الى آخر ما قال . فالجواب أن يقال لهذا الملحد : ان شيخنا محمد بن عبد الوهاب من رؤوس تميم واعيانهم قال بعض المحققين في الرد على شبه دحلان المخذول أقول لاشك أن الشيخ من رأس تميم وأعيانهم ولكن ليس في حديث البخاري ولا في غير ما يدل على ان كل من هو من تميم أو من ضئضئي ذي الخويصرة مصـــداق لهذا الحديث بل في الحديث لفظة الدالة على التبعيض المنافي لهذه الكلية فاحتمال انه من عقب ذي الخويصرة لا يقتضي كونه من عقب ذي الخويصرة جزما فضلا عن كونه مصداقا لهذا الحديث وتقرير دليل المؤلف على طريقة الميزان يتبين هكذا محمد بن عبد الوهاب من تميم وبعض من هو من تميم من عقب ذى الخويصرة ثم يجعل هذه النتيجة صغرا لقياس آخر فيقال ان محمد بن عبد الوهاب من عقب ذي الخويصرة وبعض من هو من عقب ذي الخويصرة مصداق لحديث البخاري

الوارد في شأن الخوارج لمحمد ابن عبد عبدالوهاب مصداق لحديث البخاري الوارد في شأن الخوارج ولا يخفي جهل هذا المستدل على من له أدنى المام بعلم الميزان إذ كلية الكبرى التي هي شرط الانتاج الشكل الأول مفقودة في القياسين وان ادعى كلية كبرى القياس فيقال أن كلية كبرى القياس الأول بديهة البطلان إذ ليس كل من هو من تميم من عقب ذي الخويصرة وكلية كبرى القياس الثاني أيضاً باطلة لأن الثابت بالحديث انما هو الجزئية التي تدل على لفظة من التبعيضية الواقعة في صدر الحديث ، انتهى . فهذا بطلان ماذكره من الاحتمال على طريقه الميزان ومما يبطله على طريقة أهل المعرفة بالانساب فهو الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن احمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد ابن مشرف بن عمرو بن معضاد بن ادريس بن محمد بن علوى بن قاسم بن مسعود بن عقبة ابن ادريس علوى قاسم بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة بن ساعدة بن ثعلبة بن ربيعة بن ملكان ابن عدي بن عبد مناة بن تميم فاين ذكر ذي الخويصرة فبطل ماقاله هذا الملحد على كل احتمال واما قوله : ولما قتل علي بن أبي طالب رضى الله عنه الخوارج قال رجل الحمد لله الذي ابادهم واراحنا منهم فقال علي رضى الله عنه كلا والذي نفسي بيده ان منهم لمن هو في اصلاب الرجال لم تحمله النساء وليكونن آخرهم مع المسيح الدّجال أقول فيه كلام من وجهين الأول أن المؤلف لم يذكر سنده فلا يصلح هذا لأن يحتج به . والثاني على تقدير ثبوته ليس في الحديث لفظ يقتضي أن المراد به الشيخ واتباعه وأما قوله وبيّن عليه السلام في الحديث الشريف أنه ليس المراد الخواج المتقدمين ووصف المتاخرين بحداثة الاسنان وسفاهة الاحلام الى آخره . فاقولُ قد تقدم بيان ان هذا من صفات الخوارج المارقين الذين خرجوا على علي رضي الله عنه ومن صفاتهم انهم احداث الانسان سفهاء الاحلام فثبت أن هاتين الصفتين في المتقدمين منهم وليس هذا الوصف مطابق للوهابية فان شيخ الاسلام محمد بن عبدالوهاب من رؤوس تميم وتميم قد جاء في صفتهم كما في زوائد مسند البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ

وذكر بني تميم فقال هم ضخام الهام ثبّت الاقدام نصّار الحق في آخر الزمان أشد قوما على الدجال . قال البزار : سلام هذا احسبه سلام المدائني وهو لين الحديث ، وقوله : قال ابن تيمية : المشرق عن مدينته ﷺ أي نجد فيها الحبس؟ منه خرج مسيلمة الكذاب . أقول: لا يثبت هذا النقل عن شيخ الاسلام لان العراق هو شرقي المدينة ومسيلمة الكذاب انما خرج في اليمامة واليمامة ليس هي شرقي المدينة بل بين العراق وبين اليمامة مسافة بعيدة فلا يصح هذا النقل عن شيخ الاسلام لأنه رحمه الله من أهل المعرفة التامة في جميع الفنون ولا يليق بعقله هذا الكلام الساقط المتناقض وليس كهؤلاء الهمج لرعاع اتباع كل ناعق بل يصان كلامه عن هذه الركاكة الفاسدة . وأما قوله ونفس بلد مسيلمة عين بلد ابن عبد الوهاب اليمامة وهي دون المدينة وسط المشرق عن مكة المشرفة سبعة عشرة مرحلة وعن البصرة والكوفة نحوها .

فأقول : قد كان بلد الشيخ محمد اليمامة ، ولم تكن اليمامة مشرق المدينة بل مشرق المدينة العراق ونواحيه فاليمامة ليست مشرق المدينة ولا هي وسط المشرق بين المدينة والعراق ، بل اليمامة مشرق مكة المشرفة متوسطة بينها وبين الخط والبصرة والكوفة شمالا عن اليمامة نحواً من عشرين مرحلة يسير القاصد إليهما مستقبلا الجدي الشمالي لاينحرف عنه يميناً ولاشمالا ، كما لايخفى على من له أدنى احساس ومعرفة للجهات ولكن أراد هذا الملحد بقوله ، واليمامة دون المدينة يعني أنها من دون المدينة من جهة البصرة والكوفة ، وهذا مشرق المدينة فتكون في وسط المشرق من ناحية المدينة أيها ما لمن لا معرفة لديه بحقيقة الحال والديار ، ومقدار ما بين تلك الاماكن والاقطار . وقد روى الطبراني من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : دخل ابليس العراق فقضى فيها حاجته ، ثم دخل الشام فطردوه ، ثم دخل مصر فباض فيها وفرخ وبسط عليها عبقريه ولا يقول مسلم بذم علماء العراق لما ورد فيها واكابر اهل الحديث وفقهاء الامة واهل الجرح والتعديل اكثرهم من اهل العراق ، وامام السنة احمد ابن حنبل وشيخ الطريقة الجنيد بن محمد وعلم الزهاد الحسن بن سيرين وابوحنيفة واصحابه وسفيان الثوري واصحابه واسحاق بن ابراهيم بن راهوية ومحمد

ابن اسماعيل ومسلم بن الحجاج وابو داود واصحاب السنن واصحاب الدواوين الاسلامية كلهم عراقي الدار مولدا وسُكنى والليث بن سعد ومحمد بن ادريس واشهب ومن قبل هؤلاء كلهم سكن العراق ومصر وجملة من اكابر اصحاب رسول الله ﷺ ومن التابعين بعدهم ، ومن عاب الساكن بالسكنى والاقامة في مثل تلك البلاد فقد عاب جمهور الامة وسبهم وآذاهم بغير ما اكتسبوا ، وقد داول الله الايام بين البقاع والبلاد كما داولها بين الناس والعباد . قال تعالى (وتلك الايام نداولها بين الناس) ، وكم من بلد قد فتحت وصارت من خير بلاد المسلمين بعد ان كانت في ايدي الفراعنة والمشركين والفلاسفة والصائبين والكفرة من المجوس والكتابيين . بل الخربة التي كانت بها قبور المشركين صارت مسجدا هو أفضل مساجد المسلمين بعد المسجد الحرام ودفن فيها أفضل المرسلين وسادات المؤمنين . ولا يعيب شيخنا بدار مسيلمة إلا من عاب أئمة الهدى ومصابيح الدجى بما سبق في بلادهم من الشرك والكفر المبين وطرد هذا القول جرأة على النبيين وأكابر المؤمنين ؛ وهذا المعترض كعنز السوء يبحث عن حتفه بظلفه ولايدري . وقد قال بعض الازهريين مسيلمة الكذاب من خير نجدكم . فقلتُ وفرعون اللعين رئيس مصركم . فبهت وأين كفر فرعون من كفر مسيلمة لو كانوا يعلمون . انتهي من كلام شيخنا الامام وعلم الهداة الاعلام الشيخ عبد اللطيف رحمه الله تعالى . وقال الشيخ ملا عمران رحمه الله تعالى :

قد عيّروه بأنه قد كان في	وادي حنيفة دار من لم يسعد
قلنـــا لهم ما ضر مصر بأنها	كانت لفرعون الشقي الأطرد
ان النماردة الفراعنة الأولى	كانوا بأرض الله أهـــل تمرد
ذا قال أنا رب وذا متنبيء	هم في بلاد الله أهـــل تردد
يمناً وشاماً والعراق ومصرها	من كل طاغ في البرية مفسد
فبموتهم طابت وطار غبارها	وزهت بتوحيد الاله المفرد
ان المواطن لاتشرّف ساكنا	فيها ولا تهـــديه ان لم يهتد

من كان لله الكريم موحداً لومات في جوف الكنيف المطرود
وبعكسه من كان يشرك فهو لم يفلح ولو قد مات وسط المسجد
خرج النبي المصطفى من مكة وبقى ابو جهل الذي لم يسعد
ان الاماكن لا تقدس اهلها ان لم يكونوا قائمين على الهدى

فصل

وأما قوله : وقد ذكر اهل السير وغيرهم ان النبي ﷺ أوصى أبا بكر رضي الله عنه بقتل بني حنيفة اتباع مسيلمة الكذاب . وقال : اعلم بأن واديهم وادي فتن الى آخر الدهر . الى آخر كلامه . فالجواب : أن يقال جوابه من وجهين : الاول انه لا بد لمن يحتج به ذكره بسنده وتوثيق رواته واثبات اتصاله . والثاني : أنه ليس فيه لفظ يقتضي أن الشيخ وأتباعه مصداق هذا الحديث . قال شيخنا رحمه الله في الرد على جلاء الغمة . والجواب : ان يقال لهذا الغبي ان شيخنا رحمه الله تعالى من رؤوس بني تميم وأعيانهم ، وليس من بني حنيفة . وتميم قبل الاسلام وبعده رؤوس نجد وساداتهم وهم ممن قاتل بني حنيفة مع خالد وأبلوا بلاء حسناً ، وأقطع خالد بن الوليد أفخاذاً منهم أو دية معروفة بنجد من اليمامة وغيرها . وسكنى الدار لا تؤثر فان الصحابة سكنوا مصر وبلاد الفرس ، وفضلهم لا يزال في مزيد ، وإيمانهم قهر أهل الكفر والشرك والتنديد ، وعادت تلك البقاع والاماكن من أفضل مساكن أهل التوحيد . ثم لو فرض ان من بني حنيفة عالما يدعوا إلى الله تعالى ، فما وجه عيبه وذمه بقومه ، وقد خالفهم في الايمان والدين ، وسلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال بن أبي رباح من أفضل الناس . وأسلافهم من شر الناس . بل والرسل أفضل الخلق وأكرمهم على الله تعالى ، والمكذبون لهم من قومهم أكثر من المستجيبين ، وابن نوح على أبيه السلام لم ينتفع بإيمان أبيه ورسالته ، ولم ينل بذلك ما يوجب سعادته وفلاحه . وهذا المعترض جاهلي الدين والمعرفة والمذهب ، انتهى . وقال في موضع آخر : وهل عاب الله ورسوله أحداً من المسلمين وغيرهم ببلده ووطنه وكونه فارسياً أو زنجيا

أو مصرياً من بلاد فرعون ومحل كفره وسلطنته ، وعكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه من أفاضل الصحابة وأبوه فرعون هذه الامة ولا يعيب من زكاهم الله ورسوله بالايمان به ومتابعة رسوله ببلاد قد كفر فيها بالله وعبد معه غيره وهو يعلم ان بلاد الخليل ابراهيم حران دار الصابئة المشركين عباد النجوم ودار يوسف دار فرعون الكافر اللعين وسكنها موسى بعده وأكابر بني اسرائيل وكذلك مكة المشرفة سكنها المشركون وعلقوا الاصنام على الكعبة المشرفة وأخرجوا نبيهم وقاتلوه المرة بعد المرة . أفيستحل مؤمن أو عاقل أو جاهل أن يلمز أحداً من المهاجرين أو من مسلمة الفتح أو من بعدهم من المؤمنين بما سلف في مكة من الشرك بالله رب العالمين ، انتهى .

وقوله : وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أيضا أنهم لا يزالون في بلية من كذابهم الى يوم القيامة أقول قد تقدم الكلام على هذا فيما سبق ثم ذكر أحاديث في الخوارج وكلاما آخر وقحا قد أجبنا علي بعضه ثم ذكر رؤيا لبعض ملاحدته كأن كلابا حمرا دخلت من أبواب مدينتهم فاعلم برؤياه فدخل بعد الرؤيا جماعة الوهابي الخوارج من تلك الابواب وزعم أن رؤياه تصديق للحديث بأنهم كلاب النار وقد تبين لكل منصف كذبهم في اليقضة فكيف يكون كذبهم في المنام باضغاث الاحلام ثم قال والازارقة فرقة من الخوارج الذين خرجوا على الامام علي بن أبي طالب طالب وهم من بنى حنيفة من اصحاب نافع بن الازرق وهم أقرب في النسب لابن عبدالوهاب الى آخر كلامه وقد تقدم ان الشيخ من رؤوس بني تميم واعيانهم وبنوا حنيفة من ربيعة وبنوا تميم من مضر فاين قرب النسب مع ان قرب نسب أبي لهب لم يؤثر في علي رضي الله عنه بل لم يؤثر في كون ابي طالب اباه ثم ذكر احاديث في الخوارج واحاديث في الفتن زعم انها كلها منطبقة على ابن عبد الوهاب واتباعه وقد تقدم الجواب على ما تضمنته وما يراد بها وان الشيخ واتباعه برآء الى الله مما نسبه اعداء الله اليه من تلك الاحاديث وما تضمنته فالتشنيع بها على الشيخ واتباعه

تشنيع على معظم الامة من الفقهاء والمحدثين فان كثيراً منهم قد جاؤا من المشرق وسكنوه وهذا مما لامجال لأنكاره لأحد من أهل العلم بل هذا التشبيه من جنس تشبيه الرافضة على عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها بأن البخاري أخرج عن عبد الله رضي الله عنه قال قام النبي ﷺ خطيب فأشار نحو مسكن عائشة فقال هنا الفتنة ثلاثا من حيث يطلع قرن الشيطان بل هذا اخف منه على مالا يخفى واذا لم يكن التشبيه الذي هو أشد سبباً للذم عند أهل السنة والجماعة فما ظنك بالاخف ثم ذكر حديثاً رواه الترمذي والطبراني عن النبي ﷺ قال فيه سبعة لعنهم الله وكل نبي مجاب الدعوة الزائد في كتاب الله والمكذب بقدر الله والمستحل حرمة الله والمستحل من عترتي ما حرم الله والتـارك لسنتي والمستأثر بالفيء والمستجير بسلطانه ليعز من اذله الله ويذل من اعزه الله قال وهذه الخصال السبع كلها موجودة في عبدالعزيز بن سعود الا التكذيب بالقدر وهذا ليس ببدع من كذبه وافترائه ووضعه الاحاديث في غير مواضعها وتحميلها ما لا تحتمله بتأويله الفاسد ورأيه الكاسد ومن تأمل رسالة الامام عبد العزيز بن محمد بن سعود المتقدم ذكرها فانا قد ذكرناها فيما تقدم ليعلم الناظر فيها شدة كلب عداوة هؤلاء الملاحدة عرف بهتانهم وزورهم وفجورهم وتبين له سوء قصدهم ومرامهم وانهم يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين .

فصل

ثم قال الملحد بعد ذلك والطاغية بن عبد الوهاب من تميم ورئيس الفرقة الباغية عبد العزيز بن سعود من وائل . والجواب ان يقال قد قدمنا ان الشيخ من رؤوس تميم واعيانهم وقد ورد فضل بنى تميم في الحديث الذي أخرجه البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال . مازلت أحب بني تميم لثلاث سمعتهن

من رسول الله ﷺ يقول فيهم سمعته يقول هم أشد أمتي على الدجال قال وجاءت صدقاتهم فقال رسول الله ﷺ هــذه صدقات قومنا وكانت سبيّة منهم عند عائشة فقال اعتقيها فانها من ولد اسماعيل انتهى . وفي زوائد مسند البزار عن ابي هريرة رضي الله عنه قال . قــال رسول الله ﷺ وذكر بني تميم فقال هم ضخام الهام ثبّت الاقدام نصار الحق في آخر الزمان أشد قوماً على الدجال وقد ظهر مصداق هذا فكان الشيخ من انصار الحق في آخر الزمان وكان هو واتباعه من اشد خلق الله على هؤلاء الدجاجلة المجان وفي زوائد مسند البزار ايضاً عن ابي هريرة رضي الله عنه قال ربما ضرب النبي ﷺ على كتفي وقال احبوا بني تميم قال البزار لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ الا من هذا الوجه فان قيل قد ورد في بني تميم ما يشينهم مثل قوله تعالى (ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم) ومثل حديث عمران بن حصين وفيه قال اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنوا تميم قالوا قبلنا الحديث اخرجه البخاري قيل هذا مقولة الجفاة منهم منهم الاقرع بن حابس وليس هذا قول جميعهم وجملة القول ان ورود مدح قبيــلة أو موضع في الحديث لا يقتضي خيرية جميع افراده وجميع سكانه وكذلك ورود ذم قبيلة أو موضع في الحديث لا يقتضي شرية جميع افراده وجميع سكانه الا ترى أن خيرية قريش والانصار وجهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار وأشد والاشعريين والازد وحمير وذم عصية وبني تميم وبني أسد وبني عبد الله بن غطفان وبني عامر بن صعصعة وربيعة ومضر وثقيف وبني حنيفة وبني أمية قد ورد في الحديث مع ان الاول قد جاءت منها أشرار أيضاً والآخر قد جاءت منها اخيار أيضاً وكذلك قد ورد مدح اليمن وأهله وذم المشرق والعراق وأهلها مع ان الاسود العنسى قد نشأ في اليمن وكثير من اهل الحديث من المشرق والعراق وهذا لا يخفى على من له أدنى المام بفن التاريخ والرجال وحسبك من خيرية مضر كون النبي ﷺ من مضر اخرج البخاري عن ربيبة النبي ﷺ زينب بنت ابي سلمة قال . قلت لها ارأيت النبي ﷺ

أكان من مضر ؟ قالت فمن كان الا" من مضر من بني النضر بن كنانة انتهى. وحسبك من خيرية ربيعة قول النبي ﷺ لوفد عبد القيس لما اتو النبي ﷺ من القوم أو من الوفد قالوا ربيعة قال مرحباً بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى الحديث أخرجه البخاري انتهى . واذا كان الأمر كما وصفنا فماذا على الشيخ من العيب والذم اذا كان من بني تميم وقد كان مؤمناً بالله ورسله داعياً الى الحق والى طريق مستقيم وكذلك لا يلحق الامام عبد العزيز بن محمد بن سعود عيب ولا ذم لكونه من وائل أو بني حنيفة لان مسيلمة الكذاب منهم ولان الصديق قال لا يزالون في فتنة من كذابهم فان المراد به من آمن بمسيلمة وادركه منهم كما وقع من بن النواحة واما من بعدهم من نسلهم وذراريهم المؤمنين فلا يتوجه اليهم ذم ولا عيب والصـــديق أجل من أن يعيب من لم يؤمن بمسيلمة ولم يشهد عصره ولا تزر وازرة وزر أخرى ولا تكسب كل نفس الا عليها .

فصل

واما قوله وورد عنه عليه السلام كنت مبادىء الرسالة أعرض نفسي على القبائل كل موسم ولم يجبني أحد جواباً اقبح ولا أخبث من رد بني حنيفة . فالجواب على هذا من وجوه الاول المطالبة بسند هذا الخبر . والثاني ان الشيخ ليس من بني حنيفة بل من رؤس تميم . والثالث على تقدير ثبوته لا يقتضي هذا الحديث ذم جميع بني حنيفة وقد جاء في الاخبار ان أبا لهب كان يتبع رسول الله ﷺ في منازل العرب ويحذرهم من اجابته وتصديقه واتباعه فيقولون قومه أعلم به أو كلاما نحو هذا . وكذلك صناديد كفار قريش وما قالوه وما فعلوه من الامور العظيمة حتى أخرجوه من بين أظهرهم . ولا يقتضى هذا ذم جميع قريش ممن آمن بالله ورسوله وجاهد في سبيله .

فصل

ثم ذكر كلاما في الفراسة وانهم تفرسوا في الشيخ الضلالة والشقاوة . وهذا مما لا فائدة في الجواب عنه . ثم ذكر كلاماً لشيخ الاسلام بن تيمية في المبتدعة كالخوارج والنواصب وانهم ابتدعوا بدعة وكفروا من لم يوافقهم وانهم أعظم ضررا على المسلمين من الظلمة الذين يقاتلون للدنيا . وهذا حق والشيخ رحمه الله لم يكن مبتدعاً بل كان متبعاً وسعى سعياً عظيما في ازالة البدع والضلالة ودعا الناس الى توحيد الله الخالص واتباع السنة وترك الشرك والبدعة يعرف ذلك كل من له دين وعقل يميز به الحق والباطل . ثم قال الملحد ومن تفسير بن ابي حاتم عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما قال ما كان منذ كانت الدنيا رأس مائة سنة الا عند رأس المائة أمر قال الناقل قلت كان عند رأس المائة الاولى من هذه المائة فتنة الحجاج ثم ذكر كل قرن وما كان فيه الى ان قال وفي الثانية عشر فتنة محمد بن عبد الوهاب وتكفيره للأمة ومن سبق وايذاؤه للحي من المسلمين والاموات الى آخر كلامه . وهذا كله كذب وزور وإثم وفجور . فان الشيخ رحمه الله لا يكفّر الا من نطق الكتاب والسنة بتكفيره وأجمع عليه أهل العلم وقامت عليه الحجة . وسنورد من كلامه رحمه الله هنا ما يعرف به الواقف عليه حقيقة مذهبه ودينه وان هذا الملحد المفتري وأمثاله يفترون مثل هذه العبارات بقصد تنفير الناس عن الشيخ والصد عن سبيل الله قال رحمه الله تعالى في رسالته المعروفة الى محمد بن عيد . واما ما ذكر الاعداء عني اني اكفر بالظن أو بالموالات أو أكفر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة فهذا بهتان عظيم يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله . وقال رحمه الله سألني الشريف عما نقاتل عليه وعن ما نكفر الرجل به فأخبرت بالصدق وبينت له ايضاً الكذب الذي يبهت به الاعداء فسألني ان اكتب له

فاقول اركان الاسلام خمسة أولها الشهادتان ثم الاركان الاربعة فالاربعة اذا اقربها وتركها تهاوناً فنحن وان قاتلناه على فعلها فلا نكفره بتركها والعلماء اختلفوا في كفر تارك الصلاة كسلاً من غير جحود ولا نقاتل الا على ما أجمع عليه العلماء وهو الشهادتان وايضاً نكفر بعد التعريف اذا عرف وأنكر فنقول أعداؤنا معنا على انواع النوع الاول من عرف ان التوحيد دين الله ورسوله الذي أظهرناه للناس وأقر أيضاً ان هذه الاعتقادات في الحجر والشجر الذي هو دين غالب الناس انه الشرك بالله الذي بعث الله رسوله ينهي عنه ويقاتل أهله حتى يكون الدين كله لله ومع ذلك لم يلتفت الى التوحيد ولا تعلمه ولا دخل فيه ولا ترك الشرك فهذا كافر نقاتله بكفره لأنه عرف دين الرسول فلم يتبعه وعرف دين الشرك فلم يتركه مع انه لا يبغض دين الرسول ولا من دخل فيه ولا يمدح الشرك ولا يزينه للناس . النوع الثاني من عرف ذلك كله ولكنه تبين في سب دين الرسول مع ادعائه أنه عامل به ويتبين في مدح من عبد يوسف والاشقر ومن عبد أبا علي والخضر من أهل الكويت وفضلهم على من وحّد الله وترك الشرك فهذا أعظم من الاول وفيه قوله تعالى (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين)وهذا ممن قال الله فيه (وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر الآية .) النوع الثالث من عرف التوحيد وأتبعه وعرف الشرك وتركه ولكنه يكره من دخل في التوحيد ويحب من بقي على الشرك فهذا أيضاً كافر فيه قول الله تعالى (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم .) النوع الرابع من سلم من هذا كله ولكن أهل بلده مصرحون بعداوة التوحيد واتباع أهل الشرك وساعين في قتالهم ويتعذر أن ترك وطنه يشق عليه فيقاتل أهل التوحيد مع أهل بلده ويجاهد بماله ونفسه فهذا أيضاً كافر فإنهم لو يأمرونه بترك صوم رمضان ولا يمكنه الصيام الا بفراقهم فعل ولو يأمرونه بتزوج امرأة أبيه ولا يمكنه ترك ذلك الا بمخالفتهم فعل وموافقتهم على الجهاد معهم بنفسه وماله

مع انهم يريدون بذلك قطع دين الله ورسوله اكبر من ذلك بكثير فهذا أيضاً كافر وهو أيضاً ممن قال الله فيه (ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم الآية). وأما الكذب والبهتان انا نكفر بالعموم ونوجب الهجرة الينا على من قدر على اظهار دينه وانا نكفر من لم يكفر ولم يقاتل ومثل هذا واضعاف أضعافه فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله واذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر عبد القادر والصنم الذي على قبر احمد البدوي وامثالها لأجل جهلهم وعدم من ينبههم فكيف نكفر من لم يشرك بالله اذا لم يهاجر الينا أو لم يكفر ويقاتل سبحانك هذا بهتان عظيم انتهى . وقال في الرسالة التي كتبها الى عبد الرحمن بن عبد الله منها ما ذكرتم اني اكفر جميع الناس الا من اتبعني وأزعم ان انكحتهم غير صحيحة ويا عجبا كيف يدخل في عقل عاقل هل يقول هـــذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون انتهى . وله رسائل في هذا المعني كثيرة يبين فيها عدم تكفيره بالعموم وانه لايكفر الا من كفره الله ورسوله وقامت عليه الحجة.

فصل

قال الملحد الفصل الاول ثم ذكر فيه ان التوحيد هو رأس مال العبد الذي به نجاته في الآخرة ومراده بالتوحيد توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون الاولون وأما ما أقر به الحنفاء من توحيد الألوهية مع توحيد الربوبيـــة فهم لا يعرفونه بل ينكرونه كما يأتي ذلك عنهم صريحـــاً الى أن قال في ذكر كرامات الاولياء وهذا هو الذي حمل الشيخ النجدي على تكفير السادة والمشائخ بقول انهم يترشحون الي آخر كلامه . وسيأتي الكلام على ذلك في محله في الفصل السابع . ثم قال : الفصل الثاني توحيد الالوهية داخل في عموم توحيد الربوبية بدليل أن الله تعالى لمّا أخذ الميثاق على ذرية آدم خاطبهم تعالى

بقوله الست بربكم؟ ولم يقل بإلهكم فاكتفى منهم بتوحيد الربوبية. والجواب ان نقول قد أجاب على هذا الشيخ محمد بشير المعروف بعبدالله بن عبدالرحمن السندي في رده «صيانة الانسان» على الدرد السنيه تأليف المخذول دحلان فقال. واما استدلال المؤلف على اتحاد توحيد الربوبية وتوحيد الالوهيه بقوله تعالى (الست بربكم ؟قالوا بلى) ولم يقل الست بإلهكم بأنه اكتفى منهم بتوحيد الربوبية فليس بشيء فان غايته ما يثبتُ من الآية ان الله تعالى لم يذكر في هذه الآية توحيد الالوهية وهذا لا دلالة بشيء من الدلالات على اتحادهما فرب حكم يذكر في آية دون أخرى وتوحيد الالوهية وان لم يذكر في هذه الآية فهي مذكورة في الآيات وسنذكرها فيما يأتي بعد قال وتوجيه الاكتفاء بتوحيد الربوبية ليس منحصراً في انها لما كانا متحدين اكتفى بذكر احدهما بل هناك احتمالات أخر الاول ان الاقرار بتوحيد الربوبية مع لحاظ قضية بديهية وهى ان غير الرب لايستحق للعبادة يقتضى الاقرار بتوحيد الألوهية عند من له أدنى عقل سليم وفهم مستقيم فيكون الاقرار المذكور حجة عليهم كما احتج الله تعالى على المشركين بتوحيد الرازق ومالك السمع والابصار والمحي والمميت ومدبر الامور ومن له الارض ومن فيها ورب السموات السبع ورب العرش العظيم ومن بيده ملكوت كل شيء ومن خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ومن نزّل من السماء ومن خلقهم في الآيات التي نذكر بعد على وحـــدانية الالـهية قال الحافظ بن كثير تحت قوله تعـالى (قل من يرزقكم من السماء والارض ام من يملك السمع والابصـــار) الآية. يحتج تعالى علي المشركين باعترافهم بوحدانيته وربوبيته علي وحدانية الالـهية وقال تعالى (أفلا تتقون) أي افلا تخافون منه ان تعبدوا معه غيره بآرائكم وجهلكم وقوله فذلكم الله ربكم الحق الآية أي فهذا الذي اعترفتم بأنه فاعل ذلك كله هو ربكم والـهكم الحق الذي يستحق ان يفرد بالعبادة فماذا بعد الحق الا الضلال أي كل معبود سواه فباطل لا إله الا هو واحد لا شريك له فأنى تصرفون أي فكيف تصرفون عن عبادته الى عبادة

ما سواه ؟ وانتم تعلمون انه الرب الذي خلق كل شيء والمتصرف في كل شيء انتهى. قال والاحتمال الثاني ان في الآية اختصاراً والمقصود الست بربكم؟ والحكم يدل عليه أثر بن عباس ان الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فأخذ منهم الميثاق ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وتكفل لهم بالارزاق الحديث . والاحتمال الثالث ان المراد بالرب المعبود قال القرطبي ، والرب المعبود وعن عكرمة في تفسيره قوله تعالى (ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله) قال اتخاذ الارباب سجود بعضهم بعضا كذا قال الحافظ بن كثير في تفسيره وغيره. وقال تعالى في سورة التوبة (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الهاً واحداً لا إله الا هو سبحانه عما يشركون) فالمراد بالارباب في تلك الآية هم المعبودون بدليل قوله تعالى (وما أمروا الا ليعبدوا الهاً واحداً لا إله الا هو سبحانه عما يشركون) وكذلك فهم عدي بن حاتم رضي الله عنه وقرره النبي ﷺ روى الامام احمد والترمذي وبن جرير من طرق عن عدي بن حاتم رضي الله عنه انه لما بلغـــه دعوة رسول الله ﷺ فرّ الى الشام وكان قد تنصر في الجاهلية فاسرت اخته وجماعة من قومه ثم من رسول الله ﷺ على اخته واعطاها فرجعت الى اخيها فرغبته في الاسلام وفي القدوم على رسول الله ﷺ فقدم عدى المدينة وكان رئيساً في قومه طي وابوه حاتم الطائي المشهور بالكرم فتحدث الناس بقدومه فدخل على رسول الله ﷺ وفي عنق عدي صليب من فضة وهو يقرأ هذه الآية (اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله) قال فقلت انهم لم يعبدوهم فقال بلى انهم حرموا عليهم الحلال واحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فتلك عبادتهم اياهم الحديث ، وأما قوله : ومن المعلوم أن من اقر له بالربوبية فقد اقر بالالوهية إذ ليس الرب غير بل هو الاله بعينه ، فالجواب : أن يقال ان اراد ان مفهوم الرب غير مفهوم الاله فقد تبين بطلانه آنفاً فيما سلف وان اراد ان مصداقه عين مصداق الاله فهذا حق بحسب نفس الامر

واعتقاده المسلمين المخلصين ولكن المشركين من الامم الماضية ومن هذه الامة لا يسلمون عينية مصداقها واذا كان الامر كذلك فالمشركون الأولون يقرون بتوحيد الربوبية ويعترفون به ولا يقرون بتوحيد الألوهية كما قال تعالى (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون) ففي هذه الآية ان المشركين كانوا معترفين بان الله هو رب السموات السبع ورب العرش العظيم ومع ذلك كانوا يعبدون الاصنام والاوثان وقال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله قل فاني تؤفكون) وقال تعالى : (قل من يرزقكم من السماء والارض امّن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افـــلا تتقون . فذالكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الآية) ، وقال تعالى: (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون) الى قوله (فاني تسحرون) فاذا عرفت هذا تبين لك ان توحيد الربوبية هو توحيد العبد ربه سبحانه وتعالى بافعاله الصادرة منه كالخلق والرزق والاحيا والاماتة وانزال المطر وانبات النبات والنفع والضر وتدبير جميع الامور الى غير ذلك من أفعال الرب سبحانه وتعالى وهذا هو اعتقاد جاهلية العرب كما تقدم ذكره في الآيات فانهم كانوا مقرين ومعترفين ان الله هو الفاعل لهـذه الأشياء وانه لا مشارك له في ايجاد شيء واعدامه وان النفع والضر بيده وانه هو رب كل شيء ومليكه كما كانوا يقولون في تلبيتهم لبيك اللهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك ولا يعتقدون آلهتهم التي يدعونها من دون الله من الأنبياء والاولياء والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السموات والارض أو استقلوا بشيء من التدبير والتأثير والايجاد ولو في خلق ذرة من الذرات ومع ذلك كله قاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم الى ان يقروا ويعترفوا بتوحيد الالهية وذلك بان يوحدوه بافعالهم الصادرة منهم كالدعاء والخوف والرجاء والتعظيم والحب والاستغاثة والاستعانة والاستعاذة

والانابة والخشوع والخضوع والالتجاء اوالذبح والنذر الى غيرذلك من أنواع العبادة التي اختص الله بها فمن صرف من هـــذه العبادة شيئاً لغير الله ملكا أو نبيا أو وليا أو صالحا فقد اشرك به في إلهية ولا ينفعه الاقرار بتوحيد الربوبية كما لم ينفع كفار قريش وسائر المشركين حيث لم يقروا ويعترفوا بتوحيد الالهية ولو كان الاقرار والاعتراف بالالوهيه لما قاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم ولا يمكن من كان له أدنى مسكة من عقل أن ينكر إقرار كفار قريش بتوحيد الربوبية كما لا يمكن أن يقول انهم معترفون ومقرون بتوحيد الآلهية لأنهم لما قال لهم رسول الله ﷺ قولوا لا إله إلا الله قالوا (اجعل الالهة إلها واحداً ان هذا لشيء عجاب وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على الهتكم انهذا لشيء يراد) وبهذا يتبين لكل منصف بطلان دعوى هذا الملحد المفتري والله المستعان ، وأما قوله وأيضاً ورد في الحديث ان الملكين يسئلان العبد في قبره فيقولان من ربك ولم يقولا من إلهك ، فدل على أن توحيد الربوبية شامل له ، فالجواب ان يقال قد تقدم الكلام على الآية وبه الكفاية ، وأيضاً ففيه ما عرف من الاحتمالات المذكورة فيماسبق ، وأيضاً فقد ذكر أهل العلم ان قول الملكين من ربك أي من إلهك الذي تعبد وفي الخبر كلمتان يسئل عنها الاولون والاخرون ماذا كنتم تعبدون وماذا اجبتم المرسلين.

فصل

ثم قال الملحد: ومن العجب العجاب قول المدعى الكذاب لمن شهد ان لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله من أهل القبلة انت لم تعرف التوحيد. التوحيد نوعان توحيد الربوبية الذي أقرت به المشركون والكفار وتوحيد الالهية الذي أقرت به الحنفاء ، وهذا هو الذي يدخلك في دين الاسلام ، وأما توحيد الربوبية فلا ، فالجواب أن يقال نعم هكذا ، قال الشيخ رحمه الله وبه قال أهل العلم لأن التوحيد نوعان توحيد في المعرفة والاثبات وهو توحيد الربوبية والاسماء والصفات وتوحيد في الطلب والقصد وهو توحيد الالهية والعبادة ،

قال العلامة بن القيم رحمه الله وأما التوحيد الذي دعت اليه الرسل ونزلت به الكتب فهو نوعان توحيد في المعرفة والاثبات وتوحيد في الطلب والقصد فالاول هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه وتكلمه بكتبه وتكليمه لمن شاء من عباده واثبات عموم قضائه وقدره وحكمته وقد أفصح القرآن عن هذا النوع حق الافصاح كما قال في أول الحديد وسورة طه وآخر الحشر وأول تنزيل السجدة وأول آل عمران وسورة الاخلاص بكمالها وغير ذلك النوع الثاني ما تضمنته سورة قل يا أيها الكافرون وقوله تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا) الآية وأول سورة تنزيل الكتاب وآخرها وأول سورة المؤمن ووسطها وآخرها وأول سورة الاعراف واخرها وجملة سورة الانعام وغالب سور القرآن بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعى التوحيد شاهدة به داعية اليه فان القرآن اما خبر عن الله واسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله فهو التوحيد العلمي الخبري واما دعوة الى عبادته وحده لاشريك له وخلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الارادي الطلبي واما أمر ونهي والزام بطاعته وأمره ونهيه فهو حقوق التوحيد ومكملاته واما خبر عن اكرام الله أهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا ويكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده واما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبي من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه في شأن الشرك وأهله وجزائهم ، انتهى . وقال شيخ الاسلام قدس الله روحه التوحيد الذي جاءت به الرسل إنما يتضمن اثبات الآلهية لله وحده بأن يشهد أن لا إله إلا الله ولا يعبد إلا اياه ولا يتوكل الا عليه ولا يوالي الا لله ولا يعادي الا فيه ولا يعمل الا لأجله ، وذلك يتضمن اثبات ما أثبته لنفسه من الاسماء والصفات قال تعالى (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) وقال تعالى (وقال الله لاتتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد

فاياي فارهبون) وقال تعالى (ومن يدع مع الله الهاً آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون) وقال تعالى (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وأخبر عن كل نبي من الانبياء انهم دعوا الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له وقال تعالى (قد كانت لكم اسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده) وقال عن المشركين (انهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون . ويقولون أائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) وهذا في القرآن كثير، وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية وهو اعتقاد ان الله وحده خلق العالم كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف ويظن هؤلاء أنهم اذا أثبتوا ذلك بالدليل فقد أثبتوا غاية التوحيد وانهم اذا شهدوا هذا وفنوا فيه فقد فنوا في غاية التوحيد فان الرجل لو أقر بما يستحقه الرب تعالى من الصفات ونزهه عن كل ما ينزه عنه وأقر بأنه وحده خالق كل شيء لم يكن موحدا حتي يشهد ان لا إله الا الله وحده فيقر بأن الله وحده هو الاله المستحق للعبادة ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له وانه هو المالوه المعبود الذى يستحق العبادة وليس هو الاله بمعنى القادر على الاختراع فاذا فسر المفسر الاله بمعنى القادر على الاختراع واعتقد أن هذا المعنى هو أخص وصف الاله وجعل اثبات هذا هو الغاية في التوحيد كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية وهو الذي يقولونه عن أبي الحسن وأتباعه لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذى بعث الله به رسوله ﷺ فان مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء وكانوا مع هذا مشركين قال تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) قال طائفة من السلف تسألهم من خلق السموات والأرض فيقولون الله وهم مع هذا يعبدون غيره، قال تعالى (قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون) الي قوله (فانى

تسحرون) . فليس كل من أقر بأن الله تعالى رب كل شيء وخالقه يكون عابداً له دون ما سواه راجيا له خائفا منه دون ما سواه ، يوالى فيه ويعادى فيه ، ويطيع رسله ويأمر بما أمر به وينهى عما نهى عنه . وعامة المشركين أقروا بأن الله خالق كل شيء . وأثبتوا الشفعاء الذين يشركونهم به وجعلوا له أندادا قال تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون . قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ـ الى قوله ـ سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال تعالى (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون) وقال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله) . ولهذا كان من أتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب ويدعونها ، ويصوم وينسك لها ويتقرب اليها ، ثم يقول ان هذا ليس بشرك انما الشرك اذا اعتقدت أنها المدبرة فاذا جعلتها سببا وواسطة لم أكن مشركا ومن المعلوم بالاضطرار من دين الاسلام ان هذا شرك ، انتهى كلامه رحمه الله . وقال الشيخ محمد بشير في رد شبه دحلان : أقول لامرية في أننا مأمورون باعتقاد ان الله وحده هو ربنا ليس لنا رب غيره وباعتقاد ان الله وحده هو معبودنا ليس لنا معبود غيره وان لا نعبد إلا اياه ، والأمر الاول هو الذى يقال له توحيد الربوبية والامر الثاني هو الذى يقال له توحيد الآلهية والإشراك في الاول يسمي الاشراك في الربوبية والاشراك في الثاني يسمى الاشراك في الالوهية والآيات الدالة علي الامر الاول كثيرة منها قوله تعالى (ألم ترا الي الذي حاج ابراهيم في ربه ان أتاه الله الملك ـ الى قوله ـ فبهت الذى كفر) ومنها قوله تعالى (ورسولا الى بني اسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم) الي قوله تعالي (ان الله ربي وربكم فاعبده) ومنها قوله تعالي (قل يا أهل الكتاب تعالوا الي كلمة

سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا الآية) ومنها قوله تعالي (وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدو الله ربي وربكم) ومنها قوله تعالي (ثم الذين كفروا بهم يعدلون) ومنها قوله (اني وجهت وجهى للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين) وقوله ذالكم الله ربكم لا إله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه) وقوله تعالي (قل اغير الله أبغى رب وهو رب كل شيء) وذكر آيات كثيرة ، قال: وأما الآيات الدالة على الامر الثاني فاكثر من أن تحصي منها بعض ماذكر لاثبات الامر الاول من الآيات ومنها ما أتلوا عليك الآن فنقول منها قوله تعالي في الفاتحة (اياك نعبد واياك نستعين) وقوله (قال يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلكم والذين من قبلكم) الي قوله (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون (وقوله تعالي) واذا أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله) وقوله تعالي (أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدى ؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون) وقوله تعالي (وإلهكم إله واحد لا إلا هو الرحمن الرحيم) وذكر آيات كثيرة ثم قال ولا أظنك شاكاً في أن مفهوم الرب ومفهوم الاله متغايران وان كان مصداقهما في نفس الامر وفي اعتقاد المسلمين المخلصين واحـــدا وذلك يقتضى تغاير مفهومى التوحيدين ، فيمكن أن يعتقد أحد من الضالين توحيد الرب ولا يعتقد توحيد الاله وان يشرك واحد من المبطلين في الألوهية ولا يشرك في الربوبية وان كان هذا باطلا في نفس الامر ، ألا تري مصداق الرازق ومالك السمع والأبصار والمحيي والمميت ومدبر الامر ورب السموات السبع ورب العرش الكريم ومن بيده ملكوت كل شيء والخالق ومسخر الشمس والقمر ومنزل الماء من السماء ومصداق الاله واحد ومع ذلك كان مشركو العرب يقرون بتوحيد الرازق ومالك السمع والابصار وغيرها ويشركون في الالوهيـة والعبادة والدليل عليه ما قال تعالي في سـورة يونس (قل من يرزقكم من السماء

والارض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر ؟ فسيقولون الله فقل أفلا تتقون . فذالكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فاني تصرفون ؟). وقوله في سورة المؤمنين (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله ـ الي قوله ـ فاني تسحرون) وذكر آية العنكبوت وآية لقمان وآية الزمر وآية الزخرف فكذلك عباد القبور الذين لم يبق فيهم من الاسلام إلا اسمه يقرون بتوحيد الرازق والمحيي والمميت والخالق والمؤثر والمدبر والرب ومع ذلك يدعون غير الله من الاموات خوفا وطمعا ويذبحون لهم وينذرون لهم ويطوفون لهم ويحلقون لهم ويخرجون من أموالهم جزاء لهم . وكون مصداق الرب عين مصداق الاله في نفس الامر وعند المسلمين المخلصين لا تقضي اتحاد مفهوم توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية ولا اتحاد مصداق الرب والاله عند المشركين من الامم الماضية ، وهذه الامة اما تعقل أن لفظ توحيد الربوبية ولفظ توحيد الالوهية كلاهما مركبان اضافيان والمضاف في كليهما كلي وهذا غني عن البيان ، وكذلك مضاف إليه في كليهما فإن الربوبية والألوهية معنيان مصدريان منتزعان من الرب والاله وهما كليان ، أما الرب فلان معناه المالك والسيد والمتصرف للاصلاح والمصلح والمدبر والمربي والجابر والقائم والمعبود ، ولكل واحد مما ذكر معنى كلي ، فالمنتزع منهما أيضاً يكون معنى كليا ، فتوحيد الربوبية اعتقاد أن الرب واحد سواء كان ذلك الرب عين الاله أو غيره ، وتوحيد الألوهية اعتقاد أن الاله واحد سواء كان ذلك الاله عين الرب أوغيره ، وإذا تقرر هذا فنقول : يمكن أن يوجد في مادة توحيد الربوبية ولا يوجد توحيد الالوهية كمن يعتقد أن الرب واحد ، ولا يعتقد أن الاله واحد بل يعبد آلهة كثيرة ، ويمكن أن يوجد في مادة توحيد الألوهية ولا يوجد في مادة توحيد الربوبية كمن يعتقد أن المستحق للعبادة واحد ولا يعتقد وحدانية الرب بل يقول ان الارباب كثيرة متفرقة ويمكن ان يجتمعا في مادة

واحدة كمن يعتقد أن الرب والاله واحد فثبت أن مفهوم توحيد الربوبية مغاير لمفهوم توحيد الألوهية ، نعم توحيد الربوبية من حيث الرب مصداقه إنما هو الله تعالى لا غير يستلزم توحيد الألوهية من حيث أن الاله مصداقه إنما هو الله تعالى لا غير ، لكن هاتين الحيثيتين زائدتان على نفس مفهومي التوحيدين ثابتان بالبرهان العقلي بالنقلي على أنا لو قطعنا النظر عن بحث تغاير مفهومي التوحيدين فمطلوبنا حاصل ايضا فان توحيد الالوهية لا يتأتى انكاره عن احد من المسلمين وهو كاف لاثبات اشراك عباد القبور فانهم اذا دعوا غير الله رغبة ورهبة وخوفا وطمعا وطلبوا منهم مالا يقدر عليه الا الله ونحروا لهم ونذروا لهم وطافوا لهم وحلقوا لهم وأخرجوا من امـــوالهم جزءا لهم وصنعوا غير ذلك من العبادات فقد عبدوا غير الله واتخذوهم آلهة من دون الله فان قلت : ان عباد القبور لا يعتقدون ان الاموات من الانبيـاء والصالحين ارباباً وآلهة اصلا ولا يطلقون لفظ الارباب والآلهة ابدا فكيف يكونون مشركين ؟ قلت : في هذا ذهول عن معنى الاشراك في الالوهية والعبادة فان الاشراك في العبادة عبادة غير الله من الدعاء والذبح والنذر والطواف وسواء يعتقد ربا أو الهاً أم لا وسواء يطلق لفظ الرب والآله عليه أم لا يدل عليه الآيات الكثيرة منها قوله تعالى : (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم) إلى قوله (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) وقوله (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم) الآية . وقوله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً) الآية . وقوله (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم) الآية.وذكر آيات في هذا المعنى كثيرة ، انتهى . فمن أمعن النظر فيما ذكرناه وتأمله حق التأمل تبين له أن هؤلاء الملاحدة الدجاجلة الكذابون المفسدون في الأرض الباغون للبراء العنت .

فصل

وأما قوله : فيا عجبا هل للكافر توحيد صحيح ؟ فانه لو كان توحيده صحيحا لاخرجه من النار إذ يبقي فيها موحد كما صرحت به الاحاديث .
فالجواب : أن يقال لهذا الغبي الاحمق لم يقل الشيخ ان للكافر المشرك توحيداً صحيحا ولكن اخبر ان مشركي العرب كانوا مقرين بان الله وحده خالق كل شيء وكانوا مع هذا مشركين ، قال تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) قال طائفة من السلف : تسألهم من خلق السموات والارض فيقولون الله وهم مع ذلك يعبدون غيره . فايمانهم هو اقرارهم بتوحيد الربوبية وهذا الايمان بتوحيد الربوبية لا يدخلهم في الاسلام وهم يعبدون غير الله ، أي يشركون به في توحيد الالهية ، ولذلك قاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم ، وقد سمى الله سبحانه من عمل ببعض كتابه وترك العمل ببعضه مؤمناً بما عمل به كافر بما ترك العمل به منه ، قال تعالى في اليهود (وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) الى قوله (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) الآية . فأخبر سبحانه أنهم أقروا بميثاقه الذي أمرهم به التزموه . وهذا يدل على تصديقهم به ، وأخبر أنهم عصوا أمره ، وهذا كفر بما أخذ عليهم ، ثم خبر أنهم يفدون من أسر من ذلك الفريق وهذا إيمان منهم بما أخذ عليهم في الكتاب وكانوا مؤمنين بما عملوا به من الميثاق كافرين بما تركوا منه ، فالايمان العملي يضاده الكفر العملي والايمان الاعتقادي يضاده الكفر الاعتقادي . فمن أنكر أن يكون الله تعالى لم ينزل في كتابه أن الكفار يقرون بتوحيد الربوبية ويجحدون توحيد الالوهية ، فقد كفر بما أنزل على محمد وكذب بالقرآن ، وكفر هذا أغلظ من كفر كفار قريش . وقد تقدم بيان ذلك مكرراً .

وأما قوله : فهل سمعتم أيها المسلمون في الاحاديث والسير أن رسول الله ﷺ إذا قدمت عليه أجلاف العرب ليسلموا على يده يفصل لهم توحيد الربوبية والالوهية

ويخبرهم أن توحيد الالوهية هو الذي يدخلهم في دين الاسلام أو يكتفي منهم بمجرد الشهادتين وظاهر اللفظ ويحكم باسلامهم ؟ إلى آخره. فالجواب : أن يقال : لم يكن في الاحاديث ولا في السير إذا قدمت عليه اجلاف العرب يفصل لهم توحيد الربوبية والالوهية ، لأنه قد كان من المعلوم أنهم كانوا مقرين بتوحيد الربوبية معترفين بذلك لا ينازعون فيه ، ولذلك يحتج عليهم سبحانه بما اعترفوا به من توحيد الربوبية على ما يجحدونه من توحيد الالوهية ، وهذا أمر لا يشك فيه مسلم وأهل العلم بالله وبدينه وشرعه يعلمون ذلك ولا ينكره إلا هؤلاء الجهال كصاحب هـذه الرسالة الذي هو أضل من حمار أهله ، وكان من المعرقين المنهمكين في عبادة الصالحين والدعوة إلى ذلك والتنفير عن دين الله ورسوله ، وكان ﷺ يكتفي منهم بالشهادتين واداء بقية الاركان ، وهـذا بخلاف المشركين في هذه الازمان ، فانهم يتلفظون بالشهادتين ويؤدون بقية الاركان ويتعبدون بأنواع العبادات ، ومع هذا كله يعبدون غير الله ويشركون بالله في توحيد الالوهية والعبادة بما يفعلونه عند ضرائح الانبياء والاولياء والصالحين فيدعونهم ويلتجئون إليهم ويستغيثون بهم في الشدائد والمهمات ويطلبون منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات ، ومعافاة أولي العاهات والبليات . ويذبحون لهم وينذرون ويطوفون بقبورهم وهذا هو شرك جاهلية العرب الذين قاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم ، فأجلاف أصح عقولا وأسلم فطراً من هؤلاء الملاحدة ، وقد كان من المعلوم أن هـذا الملحد واضرابه هم أهل الافتراء والزور على الله ورسوله وعلى أهل العلم الذي يدعون إلى دين الله ورسوله ، لا شيخ الاسلام .

وقوله : فان من وحد الرب فقد وحد الاله . فأقول : لم يكن كفار قريش والعرب موحدين توحيد الالوهية حيث كانوا موحدين الله بتوحيد الربوبية ولم يدخلهم إقرارهم بتوحيد الربوبية في الاسلام حيث لم ينقادوا بتوحيد الالهية ومن زعم ذلك فقد رد على الله ورسوله وكابر أدلة الكتاب والسنة وإجماع سلف الامة ،

فكذلك عباد القبور والصالحين في هذه الازمان لاينفعهم الاقرار بتوحيد الربوبية ولا التلفظ بالشهادتين مع عبادة غير الله والاشراك به .

فصل

ثم قال : تتمة الفصل الاله شرعاً هو المعبود بحق وهو الله تعالى وحده يستحيل أن يكون معه إله آخر عند جميع المسلمين لأن الله تعالى قد أخبرهم في كتابه العزيز بأنه إله واحد ، فقال تعالى (وإلهكم إله واحد) وأخبرهم أيضاً انه يستحيل أن يكون معه إله آخر ، فقال تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) وأيضاً اخبر انه غني عن العالمين وانهم فقراء اليه ، فقال (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد) وأخبر ايضاً انه لا مثيل له ولا شبيه ، فقال تعالى (ليس كمثله شيء) واخبرهم ايضاً انه لم يكن له شريك في الملك ولم يتخذ ولدا ، فقال تعالى (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك) . والجواب أن نقول : هذا حق لو استقام وثبت عليه ولكنه نكص على عقبيه ونكس على رأسه ورجع الى ما كان يعتقده من الشرك ، فقال : فاذا ثبت مض القرآن أنه تعالى اله واحد وانه ليس كمثله شيء وانه يستحيل أن يكون معه اله آخر وانه لم يكن له شريك في الملك فأين هؤلاء الآلهة والشركاء الذين يزعمهم دجال اليامة وكذابها ؟ أي انه يزعم ان من يستغيث بالأولياء كشمسان وادريس وتاج ناس من أكابر السادة الاموات يعتقد فيهم اهل نجد والأحساء وينادون باسمائهم عند المهمات متوسلين بهم الى الله تعالى ، فيقال لهذا الملحد دجال تريم وكذابها : أن الالهة والشركاء الذين كان أهل نجد والاحساء قبل دخولهم في دين الله ورسوله هم هؤلاء الطواغيت شمسان وادريس وتاج وغيرهم من المعبودين مع الله يعتقدون فيهم ويستغيثون ويطلبون منهم ما لا يقدر عليه الا الله وينادون بأسمائهم عند المهمات ، وهذا هو الشرك بالاله الواحد الغني، بذاته عن كل ما سواه وكل ماعداه مفتقر اليه

فاشركوهم بالله فيما يستحق من الالهية وان لم يكونوا مستحقين العبادة ، ولم يكن أحد منهم مثيلا وشبيهاً لله ، وهذا من المستحيل عقلا وشرعاً ، وقد كان كفار العرب الذين قاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دماءهم وأموالهم يشركون مع الله في عبادتهم الاحجار والاشجار والملائكة والانبيـــاء والاولياء والصالحين ، ومن المعلوم انه لم يكن من المشركين من يزعم أن احداً منهم يماثل الله او يشبهه ، وانما عبدوهم واستغاثوا بهم ولجئوا اليهم يريدون شفاعتهم عند الله وليقربوهم الى الله زلفى لا انهم مستحقون للعبادة من دون الله كما يفعله المشركون في هذه الازمان . قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه في الرسالة السنية : فاذا كان على عهد النبي ﷺ ممن انتسب الي الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة فليعلم ان المنتسب الى الاسلام والسنة في هذه الازمان يمرق ايضاً من الاسلام لأسباب: منها الغلو في بعض المشائخ، بل الغلو في علي بن أبي طالب ، بل الغلو في المسيح عليه السلام ، فكل من غلا في نبي او رجل صالح وجعل فيه نوعاً من الالهية مثل ان يقول ياسيدي فلان انصرني او اغثني او انا في حسبك ونحو هذه الاقوال ، فكل هذا شرك وضلال، يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل فان سبحانه وتعالى انما ارسل الرسل وانزل الكتب ليعبد وحده لا شريك له ، ولا يدعى معه آله . والذين يدعون مع الله آلهة اخرى مثل المسيح والملائكة والاصنام لم يكونوا يعتقدون انها تخلق الخلائق او تنزل المطر او تنبت النبات ، وإنما كانوا يعبدونهم او يعبدون قبورهم او يعبدون صورهم يقولون إنما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عندالله ، فبعث الله سبحانه رسله تنهى ان يدعى احد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعا استغاثة ، انتهى . وقال ايضاً : من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر اجماعا ، انتهى . فهؤلاء الطواغيت الذي يزعم هذا الملحد انهم من اولياء الله ومن اكابر السادة ، قد صرح هو انهم كانوا يستغيثون بهم ويعتقد فيهم اهل

نجد والأحساء وانهم ينادونهم بأسمائهم عند المهمات ويتوسلون بهم ، وقد صرح شيخ الاسلام ان هذا شرك وضلال .

وقوله : فياليت شعري كيف يستحق الالوهية من له شبيه ونظير ؟ كيف يستحق الالوهية من هو عاجز وفقير ؟ فأقول : لا يستحق الالوهية والعبادة من له شبيه ونظير ولا من هو عاجز وفقير ولا يستحقها الا الله العلي الكبير ، ولكن هؤلاء المشركين اشركوا مع الله في عبادته من لا يستحق العبادة ، ومن المعلوم بالضرورة من دين الاسلام انهم اذا دعوهم واستغاثوا بهم ولجئوا اليهم وطلبوا منهم ما لا يقدر عليه الا الله فقد عبدوهم مع الله سواء اعتقدوا انهم مستحقين للعبادة او غير مستحقين لها وان لم يكونوا مماثلين لله او مشابهين له فهم لايستحقون العبادة بحال .

وأما قوله : فثبت انه الى الآن لم يعرف الله تعالى حيث شبهه بخلقه ؛ فيقال لهذا الظالم المفتري : انما شبه الله تعالى بخلقه من جعل لله شركاء من خلقه ممن لا يستحق العبادة ، والشيخ رحمه الله ما جعلهم انداد الله واكفاء ولا مماثلين له ولا مشابهين له بوجه من الوجوه فيستحقون العبادة بل، كفر من دعاهم من الله واستغاث بهم وجعل فيهم نوعا من الآلهية وان لم يكونوا مستحقين لها فانتم الذين لا تعرفون الله حق معرفته ولا تدينون دين الحق .

وأما قوله : وأما ما استدل به من الآيات الكريمة على تكفير المسلمين كقوله تعالى : (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون . سيقولون لله قل افلا تذكرون) . وما بعدها من الآيات فهي انما نزلت في حق الكفار المنكرين للقرآن والرسول بدليل الآيات التي قبلها في الرد عليهم وهي قوله (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله) وكقوله في سورة يونس (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) فان الضمير راجع الى كفار مكة المنكرين للقرآن المكذبين للرسول ﷺ المنكرين للبعث والنشور بدليل الآيات التي قبلها في الرد عليهم وهي قوله (وقال الذين لا يرجون لقاءنا ائت

بقرآن غير هـذا أوبدله) . فالجواب ان يقال : ما كفر الشيخ المسلمين وانما كفر من عبد غير الله واتخذ مع الله الهة واندادا واستدلال الشيخ بهذه الآيات الكريمة هو الحق الذي لايمتري فيه عاقل وكونها نزلت في حق الكفار فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فمن فعل كما فعل كفار قريش من الاشراك بالله بدعاء غيره والاستغاثة به والذبح له والنـــذر له وطلب الحاجات من الغائبين والاموات أو توكل عليهم ولجأ اليهم في شيء من أموره وصرف لهم شيئاً من خالص حق الله فهو كافر مشرك ولو اقر بالقرآن والرسول واقر بالبعث والنشور وتلفظ بالشهادتين وعلى هذا سائر علماء سلف الائمة وائمتها ولو اخذنا بقول هذا الملحد لبطل الاستدلال بالقرآن وباحاديث الرسول على من فعل كما فعل المشركون الاولون . فأي مانع يمنع من تكفير من فعل كما فعلوا.؟ وان كان سبب النزول في قوم قد مضوا وانقرضوا فالحكم بحمد الله باق والدليل واضح والمنار يلوح . وقد انزل الله القرآن هدى للناس وبينات من الهدي والفرقان ولم ، يخص به قوما دون قوم ، وان مضى أمس باهل عرفانه فنحن من ابناء هذا اليوم ، وهكذا يكون الجواب عما بقي من الآيات ويقال أيضاً لهؤلاء الملاحدة : قد كان من المعلوم أنه لاخلاف بين العلماء كلهم ان الرجل اذا صدق رسول الله ﷺ في شيء وكذبه في شيء انه كافر لم يدخل في الاسلام وكذلك اذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه كمن اقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة أو اقر بالتوحيد والصلاة وجحد الزكاة أو اقر بهذا كله وجحد الصوم أواقر بهذا كله وجحد الحج . ولما لم ينقدا ناس في زمن النبي ﷺ للحج انزل الله فيحقهم (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن ومن كفر فان الله غني عن العالمين) ومن اقر بهذا كله وجحدا البعث كفر بالاجماع وحل دمه وماله كما قال تعالى : (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونـكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا) ، ويقال

أيضاً : اذا كان الأولون لم يكفروا إلا لأنهم جمعوا بين الشرك وتـكذيب الرسل والقرآن وانـكار البعث وغير ذلك فما معنى الباب الذي ذكره العلماء في كل مذهب باب حـكم المرتد وهو المسلم الذي يكفر بعد اسلامه ، ذكروا انواعا كثيرة كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله ، حتى انهم ذكروا أشياء يسيرة عند من فعلها مثل كلمـــة يذكرها بلسانه دون قلبه أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب . وقوله : ولو انهم آمنوا بالله وحده واقروا برسالة نبيه وما جاء به واعتقدوا في الحجر انه من خلقه وانه لاذنب له نفعهم . فاقول : لو ان الـكفار آمنوا بالله وحده واقروا برسالة نبيه وما جاء به واعتقدوا في الحجر أو اعتقدوا في نبي أو ولي أو صالح أنه من خلقه وانه لا ذنب له لـكان اعتقادهم هذا مخرجا لهم من الملة ناقضا لايمانهم بالله وحده واقرارهم برسالة نبيه وما جاء به كما قد تقدم بيان ذلك مراراً . وأما قوله : لقوله عليه السلام : « لو اعتقد احدكم في حجر لنفعه » لاعتقاده انه لا يضر ولا ينفع . فاقول : هذا حديث موضع مكذوب على رسول الله ﷺ وهذا هو الهذيان والخرافات قال ابن القيم رحمه الله في اغاثة اللهفان : ومنها احاديث مكذوبة مختلقة وضعها اشباه عباد الاصنام من المقابرية على رسول الله ﷺ ، تناقض دينه وما جاء به كحديث : اذا اعيتكم الأمور فعليكم باصحاب القبور ، وحديث لو احسن احدكم ظنه بحجر نفعه وأمثال هذه الاحاديث التي هي مناقضة لدين الاسلام وضعها المشركون وراجت على اشباههم من الجهال الضلال والله بعث رسوله بقتل من احسن ظنه بالاحجار ، وجنب امته الفتنة بالقبور بكل طريق كما تقدم . ومنها حكايات حكيت لهم عن تلك القبور ان فلانا استغاث بالقبر الفلاني في شدة فخلص منها ، وفلان دعا أو دعا به في حاجة فقضيت له . وفلان نزل به ضر فاستصرخ صاحب ذلك القبر فكشف ضره . وعند السدنة والمقابرية من ذلك شيء يطول ذكره وهم من اكذب خلق الله تعالى على الاحياء والاموات ، الى آخر كلامه رحمه الله تعالى ، فانظر رحمك الله

ايها المنصف الى ما قاله ابن القيم والى ما قاله هؤلاء الغلاة الملاحدة يتبين لك من الكذاب الدجال المموه المحتال اهو الذي يدعوا الى دين الله ورسوله واخلاص العبادة لله وحده وينهي عن عبادة الانبياء والاولياء والصالحين والاحجار والاشجار ام هؤلاء الدجاجلة الفجار والاخابث الاشرار واتباع كل ناعق الذين لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا الى ركن وثيق . ؟

فصل

وأما قوله : والكفار حكى الله عنهم انهم يعبدونهم لقوله تعالى حكاية عنهم (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفي) ولم يقولوا نعتقدهم فافهم الآن العبادة لله وحده والاعتقاد حسن الظن بعبادة الله انه مطلوب للحديث الوارد عنه ﷺ « خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله » فالجواب: أن يقال قد كان من المعلوم أن مشركي العرب كانوا يعبدون الملائكة والانبياء والاولياء والصالحين والاصنام والاحجار والاشجار وذلك لاعتقادهم انهم أولياء الله واحباؤه وانهم مقربون لديه فيدعونهم لاجل ذلك ويستغيثون بهم ويذبحون لهم وينذرون ويسألونهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات وهذه حال مشركي أهل هذه الازمان انما عبدوا الانبياء والاولياء والصالحين لاجل اعتقاد انهم بهذه المثابة من القرب والجاه والمنزلة من الله فالاعتقاد في الصالحين هو عبادتهم كما قال ﷺ لعدي بن حاتم لما قال: انا لسنا نعبدهم قال : «أليس يحلون ماحرم الله فتتبعونهم»؟ ويحرمون ما أحل الله فتتبعونهم قال بلى: قال «فتلك عبادتهم» فاعتقاد القلب وعمله وتحسين الظن بالاحبار والرهبان حتى أطاعوهم هو المقصود الاعظم حتي عند عبدة الاوثان فمن اعتقد في مخلوق فطلب منه مالا يقدر عليه إلا الله فقد اتخذه إلها من دون الله وعبده شاء أم أبي ، وحسن الظن بعباد الله لا يقتضي انهم يدعون مع الله ويستغاث بهم ويلجأ اليهم في المهمات والملمات . فتفريق هذا الملحد بين العبادة والاعتقاد لم يسبقه اليه أحد يعتد به . ثم ان هذا

الملحد قد نقض هذا بقوله في الفصل الثالث عند قوله : وأما الملائكة فقالت خزاعة وكنانة وغيرهم من كفار مكة انهم بنات الله تعالى الله عن ذلك ، والمسلمون بريئون من ذلك الاعتقاد فالاعتقاد عند هذا الملحد في الاحجار لا يضر والاعتقاد في الملائكة كفر يضر من اعتقده ، فعلى قول هذا الملحد ان الانسان اذا اعتقد في حجر فدعاه واستغاث به وذبح له ونذر لا يكون كافراً بهذا الاعتقاد وان صرف له نوعا من العبادة فجعله إلها مع الله لاشراكه به في عبادته ، واذا اعتقد أن الملائكة بنات الله يكفر ، وهذا تفريق بين ما جمع الله فان الله تعالى كفـّر من اعتقد في اللات ومناة وهنّ حجر ، وكفرَ من زعم ان الملائكة بنات الله فمن فرق بين ما جمعه الله بينهما فهو ضال مضل (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) وهذا الملحد لا يستحي من جمعه بين النقيضين فانه مرة يكفر باعتقاده كمن يعتقد في الملائكة انهم بنات الله ومرة لا يكفر به كمن يعتقد في الاحجار والانبياء والصالحين .

فصل

قال الملحد : الفصل الثالث من جملة هذيانه وخرافاته قوله : ان قصد الصالحين والاعتقاد فيهم والتبرك بهم شرك أكبر فاما قصد الصالحين فأول من أمر به رسول الله ﷺ صاحبيه عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهما فقد أمرهما ان يقصدا أويسا القرني ويسألاه الدعاء والاستغفار كما في صحيح مسلم . والجواب أن يقال : ان قصد الصالحين والاعتقاد فيهم لاجل دعائهم والاستغاثة بهم وطلبهم مالا يقدر عليه إلا الله شرك أكبر وقد تقدم الكلام على نوع هذا، واما حديث عمر رضي الله عنه الذي رواه مسلم فألفاظه مختلفة ففي رواية ان رسول الله ﷺ قال « ان رجلا يأتيكم من اليمن يقال له اويس لا يدع باليمن غير ام له قد كان فيه بياض فدعا الله فاذهبه عنه الا موضع الدينار والدرهم فمن لقيه منكم فليستغفر لكم » وفي لفظ سمعت رسول الله ﷺ

يقول « ان خير التابعين رجل يقال له اويس وله والدة وكان به بياض فمروه فليستغفر لكم ». وفي لفظ سمعت رسول الله ﷺ يقول «يأتي عليكم اويس بن عامر مع امداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرىء عنه الا موضع درهم له والدة هو بها برٌ لو اقسم على الله لابره فان استطعت ان يستغفر لك فافعل ». فاستغفر لي فاستغفر له فليس فيه أن رسول الله ﷺ أمر صاحبيه عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب أن يقصدا اويسا ولو كان هذا اللفظ واقعا في حديث لما كان فيه للخصم تعلق أيضا فان هذا اللفظ لا يقتضي جواز قصد الصالحين والاعتقاد فيهم وطلبهم مالا يقدر عليه إلا الله من اغاثة اللهفات وتفريج الكربات ودعائهم والطواف بقبورهم وشد الرحال اليها ، بل الذي يقتضيه هذا الحديث انه اذا جاءنا أحد من أهل الخير والصلاح فمن لقيه منا فطلب الدعاء له منه جائز وهذا لا ينكره أحد ولكن بدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم بدّلوا طلب الدعاء منه بدعائه والطلب منه . وأما قوله : واما التبرك بهم فقد كانت بردته ﷺ عند كعب بن زهير يتبرك بها الى آخره فنقول: قد كان من المعلوم ان البردة التي أعطاها رسول الله ﷺ كعب بن زهير رضي الله عنه لم يكن كعب بن زهير يعتقد فيها كما يعتقده عباد القبور عند ضرائح الاولياء والصالحين من الاعتقاد فيهم وطلب مالا يقدر عليه الا الله فيقصدونهم ويعتقدون انهم يغيثونهم ويفرجون كرباتهم ويقضون حوائجهم وذلك بدعائهم والنذر لهم والطواف بقبورهم والذبح لهم وغير ذلك من الامور التى يفعلها عباد القبور عند ضرائح الاولياء والصالحين يريدون بركتهم بما يفعلونه عندها فمن اعتقد فيهم البركة بفعل هذه الامور عند قبورهم فهو كافر مشرك ، وانما أراد كعب بن زهير ان تكون له كفنا ، وكذلك معاوية انما اشتراها أو أراد شراءها لاجل ذلك لمباشرتها جسده الشريف ﷺ فينالهم من بركته وكذلك الشعرات التي في قلنسوة خالد بن الوليد رضي الله عنه فهذا ونحوه مما لامحذور فيه وليس فيه دليل على الذهاب الى قبور الاولياء والصالحين

والتوسل بهم ودعائهم من دون الله لاجل طلب البركة هذا لا يقوله من كان يؤمن بالله واليوم الآخر .

وأما قوله : وقد أتي في القرآن بالبيان بقوله تعالى حكاية عن النبي يوسف عليه السلام (إذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه أبي الى – قوله – فارتد بصيرا) فأقول : لم يبعث به عليه السلام لابيه ليتبرك به وانما بعث به ليذهب عنه الحزن وليرتد بصيرا وقد ذكر بعض المفسرين أن القميص من نسج الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم إلا عوفي وليس في الآية ما يدل على أن يعقوب عليه السلام كان يتبرك به أو بعث به اليه لاجل هذا القصد وهذا من جنس حجج الصبيان والنسوان ، اذ لا فكرة ثاقبة ولا رؤية كاسبة ولا طريقة صائبة ، والله اعلم واعلم ان أصل الشرك الذى سرى في العالم من قديم الزمان ان عباد الاوثان انما كانوا يعتقدون حصول البركة منها بتعظيمها ودعائها والاستعانة بها والاستغاثة بها والاعتماد في حصول ما يرجونه ويؤملونه ببركتها وشفاعتها وغير ذلك فالتبرك بقبور الصالحين كاللات والاشجار كالعزى والاحجار كمناة من جملة فعل أولئك المشركين مع تلك الاوثان فمن فعل مثل ذلك واعتقد في ولى أو قبر أو حجر أو شجر فقد ضاهى عبادة هذه الاوثان فيما كانوا يفعلونه معها من هذا الشرك على أن الواقع من هؤلاء المشركين في هذه الازمان مع عبوديهم أعظم مما وقع من أولئك فالله المستعان .

(وأما قوله) : واما الاعتقاد فهو أصل كل خير وأول من سعد به من رجال هذه الامة أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما اعتقد في النبي ﷺ انه رسول الله وحبيبه وخيرته من خلقه الى آخر كلامه . فأقول : أما الاعتقاد فليس هو أصل كل خير مطلقا فأما اعتقاد أبي بكر انه رسول الله ﷺ فحق ولا يصح ايمان العبد إلا بذلك ولكن لا يدل على انه اذا اعتقد هذا في رسول الله ﷺ أو اعتقد خيرية صحابي أو تابعي أو امام من الائمة أو عابد من العباد او صالح من الصلحاء انه يدل على جواز دعائه والاستغاثة به والالتجاء اليه وطلبه منه وسؤاله مالا يقدر عليه إلا الله ، واعتقاد هذا أصل كل شر وفساد في العالم

وهو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله (ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار).

فصل

قال الملحد : ومن جملة هذيانه أيضاً إنكاره لكرامات أولياء الله وماخصهم به من الخصوصيات والاسرار الى آخر كلامه . والجواب أن يقال : ان هذه الدعوى دعوى كاذبة خاطئة ، فان الشيخ رحمه الله لاينكر كرامات الاولياء ، بل يثبتها ولا ينكر الا خوارق الشيطان ، فان أولياء الرحمن لهم علامات يعرفون بها ولأولياء الشيطان علامات يعرفون بها ، فمن علامات أولياء الله محبة الله ورسوله والتزام ما أمر الله به ورسوله وتقديم ما دل عليه الكتاب والسنة على ما يخطر ببال أحدهم أنه كرامة ، ويعرفون بنور الايمان والقرآن وبحقائق الايمان الباطنة وشرائع الاسلام الظاهرة فكرامات الاولياء سببها الايمان والتقوى . وأما من كانت خوارقه لا تحصل بالصلاة والقرآن والذكر وقيام الليل والدعاء ، وإنما تحصل عند الشرك مثل دعاء الميت والغائب أو بالفسق والعصيان وأكل المحرمات كالحيات والزنابير والخنافس والدم وغيره من النجاسات وأمثال الغناء والرقص لاسيما مع النسوة الاجانب والمردان ، وحالة خوارقه تنقص عن سماع القرآن وتقوى عند سماع مزامير الشيطان فيرقص ليلا طويلا ، فاذا جاءت الصلاة صلى قاعداً أو ينقر الصلاة نقر الديك ، وهو يبغض سماع القرآن وينفر عنه ويتكلفه ليس له فيه محبة ولا ذوق ولا لذة عند وجده ، ويحب سماع المكاء والتصدية ويجد عنده مواجيد فهذه أحوال شيطانية ، ومن أراد الوقوف على الفرق بين أولياء الله وأولياء الشيطان فعليه بمطالعة كتاب الفرقان لشيخ الاسلام ابن تيمية .

وأما قوله : ومن جملة الخصوصيات علم الكشف وعلم الالهام ، إلى آخره . فالجواب عن هذا هو الجواب عن الاول : فإن ما وقع لعمر بن الخطاب رضي

الله عنه من جملة الكرامة ، وكذلك مايقع له من الالهام لأن رسول الله ﷺ قال « ان يكن في أمتي محدثون فعمر منهم وقد ضرب الله الحق على لسان عمر وقلبه » .

وأما قوله : فأما أسرار الالهيـة فلو لم يرد في اثباتها إلا الحديث القدسي وهو قوله تعـالى (الاخلاص سر من سري استودعته قلب من أحببته من عبادي) لكفى به دليلا إلى آخره . فأقول : لم يذكر لهذا الحديث القدسي سنداً ، ولم يعزه إلى كتاب يعتمد على مثله وما كان هـذا سبيله فلاحجة فيه ولا يعتمد عليه . وأما قوله : أسرار الالهية ، فمراده بذلك من الدعوة فيه نوعاً من الالهية . وقد تقدم عن شيخ الاسلام ابن تيمية قوله : فكل من غلا في نبي او رجل صالح او جعل فيه نوعاً من الالهية مثل أن يقول ياسيدي فلان انصرني او اغثني او انا في حسبك ونحو هذه الاقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه ، فان تاب وإلا قتل ، إلى آخر كلامه رحمه الله ، وقد تقدم . وأما قوله : وأما شفاعة اولياء الله وجاههم عند الله فلو لم يرد في ذلك إلا قوله ﷺ « ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة من اهل بيت من جيرانه البلاء » لكفى به الى آخر كلامه . فأقول : لم يسند هذا الحديث ولم يعزه إلى كتاب فكيف يجوز له الاحتجاج به ؟ ، فلا بد من ذكر سنده وتوثيق رواته وإلا فلا حجة فيه ، وعلى قدر ثبوته وصحته وصحة ما ذكره من الاحاديث لايدل على جواز دعائهم والاستغاثة بهم وطلبهم ما لا يقدر عليه إلا الله .

فصل

واما قوله : ومن جملة هذيانه وخرافاته ايضا انكاره على شاعر العلماء وعالم الشعراء الامام العلامة البوصيري صاحب البردة المشهورة في قوله :

يا اكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

حتى قال ان هذا شرك اكبر لأنه دعاء لغير الله ، وادخل في اذهان العوام والغوغاء ذلك . فالجواب : ان يقال : قد كان من المعلوم بالاضطرار عند من له

ادنى المام بالمعلوم ان هذا الكلام صريح في انه دعاء مضطر محتاج ذي فاقة وفقر الى رسول الله ﷺ وانه ليس له ملجأ وملاذ ومفزع عند حلول الحادث العام العظيم سوى رسول الله ﷺ واذا حرم مجرد سؤاله مالا يقدر عليه الا الله وسؤاله بعد مماته مادون ذلك من الاسباب العادية فكيف بهذا الدعاء الذي هو من ابلغ الادعية في اظهار الفقر والفاقة واستعطاف المسؤول بتوحيده وافراده لهذا المطلوب العظيم والخطب الجسيم ؟ واذا كان الدعاء حرم لتضمنه التسوية بين الله وبين غيره في القصد والرجاء والذل والمحبة فكيف بما دل على ما هو ابلغ من ذلك مما ذكر في البردة والهمزية ونحوها وفي حديث النعمان ابن بشير رضي الله عنه « الدعاء هو العبادة » وحصر احد الجزءين في الاخر يفيد ما قاله بعض الشراح من ان الدعاء لبّها وخالصها وركنها الاعظم وفي حديث أنس الدعاء مخ العبادة وبه يظهر معنى الحصر في حديث النعمان وفي الحديث « من لم يسأل الله يغضب عليه » مفهومه ان من سأله رضي عليه وهل هذا الرضى وهذا الغضب الا لحصول عبادة يحبها ويرضاها أو لفقدها الموجب لغضبه وسخطه فاذا صرف ذلك لغير الله في الامور العامة الكلية التي مصدرها عن قدرة كاملة ليست في قوى البشر وليست من جنس الاسباب العادية فهذا عين الشرك . قال أبو العباس ابن تيمية في من سأل الاموات مالا يطلب الا من الله كمغفرة الذنوب وهداية القلوب وانزال المطر انه يستتاب فان تاب والا قتل لان هذا عين الشرك الذي نهت عنه الرسل ونزلت الكتب بتحريمه وتكفير فاعله انتهى .

وقد نفى الله عن غيره ملك الشفاعة ونفى فعلها بغير اذنه وان تكون فيمن لا يرضى قوله وعمله وقد ذكر جل ذكره انه المنفرد والمختص بملك ذلك اليوم وتمدح بذلك في غير آية من كتابه وثبت من غير وجه ان النبي ﷺ قال « ان الله يقبض السموات بيمينه ويقبض الارض فيقول انا الملك انا الديان اين ملوك الارض؟ » وقال تعالى (وما ادراك مايوم الدين ثم ما ادراك مايوم الدين

يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله) وهذه نكرة في سياق النفى وهي عامة . وكذلك قوله تعالى (واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئا) في موضعين من سورة البقرة ولا ينافي هذا ما ورد من اثبات شفاعة النبي ﷺ وشفاعة غيره لان المراد بالنفي اختصاصه بالملك وعدم مشاركة أحد له تعالى في ملك ذلك اليوم وما ورد من حصول الشفاعة فهو عن أمره واذنه ورضاه تعالى وتقدس . فالشافع عبد مأمور لا ملك له ولا يبتدىء بالشفاعة بل هو مدبر فكيف يطلب منه مالا يملك وما لا يحصل الا باذن من ربه تبـــارك وتعالى . وهذا هو المراد بالاستثناء في مثل قوله تعالى : (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) فتعليقها على الاذن والرضى يراد به هذا المعنى الذي هو صرف القلوب الى باريها وفاطرها واسلام الوجوه له عكس ما يفهمه المشرك من ان الاستثناء يفيد طلب ذلك من غير الله وسؤاله ذلك الغير هذا المطلوب العظيم واذا كان الحال هكذا فمن سأل رسول الله ﷺ شيئاً مما لا يطلب الا من الله كمغفرة الذنوب وهـداية القلوب ودخول الجنـة والنجاة من النار وإنزال المطر والنصر على الاعداء ودفع السوء والردى ونحو ذلك مما يختص به تعالى ولا يشاركه فيه مشارك فقد اشرك بربه وجعل له ندا وشريكا في خالص حقه ولا ريب ان هذا الدعاء يقتضي إثبات قدرة تامة وعـلم عام وسمع محيط لاسيا ان كان من يدعو الصالحين ويسألهم يجعل ذلك ديدنه في كل مكان وان بعدت الديار وتناءت الاقطار وان زعم انه لم يثبت قدرة ولا علما ولا سمعا عاما محيطا لا يليق بالمخلوق فهو مكابر ملبوس عليـه ثم في ذلك من الخضوع والذل والمحبة والانابة ما هو من خالص العبادة ولبها فكيف جاز صرفه لغير الله . اذا عرفت هذا ، فهذه الابيات التي قالها صاحب البردة فيها من الغلو والاطراء والدعاء والالتجاء ما لا يليق ولا ينبغي صرفه لمخلوق ولو نبيا أو ملـكا ، وأين قوله :

يا أكرم الخلق مالي من الوذ به ۔ سواك عند حلول الحادث العمم

ان لم تكن في معادي آخذ بيدي فضـــلا ولا فقل يا زلة القدم
فان من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

مما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله من وجوب اسلام الوجوه له تعالى والانابة اليه ووجوب اتخاذه تعالى ملجأ ومفزعا ومعاذا وملاذا عند الشدائد والمهمات ، قال تعالى (قل أرأيتـكم ان اتاكم عذاب الله او اتتـكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين) ففي هذه الآية انهم يلجؤون إليه ويفردونه بالدعاء في حال الرخاء وفي جميع الحالات فكيف ترى بمن اعد غير الله لشدته ولهول الساعة وكربها كما في ابيات البوصيري واذ اقترن بذلك نفي التعلق والرجاء والتوكل في ذلك عن غير الرسول ﷺ واضاف المتكلم الى هـذا اثبات عموم العلم واحاطته بالكليات والجزئيات وان الدنيا والآخرة حصلتا وكانتا عن جوده واحسانه ومعلوم ان هذا يدخل فيه كل تدبير وتأثير وتقدير وتسيير ، فأي فرد يبقى لله واي شيء اختص به ؟ ، فافهم ما في هذه الابيات من منافات مقتضي الرسالة وصريح الآيات ، واذا عرفت ذلك عرفت ان المعترض قصرت رتبته عن درجة العلم بأصل الايمان ، وعن معرفة الحكمة في خلق الجن والانس والسموات والارض وما فيهما ، فلذلك اعترض ورأى ان كلام الشيخ هذيان وخرافات ، وقد تبين لك ايها المنصف مما تقدم بيانه من الحق والتوضيح الذي لا يشك فيـه عاقل ان هـــذا الداعي قد اخلص الدعاء الذي هو مخ العبادة ، واللياذ الذي هو من أنواع العبادة لغير الله ، وتضمن اخلاص الرغبة والاستكانة والاستغاثة والالتجاء الى غير الله ، وهذه هي معظم العبادة كما اشير الى ذلك كما قال تعالى (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) الاية والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً ، وعن انس مرفوعاً «الدعاء مخ العبادة» رواه الترمذي

قال الملحد : واما قوله انه دعاء فكذب وبهتان وانما هو نداء ، والنداء غير الدعـــاء لأن الطلب اذا كان من مخلوق بمخلوق فلا يسمى

دعاء لا شرعاً ولا عرفاً بين المسلمين كما نص عليه الامام المحدث زين الدين العراقي الشافعي ، والامام العلامة ابن رشد المالكي ، وشيخ الاسلام زكريا الأنصاري الشافعي وغيرهم من الأئمة الأعلام ، وإنما سماه دعاء ترويجاً على العوام وادخالا للشبهات في قلوبهم حتى لايتوسلون برسول الله ﷺ ولابغيره من الأنبياء والرسل ، وهذامن خذلانه وجهالته .

والجواب أن نقول : اما دعوى الكذب والبهتان فمنكم بدأ واليكم يعود ، واما تفريقك بين الدعاء والنداء فتفريق باطل مخالف للكتاب السنة واجماع الأمة مع مخالفته اللغة ، فقد سمي الله سبحانه سؤال عباده له دعاء ونداء كما قال تعالى عن نوح عليه السلام (فدعا ربه اني مغلوب فانتصر) ، وقال (ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب العظيم) فسماه في موضع دعاء وفي موضع نداء ، وقال عن زكريا (فنادى ربه نداء خفيا) وقال في موضع (هنالك دعا زكريا ربه) وقال عن أيوب (وأيوب إذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين) وقال (وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين) وقال ﷺ « دعوة اخي ذي النون ما دعا بها مسلم الا استجيب له » وقال بعض الصحابة للنبي ﷺ اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه ؟ فأنزل الله (واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع إذا دعان) وقد سمى الله سبحانه طلب المخلوق من المخلوق واستغاثته به دعاء واستغاثة ونداء ، قال سبحانه (فاستغاثه الذي من شيعته على الذى من عده) وقال الصحابة قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق وقال تعالى (ان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم) فهذا نص في دعاء المسألة ، وقال (وان تدعوهم لا يسمعوا) وقال (ان الذين تدعون من الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) قوله (فادعوهم) أي اطلبوا منهم ، وقال (وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم أم

انتم صامتون) فأراد بالدعاء هنا الطلب الذي هو ضدّ الصمت ، وقال (قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون) اي استعينوا بشركائكم ، وقال (وقيل ادعوا شركاءكم) اي استعينوا بهم ليخلصوكم من عذابي فدعوهم فلم يستجيبوا لهم (ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم) ليخلصوكم مما انتم فيه فدعوهم فلم يستجيبوا لهم فقال في موضع ادعوا وفي موضع نادوا ، وقوله (فادعوهم) صريح في الطلب منهم ، وقال (وادعوا شهداءكم من دون الله) اي استعينوا بهم ، فسمى الله استعانتهم بهم دعاء بل قد سمى الله سبحانه نعيق الداعي بالبهائم دعاء ونداء ، فقال (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء) فجميع ماقدمناه صريح في ان سؤال العبد ربه يسمى دعاء ونداء وان استعانة المخلوق بالمخلوق وطلبه منه يسمى دعاء ونداء ، وقد قال النحويون : النداء هو الدعاء بأحرف مخصوصة وان المنادي منصوب لفظا أو محلا فقولك يازيد أي ادعو زيدا ومن اقسام المنادي المستغاث وهو كل من نودي ليخلص من شدة أو يعين على دفع مشقة كقول عمر : يالله للمسلمين أي ادعوك للمسلمين فاتضح بطلان قول هذا في ان طلب المخلوق من المخلوق لا يسمى دعاء بل نداء فهو يقول ان الطلب من الملائكة والمسيح وامه وعزير والجن نداء لادعاء فما ادري ما يقول فيمن طلب من العزى ومناة واللات ؟ فان قال ان الطلب منها لايسمى دعاء بل هو نداء والنداء لايضر عنده افتضح عند العامة والخاصة وان قال انه يسمى دعاء قيل له نقضت اصلك حيث جعلت الطلب من هذه الاوثان دعاء ومن غيرها نداء فهذا شيء واحد جعلته بالنسبة الى الاموات والغائبين والملائكة والمسيح وامه وعزير والجن نداء وبالنسبة الى العزي وغيرها من الاوثان دعاء مع انه يلزمه ان لا يسميه دعاء اذا لم يسم رباً وإلهاً لقوله ان الدعاء الذي هو عبادة فهو اتخاذ غير الله ربا والها . اذا تبين بطلان قول هذا فالدعاء يكون ايضاً اعمّ من النداء لانه قديكون بغير حرف نداء كقول نوح (وان لا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين) وقول بني اسرائيل

(لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين (وقول السائل اشكو الى الله حاجتي وذنوبي واسأل الله كذا واعوذ به من كذا وكل هذا يسمى دعاء وسمي النبي ﷺ قول ذي النون (لا إله إلا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين) دعوة كما تقدم في الحديث وفي الترمذي كان اكثر دعاء النبي ﷺ يوم عرفة «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي ﷺ يقول : عند الكرب «لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم» فسمي هـذا دعاء مع انه ليس فيه تصريح بالسؤال قال شيخ الاسلام تقي الدين رحمه في الـكلام على دعوة ذي النون قال : فالسائل تارة يسأل بصيغة الطلب وتارة بصيغة الخبر اما بوصف حاله أو حال المسئول أو بهما وهو من حسن الادب في السؤال كقول ايوب (مسني الضر وانت ارحم الراحمين) والسؤال بالحال ابلغ من جهة العلم والبيان وبالطلب اظهر من جهة القصد والارادة فلهذا كان غالب الدعاء من القسم الثاني لأن السائل يتصور مراده فيسأله بالمطابقة وان تضمن وصف حال السائل والمسئول فهو اكمل كقوله «اللهم اني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب الا انت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمني انك انت الغفور الرحيم» فيه وصف لحال نفسه المقتضى حاجة الى المغفرة ووصف ربه انه لايقدرعلى هذا غيره وفيه التصريح بالمطلوب وفيه وصف الرب بما يقتضى الاجابة وهو وصفه بالمغفرة والرحمة ، فهذا ونحوه أكمل الانواع ، انتهى . وقال الحافظ بن حجر رحمه الله في شرح البخاري في أول كتاب الدعوات من الصحيح : الدعوات بفتح المهملتين جمع دعوة بفتح أوله وهي المسألة الواحدة والدعاء الطلب والدعاء إلى الشيء الحث على فعله ، ودعوت فلاناً سألته ودعوته استغثته . ويطلق أيضاً على رفعة القدر كقوله تعالى (ليس له دعـــوة في الدنيا ولا في الآخرة) كذا قال الراغب ويمكن رده الى الذي قبله ، ويطلق الدعاء أيضاً على العبادة ، والدعوى بالقصر

الدعاء كقوله تعالى (واخر دعواهم) والادعاء كقوله تعالى (فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا) وقال الراغب : الدعاء والنداء واحد لكن قد يتجرد النداء عن الاسم والدعاء لا يكاد يتجرد ، وقال الشيخ ابو القاسم القشيري في شرح الاسماء الحسنى ما ملخصه : جاء الدعاء في القرآن على وجوه منها العبادة (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك) ومنها الاستغاثة (وادعو شهداءكم) ومنها السؤال (ادعوني استجب لكم) ومنه القول (دعواهم فيها سبحانك اللهم) ، والنداء (يوم يدعوكم) والثناء (قل ادعوا الله أوادعوا الرحمن) انتهى ، وقال تحت قوله وقول الله تعالى (ادعوني استجب لكم) الآية ، وهذه الآية ظاهرة في ترجيح الدعاء على التفويض ، وقالت طائفة الأفضل ترك الدعاء والاستسلام للقضاء ، وأجابوا عن الاية بأن آخرها مادل على أن المراد بالدعاء العبادة لقوله (ان الذين يستكبرون عن عبادتي) واستدلوا بحديث النعمان ابن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « الدعاء هو العبادة ، ثم قرأ (وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي) » الاية ، أخرجه الاربعة وصححه الترمذي والحاكم ، وشذت طائفة فقالوا المراد بالدعاء في الاية ترك الذنوب ، وأجاب الجمهور أن الدعاء من أعظم العبادة فهو كالحديث الاخر « الحج عرفة » أي معظم الحج وركنه الأكبر ، ويؤيده ما أخرجه الترمذي من حديث أنس رفعه « الدعا مخ العبادة » انتهى . فهذا بعض ما ذكره العلماء ، ولو ذهبنا نذكر كلامهم لطال الجواب ، وعلى قول هذا الملحد المفتون أن هؤلاء العلماء الأئمة الأعلام ، سموه دعاء ترويجا على العوام ، وادخالا للشبهات في قلوبهم بل أعظم من ذلك وأدهى وأمر تسمية ماسمى الله في محكم التنزيل ترويجا على العوام ، وادخالا للشبه في قلوبهم ، ويحاول أن يفرق بين ماجمع الله في كتابه واتحد معناه بهذيانه وبهتانه .

وأما قوله : لئلا يتوسلون برسول الله ﷺ ولا بغيره من الأنبياء والرسل فأقول : نعم لأن التوسل في عرف هؤلاء الغلاة هو دعاء الغائبين من الاحياء

والاموات والاستعانة بهم في الشدائد والملمات وسؤالهم قضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، وهذا لا يصلح الا لله ، ولا يطلب من أحد سواه .

وأما قوله : ولهـذا قال في الاقناع للحنابلة : من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم فانه يكفر اجماعاً . قال العلامة مفتي الحرمين الشريفين عبد الوهاب المصري : المراد من هذه العبارة أن يجعل بينه وبين الله وسائط على انهم آلهة دون الله يتوكل عليهم ، يعني يفوض أمره اليهم ويجعل معتمده عليهم ، ويدعوهم ويسألهم على أنهم هم المعطون والفاعلون ومعلوم أنه ليس أحد من الناس عامة وخاصة يعتقد ذلك ، انتهى .

فالجواب أن نقول : هذا كلام شيخ الاسلام بن تيمية قدس الله روحه نقله عنه صاحب الاقناع ، ونقله عنه ايضاً صاحب الفروع وصاحب الانصاف من الحنابلة ، وشيخ الاسلام اعلم بكلامه وما يريد به من هذا المكي المصري ، الذى هو أضل من حمـار اهله . قال رحمه الله في اثنـاء كلام له : وان اثبتهم وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين بين الملك ورعيته ، بحيث يكون هم يرفعون الى الله حوائج خلقه ، فالله انمـا يهدي عباده ويرزقهم بتوسطهم ، فالخلق يسألون منهم ، وهم يسألون الله ، كما ان الوسائط عند الملوك يسألون الملوك الحوائج للناس لقربهم منـه ، والناس يسألونهم ادباً منهم ان يباشروا سؤال الملك ، او لأن طلبهم من الوسائط على هـذا الوجه ، فهو كافر مشرك يجب ان يستتاب فان تاب والا قتل ، وهؤلاء المثبتون له شبهوا المخلوق بالخالق وجعلوه لله ندا ، وفي القرآن من الرد على هؤلاء ما لا تتسع له هذه الفتوى ، ثم ذكر كلاماً طويلا ، فمن اراد الوقوف عليه فهو في مسألة الوساطة مبسوط ، فهذا كلام ائمة الحنابلة . واما تأويل هـــذا المصري لكلام شيخ الاسلام لئلا يكون من الشرك الاكبر الذي لا يغفره الله ، لان في معتقدهم انه لا يكفر الا من جعلهم آلهة بمعنى انهم الفاعلون ، فلا يكون عندهم كافراً الا من اشرك فى الربوبية . واما من اشرك في توحيـــد الالوهية فلا

يكون مشركاً الا ان اعتقد التأثير من غير الله ، وهذا من ابطل الباطل وافسد التأويل فلا معول عليه .

وأما قوله : قلت وهذا لم يقل صاحب الاقناع ولا غيره من العلماء من جعل بينه وبين الله وسائط يناديهم ويتوسل بهم ، بل قال يدعوهم ويتوكل عليهم ، والدعاء والتوكل عبادتان ، فمن صرف العبادة الى غير المعبود كفر حيث جعل مع الله إلهاً آخر يدعوه ويتوكل عليه . ومعلوم لدى كل عاقل ان النداء جائز فلا يكون كفراً لانه غير عبادة .

فالجواب من وجوه : الاول انه اسقط من كلام صاحب الاقناع قوله : ويسألهم وقد كان من المعلوم ان سؤال غير الله مما لا يقدر عليه الا الله انه كفر ، قال ابن القيم رحمه الله في المدارج : ومن انواع الشرك طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه اليهم ، وهذا اصل شرك العالم ، فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلا لمن استغاث به وسأله قضا حاجاته أو سأله ان يشفع له الى الله فيها ، والميت محتاج الى من يدعو له ويترحم عليه ويستغفر له ، كما اوصانا النبي ﷺ إذ زرنا القبور ان نترحم عليهم ونسأل الله لهم العافية والمغفرة فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة واستقضاء الحوائج والاستغاثة بهم ، وجعلوا قبورهم أوثاناً تعبد وسموا قصدها حجاً ، فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعاداة أهل التوحيد ونسبة أهله الى التنقص بالاموات ، وقد تنقصوا الخالق بالشرك به وأوليائه الموحدين له الذين لم يشركوا به شيئاً بذمهم وعيبهم ومعاداتهم ، وتنقصوا من اشركوا به غاية التنقص ، وظنوا انهم راضون منهم بهذا وانهم أمروهم به وانهم يوالونهم عليه ، وهؤلاء هم اعداء الرسل وأهل التوحيد في كل زمان ومكان وما اكثر المستجيبين لهم ، وما نجا من شرك هذا الشرك الاكبر الا من جرد توحيده لله وعادى المشركين في الله وتقرب بمقتهم الى الله واتخذ الله وحده وليه وإلهه ومعبوده فجرد حبه وخوفه لله ورجائه لله وذله له وتوكله

على الله واستعانته بالله اذا سأل سئل الله واذا استعان إستعان بالله واذا عمل عمل لله فهو لله وبالله ومع الله انتهى .

الوجه الثاني : ان جميع الحنابلة وغيرهم من العلماء قد بينوا ان من اشرك بالله أحداً في نوع من انواع العبادة فهو كافر مشرك ، ومن انواع العبادة الحب والخوف والرجا والتعظيم والتوكل والاستغاثة والاستعانة والاستعاذة والذل والخضوع والخشوع والانابة والدعا والذبح والنذر والالتجا وغير ذلك من انواع العبادة ، فمن صرف من هذه الانواع شيئاً لغير الله فهو كافر مشرك ، وأدلة ذلك في القرآن والسنة واقوال العلماء اكثر من ان تحصر واشهر من ان تذكر .

الوجه الثالث : إن النداء والدعا بمعنى واحد لا فرق بينهما ، ومن فرّق بينهما فقد خالف الكتاب والسنة واجماع العلماء وعرف المسلمين ولا عبرة بمن شذ عنهم ممن لايعتد به . ثم أعلم انه لايقول مسلم ان قول الله تعالى عن زكريا عليه السلام انه قال : (فنادى ربه نداء خفيا) وقوله عن نوح (ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم)وقوله عن ايوب . (وأيوب إذ نادى ربه اني مسني الضر)وقوله (وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات) ليس بدعاء ولا عبادة ، ونعوذ بالله من ان نقول على الله بلا علم ، ومن انكر ان يكون هذا النداء عبادة لله ، فقد كفر وكذب بما أنزل على محمد ﷺ .

واما قوله : ولو كان النداء عبادة لكفر كل من نادى غير الله ، وهذا لا يقوله احد .

فالجواب ان نقول : نعم النداء عبادة كما تقدم بيانه ، ومن نادى غير الله نداء العبادة واستغاث به وسأله ولجأ اليه فهو كافر ، ومن شك في كفره فهو كافر ، وقد قال بذلك أهل العلم الذينهم القدوة وبهم الاسوة ، وماذا عسى ان يكون اذا جهلت ذلك ، وقد قال به أهل العلم ووضحوه .

وأما قوله : بل قد جاء في الحديث الصحيح ان النبي ﷺ أمر الأعمى ان يتوضأ ويحسن وضوءه ثم يدعو بالدعاء المشهور وفيه « يامحمد اني اتوجه بك الى ربك في حاجتي لتقضى » فافطر كيف أمره أن يناديه باسمه الشريف قائلاً: يا محمد اني اتوجه بك الى ربي في حاجتي لتقضى » .

فالجواب ان يقال : حديث الاعمى ليس بصحيح وفيه مقال ، وعلى تقدير ثبوت صحته فلا حجة فيه وليس فيه ما يوهم جواز دعائنا له والاستغاثة به ، قال شيخ الاسلام بن تيمية رحمه الله بعد كلام ذكره . ومن هذا استشفاع الناس بالنبي ﷺ يوم القيمة بمعنى انهم يطلبون منه ان يشفع الى الله ، كما كانوا في الدنيا يطلبون منه ان يدعو لهم في الاستسقاء وغيره ، وقول عمر انا كنا اذا اجدبنا توسلنا اليك بنبيك فتسقينا وانّا نتوسل اليك بعم نبينا ، معناه نتوسل اليك بدعائه وشفاعته وسؤاله ونحن نتوسل اليك بدعاء عمه وسؤاله وشفاعته ، ليس المراد انّا نقسم عليك به . أو ما يجري هذا المجرى مما يفعل بعد موته وفي مغيبه كما يقول بعض الناس اسألك بجاه فلان عندك ، أو يقولون « انّا نتوسل الى الله بانبيائه ورسله وأوليائه ، ويرون حديثا موضوعاً اذا سألتم الله فاسألوه بجاهي . فإن جاهي عند الله عريض» فلو كان هذا التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه كما ذكر عمر لفعلوا ذلك بعد موته ولم يعدلوا عنه الى العباس مع علمهم ان السؤال به والاقسام به اعظم من العباس ، فعلم ان ذلك التوسل الذي ذكره عمر هو مما يفعل بالاحياء دون الاموات ، وهو التوسل بدعائهم وشفاعتهم ، فان الحي يطلب منه ذلك والميت لا يطلب منه دعاء ولا غيره ، وكذلك حديث الاعمى فانه طلب من النبي ﷺ ان يدعو له ليرد اليه بصره فعلمه النبي ﷺ دعاء أمره ان يسأل الله به قبول شفاعته ، وان قوله اسألك واتوجه اليك بنبيك نبي الرحمة أي بدعائه وشفاعته ، كما قال عمر كنا نتوسل اليك بنبينا فلفظ التوجه والتوسل في الحديثين بمعنى واحـــد ، ثم قال : يا محمد اني اتوجه بك الى ربي لحاجتي ليقضيها اللهم فشفعه فيّ فطلب

من الله ان يشفع فيه نبيه ، وقوله يا محمد يا نبي الله ، فهذا وأمثاله نداء يطلب به استحضار المنادى في القلب فيخاطب المشهود بالقلب كما يقول المصلي السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته ، والانسان يقول مثل هذا كثيراً يخاطب من يتصوره في نفسه ، وان لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب انتهى .

فاذا تبين لك هذا علمت أن قوله يا محمد يا نبي الله انه ليس نداء طلب وعبادة وسؤال ، انما هو نداء يطلب به استحضار المنادي في القلب ، فيخاطب المشهود بالقلب ، وتبين لك ايضاً ان هـــذا التوسل مما يفعل بالاحياء دون الاموات ، وهو التوسل بدعائهم لهم وشفاعتهم ، فان الحي يطلب منه ذلك والميت لا يطلب منه دعاء ولا غيره ، فبطل تمويه هذا المموه المحرف لكلام الله ورسوله .

وأما قوله وفي الحديث الصحيح « ان الخلائق يوم القيامة يفزعون الى الانبياء والرسل طالبين منهم الشفاعة منادين لكل نبي باسمه » فأقول : ليس هذا النداء نداء عبادة ، بل هذا نداء لحي حاضر قادر على الدعاء ، وقد تقدم كلام شيخ الاسلام وبه الكفاية . وأما قوله وورد في الحديث « اذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فليناد ياعباد الله احبسوا ثلاثا » قال : فان لله في الأرض حاضرا سيحبسها الى آخره فالجواب ان يقال : هـذا حديث غير صحيح وفي سنده معروف بن حسان وهو منكر الحديث قال بن عدي وعلى تقدير صحته فليس فيه حجة لهـذا المبطل على جواز دعاء الأموات والغائبين لأنه قال فيه فان لله حاضراً سيحبسه . المعنى ان لله عبادا لانعلمهم وما يعلم جنود ربك إلا هو قد وكلهم سبحانه بهذا الأمر وهـذا يدل على أن هؤلاء الذين أمرنا بندائهم حاضرون أحياء جعل الله لهم قدرة على ذلك لقوله فان لله حاضرا سيحبسه وهذا كما ينادي الانسان أصحابه الذين معه في السفر ان يردا عليه دابته اذا انفلتت وكل عاقل يتيقن ان النبي ﷺ لا يأمر بمناداة من لا يسمع ولا يعين من ناداه ومن استدل بذلك على جواز الاستغاثة بالأموات والغائبين فهو ضال ثم ذكر

الملحد كلاما قد تقدم الكلام عليه ولا فائدة في اعادته .

وأما قوله : واما تشبيهه لمن نادى رسول الله أو غيره من الانبياء والاولياء بمن نادى الاصنام أو بمن نادى عيسى وعزيرا والملائكة فلا يخفى فساده إذ الاصنام ليسوا من أهل الشفاعة وأما عيسى وعزير فقد أخبر الله تعالى عن مقالة الكفار فيهما بقوله تعالى (وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم) الآية واما الملائكة فقالت خزاعة وكنانة وغيرهم من كفار مكة انهم بنات الله تعالى الله عن ذلك والمسلمون بحمد الله بريؤون من ذلك الاعتقاد الى آخر كلامه .

فالجواب أن يقال قد تقدم الجواب عن هذا وقد تقدم انما نزل في الكفار الاولين يتناول من فعل كفعلهم وان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وقد صح عن النبي ﷺ انه قال : « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا : يارسول الله اليهود والنصارى قال فمن » أخرجاه في الصحيحين . فقول هـذا الملحد فان ورد في الكتاب والسنة ان من آمن بالله وحده وصدق بأنبيائه ورسله وبما جاءوا به من عند الله انه بمجرد ما ينادى نبياً أو ولياً مستشفعاً به الى الله تعالى يكفر بمجرد النداء فبينوه لنـا ان كنتم صادقين ولن تجدوه أبداً فنقول : من آمن بالله وحده وصدق بأنبيائه ورسله وبمـا جاءوا به من عند الله ثم دعا ونادي نبياً أو ولياً أو حجراً أو شجراً واستغاث به ولجأ اليه وطلب منه مالا يقـدر عليه إلا الله من اغاثة اللهفات واجابة الدعوات وتعريج الكربات وطلب الحاجات من الغائبين والاموات فقد أشرك بالله وكذب رســله وأنبياءه وما جاءوا به من عند الله بدليل ما تقدم من عدم الفرق بين الدعاء والنداء ولا ينفعه اعتقاده ان الله سبحانه هو الخالق وحده وانه الفاعل لجميع الاشياء وانه هو رب كل شيء ومليكه ولا يدبر الامر إلا هو وانه لا مشارك له في شيء من أفعاله سبحانه وبحمده كما لم ينفع هذا كفار العرب . وأما زعمه أن اليهود والنصـاري ما كفروا إلا بقول اليهود عزير ابن الله ، والنصاري

ما كفروا إلا بقولهم المسيح ابن الله ، وخزاعة وكنانة بقولهم ان الملائكة بنات الله ، واما ما فعلوه من سائر المكفرات فلا يكفرون به ، وان المسلمين بزعمه برآء من هذا الاعتقاد فقط ، فهذا الكلام بكلام المجاذيب أشبه ، ولا نتعب القلم برد هذا فانه مما يعلم بطلانه ببديهة العقل وبالضرورة من دين الاسلام ، ثم انه قد فعلت هذه الامة كما فعلت اليهود والنصاري ففي الصحيح « عن عائشة رضي الله عنها ان أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال : أولئك اذا مات فيهم الرجل الصح والعبد الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوّروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله » وفي الصحيحين عنها قالت : لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فاذا اغتمّ بها كشفها فقال وهو كذلك « لعنة الله على اليهود والنصاري اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذّر ما صنعوا ولولا ذلك لابرز قبره ، غير انه خشي أن يتخذ مسجدا ، ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول « اني أبرأ الى الله ان يكون لي منكم خليل فان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا إلا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فاني انهاكم عن ذلك » .

ولاحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا « ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم احياء الذين يتخذون القبور مساجد » ورواه ابو حاتم في صحيحه وروي مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم لاتجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد» وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج» رواه اهل السنن قال شيخ الاسلام رحمه الله : وهذه العلة التي لاجلها نهي الشارع ﷺ عن اتخاذ المساجد على القبور هي التي أوقعت كثيراً من الامم ، أما في الشرك الاكبر أو فيما دونه من الشرك ،

فان النفوس قد اشركت بتماثيل الصالحين وتماثيل يزعمون انها طلاسم الكواكب ونحو ذلك ، فان الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب الى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر ، ولهذا تجد أهل الشرك يتضرعون عندها ويخشعون ويخضعون ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله ولا وقت السحر ، ومنهم من يسجد لها الى آخر كلامه ، وقال ابن القيم رحمه الله : ومن أعظم كيد الشيطان انه ينصب لاهل الشرك قبر معظم يعظمه الناس ثم يجعله وثناً يعبد من دون الله ، ثم يوحي الى أوليائه ان من نهى عن عبادته واتخاذه عيدا وجعله وثنا فقد تنقصه وهضم حقه فيسعى الجاهلون المشركون فى قتله وعقوبته ويكفرونه وذنبه عند أهل الاشراك امره بما امر الله به ورسوله ونهيه عما نهى الله عنه ورسوله من جعله وثنا وعيدا وايقاد السرج عليه وبناء المساجد والقباب عليه وتجصيصه واشادته وتقبيله واستلامه ودعائه أو الدعاء به والسفر اليه أو الاستعانة به من دون الله مما قد علم بالاضطرار من دين الاسلام ، انه مضاد لما بعث الله به رسوله من تجريد التوحيد لله وان لايعبد إلا الله ، فاذا نهى الموحد عن ذلك غضب المشركون واشمأزت قلوبهم ، وقالوا قد تنقص أهل الرتب العالية ، وزعم انهم لا حرمة لهم ولا قدر ، وسرى ذلك في نفوس الجهال والطغام وكثير ممن ينتسب الى العلم والدين حتي عادوا أهل التوحيد ورموهم بالعظائم ونفروا الناس عنهم ووالوا اهل الشرك وعظموهم وزعموا انهم هم أولياء الله وانصار دينه ورسوله ويأبي الله ذلك فما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتبعون له الموافقون له العارفون بما جاء به الداعون اليه لا المشتبعون بما لم يعطوا ، لابسوا ثياب الزور ، الذين يصدون الناس سنة نبيه ويبغونها عوجا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا . وقد تقدم من كلام ابن القيم رحمه الله في اتخاذ القبور اعيادا من المفاسد العظيمة ما لا يعلمه إلا الله فراجعه وبه الكفاية ، والمقصود ان هذه الامة ضاهت اليهود والنصارى في الغلو في الانبياء والصالحين ، وفي تعظيم القبور والبناء عليها المساجد والقباب ، واسراجها ، والعكوف

عندها وتعظيم اربابها بالذبح والنذر لها والطواف بها والتمسح بها وتقبيلها واستلامهما يطول عده واستقصاؤه ، وان لم يوافقوهم على دعوى الولديه وان الملائكة بنات الله فهم وافقوهم في الغلو فيهم واتخاذهم الهة مع الله لا ينكر ذلك إلا من اعمى الله بصيرة قلبه .

فصل

وأما الدليل من الكتاب والسنة على ان من نادى نبيا او وليا مستشفعا به الى الله يعني انه يطلب منه ان يغيثه أو ينصره أو يهديه أو يلجأ اليه في قضاء حاجة أو ازالة شدة وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله ، فقد تقدم من الآيات والاحاديث في الجواب عن تفريقه بين الدعاء والنداء ما يكفي عن اعادته هنا . وقال شيخ الاسلام رحمه الله : فكل من غلا في نبي أو ولى أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الآلهيــــة ، مثل ان يقول ياسيدي فلان انصرني أو اغثني أو ارزقني أو انا في حسبك ونحو هذه الاقوال ، فـكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب والا قتل ، وقد تقدم بتمامه ، والمقصود انه اذا نادى من يدعوه من دون الله باسمه وطلب منه النصر والاغاثة فهو مشرك ضال وقال الامام بن عقيل في فتونه لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن الاوضاع الشرعية الى تعظيم أوضاع وضعوها لانفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت امر غيرهم ، وهم عندي كفار بهذه الاوضاع مثل تعظيم القبور وتخليقها وطلب الحوائج من الموتي ودس الرقاع في القبور فيها يا مولاي افعل بي كذا وكذا وهذا نداء باسم المنادي . وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : ومن أنواع الشرك طلب الحوائج من الموتي والاستغاثة بهم والتوجه اليهم وهذا أصل شرك العالم ، فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا عمن استغاث به وسأله قضاء حاجاته أو سأله ان يشفع له الى الله فيها والميت محتاج الى من يدعو له ويترحم عليه ويستغفر له كما أوصانا النبي ﷺ

اذا زرنا القبور ان نترحم عليهم ونسأل الله لهم العافية والمغفرة ، فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة واستقضاء الحوائج والاستغاثة بهم وجعلوا قبورهم أوثانا تعبد وسموا قصدها حجا فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعاداة أهل التوحيد ونسبه أهله الى التنقص بالأموات وقد تنقص الخالق بالشرك وأوليائه الموحدين له الذين لم يشركوا به شيئاً بذمهم وعيبهم ومعاداتهم وتنقصوا من اشركوا غاية التنقص وظنوا انهم راضون منهم بهذا وانهم امروهم به وانهم يوالونهم عليه ، وهؤلاء اعداء الرسل وأهل التوحيد في كل زمان ومكان الى آخر كلامه رحمه الله ، فطلب الحاجات من الموتى والاستغاثة بهم لا يكون الا بدعائهم وندائهم .

فصل

قال الملحد الفصل الرابع لو قال الشيخ النجدي ان توحيد الالوهية هو انه لا يستعبدك من الاكوان غير الله لسلمنا له ، فان هذا مقام أولياء الله ، ولكن ليس هو من أهله .

والجواب ان نقول توحيد الالوهية هو ان يوحد العبد ربه بأفعاله الصادرة منه كالدعاء والحب والخوف والرجاء والتوكل والاستغاثة والذبح والنذر والتعظيم والخشوع والخضوع والذل والانابة والاستعانة والاستعاذة الى غير ذلك مما تقدم ذكره من أنواع العبادة ، فالعبادة بجميع أنواعها إنما تصدر عن تأله القلب بالحب والخضوع والتذلل رغبا ورهباً وهذا كله لا يستحقه الا الله تعالى كما تقدم بيانه ، قال شيخ الاسلام : الاله هو المعبود المطاع فأن الاله هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق ان يعبد وكونه يستحق ان يعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم ان يكون هو المحبوب غاية الحب المخضوع له غاية الخضوع ، قال : فأن الاله هو المحبوب المعبود الذي تألهه القلوب بحبها وتخضع له وتذل له وتخافه وترجوه وتنيب اليه في شدائدها وتدعوه في مهماتها وتتوكل عليه في مصالحها وتلجأ اليه وتطمئن اليه بذكره وتسكن الى حبه ،

وليس ذلك الا الله وحده ، ولهذا كانت لا اله الا الله اصدق الكلام وكان أهلها اهل الله وحزبه ، والمنكرون لها اعداؤه واهل غضبه ونقمته ، فاذا صحت صح بها كل مسألة وحال وذوق واذ لم يصححها العبد ، فالفساد لازم له في علومه واعماله . وقال ابن القيم : الاله هو الذى تأله القلوب محبة واجلالا وانابة واكراما وتعظيما وذلا وخضوعا وخوفا ورجاء وتوكلا ، وقال ابن رجب الاله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له واجلالا ومحبة وخوفا ورجاء وتوكلا عليه وسؤالا منه ودعاء له ، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الامور التي هي من خصائص الالهية ، كان ذلك قدحا في إخلاصه في قول لا إله إلا الله ، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب مافيه من ذلك ، وقال شيخ الاسلام رحمه الله وجماع الامر أن الشرك نوعان : شرك في ربوبيته بأن يجعل لغيره معه تدبيرا ما قال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير) فبين أنهم لا يملكون مثقال ذرة استقلالا ولا يشركون في شيء من ذلك ولايعينونه على ملكه فلم يكن مالكا ولا شريكا ولا عوينا ، فقد انقطعت علاقته وشرك في الالوهية بأن يدعى غيره دعاء عبادة أو دعاء مسألة ، كما قال تعالى (اياك نعبد وإياك نستعين) فكما أن إثبات المخلوقات أسبابا لايقدح في توحيد الربوبية ولا تمنع أن يكون الله خالق كل شيء ولا توجب ان يدعى المخلوق دعاء عبادة أو دعاء استعانة كذلك اثبات بعض الافعال المحرمة من شرك أو غيره أسبابا لا تقدح في توحيد الالوهية ولا تمنع أن يكون الله هو الذي يستحق الدين الخالص ولا يوجب أن تستعمل الكلمات والافعال التي فيها شرك اذا كان الله يسخط ذلك ويعاقب عليه ، ويكون مضرة ذلك على العبد أكثر من منفعته ، إذ قد جعل الخير كله في أن لا نعبد إلا إياه ولا نستعين إلا به ، انتهى . فاذا تبين لك حقيقة توحيد الآلهية وحقيقة توحيد الربوبية وعلمت ان الفرق بين توحيد

الربوبية وتوحيد الالوهية هو ما حققه علماء الاسلام وأئمة الدين والهدى ،
تبين لك ضلال هؤلاء الغلاة الملاحدة .

وأما قوله: ان توحيد الالوهية هو ان لايستعبدك من الاكوان غير الله .

فأقول : ليس هذا توحيد الإلوهية ، بل توحيد الالوهية هو ماقدمناه من كلام أئمة الاسلام ، وإنما هذا من كلام اهل السلوك وليس هو من أعلا مقامات السائرين إلى الله فان هذا المقام عندهم هو مقام المحو ومقام الفناء الذي هو غاية الغايات عندهم . قال ابن القيم رحمه الله : وينبغي ان يعرف ان مراعاة مقام الفناء الذي جعلوه غاية آل بكثير من طالبيه الى ترك القيام بالاعمال جملة ورأوا أنها علل قاطعة عنه ، واشتد نكير الشيوخ والأئمة عليهم ، حتى قال شيخ الطائفة الجنيد : ان الذي يزني ويسرق خير من هؤلاء ، هم نوعان : نوع جردوا الفناء في شهود الحكم وهوالحكم القدري ورأوا انه غاية نهاية التوحيد فآل بهم استغراقهم فيه إلى اطّراح الاسباب ، حتى قال قائلهم العارف لا يعرف معروفا ولا ينكر منكراً لاستبصاره بسر الله في القدر . والنوع الثاني أصحاب تجريد الفناء والارادة فجردوا الفناء والارادة تجريدا آل بهم إلى ترك الاسباب جملة ، والطائفتان منحرفتان ضالتان عن العلم والدين ، واطال الكلام في هـذا المقام ، والمقصود ان هـذا الكلام الذي ذكره ليس هو من مقام توحيد الالوهية ولا مقام أولياء الله المخلصين على الحقيقة ، ولا هو مقام الرسل عليهم الصلاة والسلام .

وأما قوله : ولكن ليس هو من اهله بل هو من عبيد الهوى والنفس فأقول ان الشيخ رحمه الله لم يدّع انه من اهل السلوك ولا من اهل الفناء ومحو الاسباب حتى يعاب عليه بترك هـذا المذهب ، مع ما في هذا المذهب مما مر بيانه عن ابن القيم رحمه الله ، بل كان رحمه الله من اهل التوحيد الداعين إليه وإلى تجريده أعني توحيد الالوهية والعبادة ، فقام اشد القيام في الدعوة الى الله والى توحيده بجميع انواع العبادة وجاهد على ذلك حتى أظهر الله دين الاسلام في جميع الاقطار وانتشر فيها اعظم انتشار ، ولم يكن ولله

الحمد من عبيد الهوى بل كان هواه فيما يرضي مولاه وعلى سنة رسول الله، ولم يحكم رحمه الله بكفر الموحدين ولا خالف أئمة الدين ، بل حكم بكفر عبّاد القبور من المشركين وتكفير الطواغيت من الأئمة المضلين الداعين إلى عبادة غير الله والصادين عن سبيل الله المتبعين غير سبيل المؤمنين .

واما قوله : والعجب كل العجب ممن يدعي مقام اولياء الله المنطرحين بين يديه المتوكلين في جميع امورهم عليه مع انه لم يزل معتمداً على أسبابه الدنيوية التي يرجو النفع منها لنفسه ومجانبا للاسباب التي يخاف الضرر منها على نفسه حتى يكاد خوفه ورجاؤه للاسباب إلى آخره .

فأقول : ان الاعتماد على ترك الاسباب قدح في التوكل ومحو الأسباب ان تكون أسبابا قدح في التوحيد ولا ريب ان الله سبحانه وتعالى قضي الاقضية المقضية ولكن قدرها بأسبابها المقتضية لها ، فلا يكون وقوف العبد على فراغة سبحانه من أقضيته في خلقه وتدبيره مانعا من قيامه بالاسباب التي جعلها طرقا لحصول ما قضاه منها ، وكذلك يباشر العبد الاسباب التى بها حفظ حياته من الطعام والشراب واللباس والمسكن ولا يكون وقوفه مع فراغ المدبر منها مانعا له من تعاطيها ، وكذلك يباشر الاسباب الموجبة لبقاء النوع من النكاح والتسري ، ولا يكون وقوفه مع فراغ الله من خلقه مانعا وهكذا جميع مصالح الدنيا والآخرة ، وان كانت مفروغا منها قضاء وقدرا ، فهي منوطة بأسبابها التى يتوقف حصولها عليها شرعا وخلقا ، وكان أكمل العارفين بالله واعظم المتوكلين عليه سيد ولد آدم ﷺ يدّخر لاهله قوت سنتهم وظاهر يوم أحد بين درعين واختفي في الغار غار ثور ثلاثة أيام خشية الطلب ، وابتنى عريشا يوم بدر وجعل فيه الحرس وقال للنفر الذي سألوا عن عبادة رسول الله ﷺ فكأنهم تقالوها « لكني أصوم وأفطر وآكل اللحم واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني » وقال « جعل رزقي تحت ظل رمحي » وقد كان يجانب الاسباب التي يخاف الضرر منها على نفسه وعلى أصحابه ويبذل الاسباب التي يرجو منها لنفسه ولاصحابه فاذا كان هذا حال رسول الله ﷺ وحال

اصحابه افيعاب الشيخ باتباع رسول ﷺ ، ؟ والشيخ رحمه الله لم يدع شيئا مما قاله هذا المفتري لنفسه فلم ينهمك رحمـــه الله في مطالعة الاسباب ولا غفل ولله الحمد عن رب الارباب ، بل المعروف من حاله قلة رغبته في الدنيا والهلع عليها ، وانما رغبته رحمه الله في الدار الآخرة وفي الامور التي يرجو بها منازل الابرار وينجو بها من النار وغضب الجبار ، وكان كثير التضرع الى الله والافتقار والتملق بين يديه في الاسحار ، وبالجملة فكان على طريقة السلف الصالح والصدر الاول وعلى ما كان عليه الائمة الاعلام في جميع انواع الدين يوالى لله ويعادى لله اعداء الله ورسوله ، فرحمه الله من امام ما أحسن أثره على الناس وما اقبح أثر الناس عليه ، ثم ان هـذا الملحد لم يكن له خبرة بأحوال الشيخ جليها وخفيها ولم يكن من أهل بلده وانما يتلقي هذه المجونات من أوضاع أهل الفجور والقول بالزور ويزيد من عند نفسه اموراً منكرة ، لينفر عما جاء من التوحيد اشباه الحمر المستنفرة التي فرت من قسورة . وقوله : وانما ينسب الشرك الاصغر بل الاكبر المخلد في النار مع الكفار ينسبه الى من يتوسل برسول الله ﷺ او بأحد من اولياء امته وجعله سببا يتوصل اليه به الى طلبته من مولاه الى آخر كلامه . فأقول : التوسل في عرف الصحابة والتابعين : هو طلب الدعاء من الرسول في حياته ، كما كانوا يتوسلون به عند القحط ، فيدعو الله ويستقيه فيسقيهم الله ثم بعد مماته توسل عمر بدعاء عمه وقد تقدم بيانه ، فهذا هو التوسل المشروع ، والشيخ لا يمنع من هذا ولا ينكره ، والتوسل في عرف غلاة عباد القبور ، هو دعاء الموتي والغائبين والاستغاثة بهم في كشف الشدائد والمهمات وطلب قضاء الحاجات ومعافاة اولي العاهات الى غير ذلك من انواع الطلبات ، فالتوسل بهذا العرف ينكرها الشيخ وينسب من فعله الى الشرك الاكبر ومعه الكتاب والسنة واقوال سلف الامة وأئمتها وقد تقدم بيان ذلك ، واما زعمه ان الشيخ لم يزل معتمدا على اسبابه الدنيوية التي يرجو النفع منها لنفسه ومجانبة الاسباب التي يخاف الضرر منها على نفسه حتي يكاد خوفه ورجاؤه للاسباب يدخلانه في الشرك بالله .

فأقول : اما كون الشيخ يعتمد على الاسباب فكذب وزور وتخرّص وفجور ، واما كونه ممتثلا أمر رسول الله ﷺ في قوله : احرص على ماينفعك واستعن بالله ولا تعجزن » الحديث فنعم لان المراد بالحرص في الحديث أن يحرص العبد على فعل الاسباب والتي تنفع العبد في دنياه وأخراه مما شرعه الله تعالى لعباده من الاسباب الواجبة والمستحبة والمباحة ويكون العبد في حال فعل السبب مستعيناً بالله وحده دون كل ما سواه ليتم له سببه ولا ينفعه سببه الا إذا نفعه الله به ، فيكون اعتماده في فعل السبب على الله تعالى ، ففعل السبب سنة ، والتوكل على الله توحيد ، فإذا جمع بينهما تم له مراده بإذن الله . وقوله : فياليت شعري من أحل هذه الاسباب وتعاطيها وحرم تلك الاسباب وتعاطيها ؟ ؟ .

فأقول : الذي أحل هذه الاسباب وتعاطيها مع عدم الاعتماد عليها رسول الله ﷺ سيد ولد آدم امام المتوكلين وقدوة الموحدين ، بقوله في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان » واما مع الاعتماد عليها فهو قدح في التوكل ، قال شيخ الاسلام : فالالتفات الى الاسباب شرك في التوحيد ومحو الاسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل ، والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح في الشرع والذي حرم تلك الاسباب الشركية رسول الله ﷺ حيث قال : لعدي ابن حاتم حين سمعه يقرأ هذه الآية (اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) الآية ، قال عدي : قلت يارسول الله انا لسنا نعبدهم ، قال : أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه ، فقلت بلى ، قال : فتلك عبادتهم» رواه أحمد والترمذي وحسنه ، وقوله ﷺ لما قال بعض الصحابة قوموا

بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق ، فقال ﷺ « انه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله عز وجل » وقوله ﷺ « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وقوله ﷺ « لعن الله زوّارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور ، فقال « أولئك اذا مات فيهم الرجـــل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله » وفي الصحيحين عنها رضي الله عنها ، قالت لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فإذا اغتم بهـا كشفها فقال وهو كذلك « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحـذر ما صنعوا » ولولا ذلك لا برز قبره غير أنه خشي ان يتخذ مسجداً ، والاحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً ، فهذه الاسباب التى حذر عنها رسول الله ﷺ ولعن فاعلها هي دين أكثر النـــاس اليوم فانهم قد افتتنوا بتعظيم القبـور ودعاء أربابها والاستغاثة بهم وطلب الحاجات منهم وكشف الكربات منهم ، وهذا هو الشرك الذى حرمه الله ورسوله وقال شيخ الاسلام ابن تيمية بعد كلام ذكره الخامس ان يقال نحن لاننازع في اثبات ما اثبته الله من الاسباب والحِكَم لـــكن مَنْ هُوَ الذى جعل الاستغاثة بالمخلوق ودعاءه سبباً في الأمور التي لا يقدر عليها الا الله ، ومَن الذي قال انك اذا استغثت بميت او غائب من البشر نبياً كان أو غيره كان ذلك سببا في حصول الرزق والنصر والهدى وغيرذلك مما لايقدر عليهم الاالله ، ومن الذي شرع ذلك وأمر به ، ومن الذي فعل ذلك من الانبياء والصحابة والتابعين لهم باحسان ، فان هذا المقام يحتاج الى مقدمتين احداهما ان هذه الاسباب مشروعة لا يحرم فعلها ، فانه ليس كل ما كان سببا كونيا يجوز تعاطيه ، فان المسافر قد يكون سفره سبباً لاخذ ما له ، وكلاهما محرم ،

والدخول في دين النصارى قد يكون سبباً لمال يعطونه وهو محرم ، وشهادة الزور قد تكون سبباً لنيل المال يؤخذ من المشهود له وهو حرام ، وكثير من الفواحش والظلم قد تكون سبباً لنيل مطلب وهو محرم والسحر والكهانة سبب في بعض المطالب وهو محرم وكذلك الشرك كدعوة الكواكب والشياطين ، بل وعبادة البشر قد تكون سبباً لبعض المطالب وهو محرم ، فان الله تعالى حرم من الاسباب ما كان مفسدته راجحة على مصلحته كالخمر وان كان يحصل به بعض الاغراض احياناً ، وهذا المقام مما يظهر به ضلال هؤلاء المشركين خلقا وامرا ، فانهم مطالبون بالادلة الشرعية انتهى .

واما قوله : أما الشرك الجلي وهو شرك في ذات المعبود او في صفاته او في افعاله فهو محال شرعاً وعقلا عند جميع المسلمين قال تعالى (وإلهكم إله واحد) والواحد يستحيل ان يكون له ثان ، وهذا معنى الوحدانية فاقول هذا هو الشرك في توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون واعترفوا به كما تقدم بيانه في الآيات ، وكلام العلماء وفي كلام شيخ الاسلام قريبا ولم يدخلهم اقرارهم بربوبيته ووحدانيته في الاسلام ،حيث لم يقروا بتوحيد الآلهية وهو افراد الله بالعبادة ، فإن توحيد الربوبية ان توحد الله بأفعاله الصادرة منه تعالى كالرزق والخلق والاحياء والاماتة وانبات النبات وتدبير الأمور ، وان الله تعالى هو النافع الضار وأنه رب كل شيء ومليكه ، وكذلك توحيد الاسماء والصفات فانه لا سمي له ولا كفو ولا مثيل له في ذاته واسمائه وصفاته ، وتوحيد الالهية أن يوحد العبد ربه بأفعاله الصادرة منه كالصلاة والزكاة والحج والصوم والحب والتعظيم والخوف والرجاء والتوكل والاستغاثة والذبح والنذر الى غير ذلك من انواع العبادة التي هي مختصة بالله فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو كافر مشرك ، ومن أتى بهذه العبادات وأخلصها لله وحده نفعه الاقرار بتوحيد الربوبية وتوحيد الاسماءوالصفات ولذلك لما قال رسول الله ﷺ لكفار قريش المقرين بربوبية الله وانه الخالق والفاعل للأشياء دون ما سواه

والدخول في دين النصارى قد يكون سبباً لمال يعطونه وهو محرم ، وشهادة الزور قد تكون سبباً لنيل المال يؤخذ من المشهود له وهو حرام ، وكثير من الفواحش والظلم قد تكون سبباً لنيل مطلب وهو محرم والسحر والكهانة سبب في بعض المطالب وهو محرم وكذلك الشرك كدعوة الكواكب والشياطين ، بل وعبادة البشر قد تكون سبباً لبعض المطالب وهو محرم ، فان الله تعالى حرم من الاسباب ما كان مفسدته راجحة على مصلحته كالخمر وان كان يحصل به بعض الاغراض احياناً ، وهذا المقام مما يظهر به ضلال هؤلاء المشركين خلقا وامرا ، فانهم مطالبون بالادلة الشرعية انتهى .

واما قوله : أما الشرك الجلي وهو شرك في ذات المعبود او في صفاته او في افعاله فهو محال شرعاً وعقلا عند جميع المسلمين قال تعالى (وإلهكم إله واحد) والواحد يستحيل ان يكون له ثان ، وهذا معنى الوحدانية فاقول هذا هو الشرك في توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون واعترفوا به كما تقدم بيانه في الآيات ، وكلام العلماء وفي كلام شيخ الاسلام ، قريباً ولم يدخلهم اقرارهم بربوبيته ووحدانيته في الاسلام ، حيث لم يقروا بتوحيد الألهية وهو افراد الله بالعبادة ، فان توحيد الربوبية ان توحد الله بأفعاله الصادرة منه تعالى كالرزق والخلق والاحياء والاماتة وانبات النبات وتدبير الأمور ، وان الله تعالى هو النافع الضار وأنه رب كل شيء ومليكه ، وأنه لا سمي له ولا كفو ولا مثيل له في ذاته واسمائه وصفاته ، وتوحيد الالهية أن يوحد العبد ربه بأفعاله الصادرة منه كالصلاة والزكاة والحج والصوم والحب والتعظيم والخوف والرجاء والتوكل والاستغاثة والذبح والنذر الى غير ذلك من أنواع العبادة التي هي مختصة بالله فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو كافر مشرك ، ومن أتى بهذه العبادات وأخلصها لله وحده نفعه الاقرار بتوحيد الربوبية وتوحيد الاسماء والصفات ولذلك لما قال رسول الله ﷺ لكفار قريش المقرين بربوبية الله وانه الخالق والفاعل للأشياء دون ما سواه

« قولوا لا إله الا الله » قالوا اجعل الآلهة إلهاً واحداً ان هذا الشيء عجاب وقد تقدم بيان توحيد الربوبية وتوحيد الالهية في كلام شيخ الاسلام وابن القيم وغيرهما من العلماء ، ولكن من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ومن يجعل الله له نوراً فما له من نور .

فصل

قال الملحد الفصل الخامس . أعلم ان تكفير المسلمين بلا حجة واضحة عليه عظيم ووده كبير ، لانك حكمت عليهم بالخلود في النار بلا دليل واضح ، ولله در المؤلف المحقق في الفصول المتقدمة لبيان الحق الجلي ، وسنذكر كلام شيخ الاسلام بن تيمية الحافظ مع انه هو حجتهم وامامهم ومعتمدهم على كلامه وان خالفه غيره حتى الامام احمد بن حنبل المجتهد المستقل المطلق رحمه الله تعالى فنقول : قال بن تيمية رحمه الله تنبيه ، أما أهل السنة فاجمعوا على ان الجاهل والمخطىء من هذه الامة ولو عمل من الشرك والكفر مايكون صاحبه مشركا أو كافراً انه يعذر بالخطأ والجهل حتى يتبين له الحجة التي يكفر تاركها وهي ان يدعوه إمام أو نائبه ويبين له بياناً واضـــحاً لا يلتبس على مثله . ومن اصول أهل السنة ان من تكلم من المسلمين بكلمة كفر لايعرف معناها فليس بكافر باجماع السلف والخلف من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والصوفية وغيرهم من أهل النظر والاجتهاد انتهى .

فالجواب ان نقول : تكفير المسلمين بلا حجة واضحة عظيم ، والشيخ رحمه الله لا يكفّر احداً من المسلمين بعظيم ذنب ارتكبه أو جرم اجترحه ، ولا يحكم على احد من أهل القبلة باينوا لعباد القبور بالخلود في النار . واما ماذكره من شأن المؤلف للفصول المتقدمة ، فبئس ما حرره فيها من الا كاذيب الموضوعة والاقاويل المصنوعة وما قرر فيها من الشرك بالله والكذب على العلماء فلا دردره من خانع أثيم وآفك ماذق مارق لئيم . وأما كون

شيخ الاسلام وعلم الاعلام حجتنا وامامنا ومعتمدنا على كلامه . فأقول : نعم الامام المقتـــدي به فحجتنا وحجته وامامنا وامامه وعمدتنا وعمدته الكتاب والسنة وأقوال سلف الامة وأئمتها فلله الحمد وله المنة وله الثناء الحسن لا نحصي ثناء عليه بل هو كما اثني على نفسه وفوق ما يثني عليه أحد من خلقه وأما ما نقله عن شيخ الاسلام بن تيمية فهذا النقل لم أقف عليه بهذا الوضع الذي نقله هذا المحرف للـكلم عن مواضعه من شيخ الاسلام ولا شك أنه قد تصرف فيه وغير بعض ألفاظه ، وعلى تقدير صحته وثبوته بهذا اللفظ عن شيخ الاسلام ، ففرضه في أهل الاهواء الذين لم تخرجهم بدعتهم عن الملة وفي المسائل النظرية والاجتهادية التي قد يخفى دليلها على بعض الناس وفيمن لم تبلغه الدعوة ولم تقم عليه الحجة . وأما مسألة توحيد الله واخلاص العبــادة له فلم ينازع في وجوبها أحد من أهل الاسلام لا أهل الاهواء ولا غيرهم ، وهي معلومة من الدين بالضرورة ومن بلغته الرسالة وتصورها على ما هي عليه ، عرف ان هذا زبدتها وحاصلها وسائر الأحكام تدور عليه . قال تعالى (قل انما يوحى الى انما إلهـكم إله واحد فهل أنتم مسلمون) ووجه الحصر ما أشرنا اليه من التوحيد هو الأصل المقصود بالذات فراجع كلام المفسرين ، وأما كلامه في عدم تكفير الجاهل والمخطىء فالمقصود به مسائل مخصوصة قد يخفى دليلها على بعض الناس كما في مسائل القدر والارجاء ونحو ذلك مما قاله أهل الاهواء ، فان بعض أقوالهم تتضمن أمورا كفرية من رد أدلة الكتاب والسـنة المتواترة النبوية فيكون القول المتضمن لرد بعض النصوص كفرا ولا يحكم على قائله بالكفر لاحتمال وجود مانع كالجهل وعدم العلم بنفس النص أو بدلالته ، فان الشرائع لاتلزم إلا بعد بلوغها ولذلك ذكر هذا في الكلام على بدع أهل الأهواء وقد نص على هذا فقال : في تكفير اناس من أعيان المتكلمين بعد أن قرر هذه المسألة قال : وهذا اذا كان في المسائل الخفية فقد يقال بعدم التكفير ، وأما ما يقع منهم في المسائل الظاهرة الجلية أو ما يعلم من الدين بالضرورة فلا يتوقف في كفر قائله .

وأما قوله : حتى يتبين له الحجة التي يكفر تاركها وهو أن يدعوه امام أو نائبه ويبين له بيانا واضحا لا يلتبس على مثله. فأقول : هذا لم أجده في كلام شيخ الاسلام والذي قال رحمه الله من غير زيادة ولا نقصان في أثناء كلام له قال ونحن نعلم . بالضرورة ان رسول الله ﷺ لم يشرع لأمته ان يدعو أحدا من الاموات لا الانبياء والصالحين ولا غيرهم لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها ، كما انه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا الى غير ميت ونحو ذلك ، بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الامور ، وان ذلك من الشرك الذى حرمه الله ورسوله ، ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين لهم ما جاء به الرسول مما يخالفه الى آخر كلامه رحمه الله ، فزاد هؤلاء المحرفون هذه الزيادة وكتبوها بالياء التحتية المثناة ثم المثناة الفوقية وحرفوا وتصرفوا . ومراد شيخ الاسلام بن تيمية بهذا الاستدراك ان الحجة انما تقوم على المكلفين ويترتب حكمها بعد بلوغ ما جاءت به الرسل من الهدى ودين الحق وزبدة الرسالة ومقصودها الذي هو توحيد الله واسلام الوجه له وانابة القلوب اليه قال الله تعالى (وما كنا معذبين حتي نبعث رسولا) وقد مثل العلماء هذا الصنف بمن نشاء ببادية أو ولد في بلاد الكفار ولم تبلغه الحجة الرسالية ولذلك قال الشيخ لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين . وقد صنف رسالة مستقلة في أن الشرائع لا تلزم قبل بلوغها وأكثر العلماء يسلمون هذا في الجملة ويرتبون عليه أحكاما كثيرة في العبادات والمعاملات وغيرها فمن بلغته دعوة الرسل الى توحيد الله ووجوب الاسلام له وفقه أن الرسل جاءت بهذا لم يكن له عذر في مخالفتهم وترك عبادة الله ، وهذا هو الذي يجزم بتكفيره اذا عبد غير الله وجعل معه الانداد والآلهة ، والشيخ وغيره من المسلمين لا يتوقفون في هذا ، وشيخنا رحمه الله قد قرر هذا وبينه وفاقا لعلماء الامة واقتداء بهم ولم يكفر إلا بعد قيام الحجة وظهور الدليل ، حتي نه رحمه الله توقف في تكفير الجاهل من عباد القبور اذا لم يتيسر له

من ينبهه ، وهذا هو المراد بقول الشيخ حتى يبين لهم ماجاء به الرسول ﷺ فاذا حصل البيان الذي يفهمه المخاطب ويعقله فقد تبين له وليس بين بين وتبين فرق بهذا الاعتبار لأن كل من بُين له ما جاء به الرسول واصر وعاند فهو غير مستجيب والحجة قائمة عليه سواء كان اصراره لشبهة عرضت كما وقع للنصارى وبعض المشركين من العرب ، أو كان ذلك عن عناد وجحود واستكبار ، كما جرى لفرعون وقومه وكثير من مشركي العرب ، فالصنفان يحكم بكفرهم اذا قامت الحجة التي يجب اتباعها ، ولا يلزم ان يعرف الحق في نفس الامر كما عرفته اليهود وأمثالهم ، بل يكفى في التكفير الحجة وعدم قبول ماجاءت به الرسل ، قال تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً) الى قوله (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) وقال تعالى (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) الآية وقال تعالى (أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون انهم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا) وقال تعالى (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لايفقهون بها) الى قوله (أولئك هم الغافلون) وقال تعالى (قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالاً الذين ضلوا سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) وقال تعالى (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) وقال تعالى (فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون) ونحو ذلك من الآيات ، واذا بلغ النصراني ماجاء به الرسول ولم ينقد له لظنه انه رسول الاميين فقط فهو كافر ، وان لم يتبين له الصواب في نفس الامر ، وكذلك كل من بلغته دعوة الرسل بلوغاً يعرف منه المراد والمقصود فرد ذلك لشبهة أو نحوها فهو كافر ، وان التبس عليه الامر وهذا لا خلاف فيه . وهذا المعترض من أجهل الناس بأحكام الشرع وسبل الهدى واظنه لايحفظ كتاب الله ولا يدرى مافيه من النصوص . قال الله تعالى (وما كان الله ليضل قوماً بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون)

ولم يقل حتى يتبين لهم وقال تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) الاية وقد نص شيخنا رحمة الله في جوابه لمن سأله عن هذه المسألة قال رحمه الله أصل الاشكال انكم لم تفرقوا بين بلوغ الحجة ، وفهم الحجة وبلوغ الحجة لابد فيه من الحكم بما تقتضيه الحجة والدليل ، واما فهم الحجة فلا يشترط ، قال الله تعالى (أم تحسب ان أكثرهم يسمعون ويعقلون انهم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا) انتهى بمعناه ، وقال تعالى (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا) فتبين بهذا أن فهم الحجة غير بلوغها وان هذا لايشترط في بلوغ الحجة .

وأما قوله : ومن أصول أهل السنة أن من تكلم من المسلمين بكلمة كفر لا يعرف معناها فليس بكافر باجماع السلف والخلف الى اخره .

فأقول : هذا قبل بلوغ الحجة ، وتعريفه بأن من قال هذه الكلمة يكفر فإذا بلغته الحجة وقامت عليه فانه يكفر بالاجماع ولا يشترط في بلوغ الحجة وقيامها ان يفهم عن الله ورسوله ما يفهمه أهل الايمان والقبول والانقياد لما جاء به الرسول .

وأما قوله قال : وكنت اقرر أن الله قد غفر لهذه الامة خطأها ، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية والمسائل العلمية .

فأقول : قد أسقط من كلام الشيخ ما يبين مراده ومقصوده ، وأول الكلام قال : اني دائماً ومن جالسني يعلم اني من أعظم الناس نهيا من أن ينسب معين الى تكفيراً أو تفسيق أو معصية إلا اذ علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً أخرى وعاصياً اخرى ، واني اقرر ان الله قد غفر لهذه الامة الى آخر كلامه رحمه الله . فصار كلام الشيخ رحمه الله في عدم تكفير المعين قبل قيام الحجة عليه ، والمقصود به مسائل مخصوصة قد يخفى دليلها على بعض الناس ، كما في مسائل القدر والارجاء ونحو ذلك مما قاله أهل الاهواء ، فإن بعض أقوالهم تتضمن أموراً كفرية من رد

بعض أدلة الكتاب والسنة المتواترة النبوية ، فيكون القول المتضمن لرد بعض النصوص كفراً ولا يحكم على قائله بالكفر لاحتمال وجود مانع كالجهل وعدم العلم بنفس النص أو بدلالته ، فان الشرائع لا تلزم الا بعد بلوغها ، ولذلك ذكر هذا في الكلام على بدع أهل الاهواء ، وقد نص على هذا فقال : في تكفير أناس من أعيان المتكلمين بعد أن قرر هذه المسألة ، قال : وهذا إذا كان في المسائل الخفية ، فقد يقال بعدم التكفير ، وأما مايقع منهم في المسائل الظاهرة الجلية أو مما يعلم من الدين بالضرورة فلا يتوقف في كفر قائله ، وقد تقدم هذا ، وليس النزاع بيننا وبين هؤلاء الغلاة في المسائل النظرية الخفية الاجتهادية التي يخفى دليلها ، إنما النزاع في صرف خالص حق الله تعالى للاولياء والصالحين من الدعاء والحب والخوف والرجاء والاستغاثة وغير ذلك من أنواع العبادة ، فان هذا مما يعلم بالضرورة من دين الاسلام إنه لا يستحقه الا الله تعالى ، وان من صرف من هذه الانواع شيئاً لغير الله فهو كافر مشرك .

واما قوله : قال واجمع اهل السنة على ان الشخص اذا كان ممن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وحصل منه بعض الاشراك في العبادة جهلا وتقليدا أو تأويلا لم يلحق بالكافر المكذب برسول الله ﷺ ، بل غايته ان يكون من عصاة الموحدين ، فإن كان مجتهداً فالاثم موضوع عنه ويثاب على اجتهاده ، وإن كان جاهلا فهو معذور ايضاً ، انتهى . فأقول : لم أقف على هذا الكلام بعينه من كلام شيخ الاسلام ، والغالب على هؤلاء الملاحدة التحريف والتصريف ، والذي نعرفه من كلام شيخ الاسلام قوله : وإذا كان كذلك فالمخطىء في بعض المسائل اما ان يلحق بالكفار من المشركين واهل الكتاب مع مباينته لهم في عامة اصول الايمان ، فإن الايمان بوجوب الواجبات الظاهرة المتواترة وتحريم المحرمات الظاهرة هو من اعظم اصول الايمان وقواعد الدين ، وإذا كان لا بد من إلحاقه اي المخطىء بأحد الصنفين ، فإلحاقه بالمؤمنين المخطئين اشد شبها من إلحاقه بالمشركين ، واهل الكتاب مع العلم بأن كثيراً

من اهل البدع منافقون النفاق الاكبر فما أكثر ما يوجد في الرافضة والجهمية ونحوهم زنادقة منافقون أولئك في الدرك الاسفل من النار . فتبين بهذا مراد الشيخ وانه في طوائف مخصوصة وان الجهمية غير داخلين وكذلك المشركون واهل الكتاب لم يدخلوا في هذه القاعدة ، فإنه منع إلحاق المخطىء بهذه الاصناف مع مباينته لهم في عامة اصول الايمان ولم يقع منه شرك اكبر ، وإنما وقع في نوع من البدع فهذا لا نكفره ولا نخرجه من الملة وان كان ما أورده هذا الملحد عن شيخ الاسلام صحيحا سالما من التصرف والتحريف فمراده انه إذا حصل منه بعض الاشراك في العبادة الشرك الخفي الذي لايخرج من الملة إما جهلا أو تقليدا أو تأويلا . وأما الشرك الاكبر فهو مناقض للايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

واما قوله : فكما لا يكون الكافر مؤمناً إلا باختياره للايمان كذلك لا يكون المؤمن كافراً من حيث لا يقصد الكفر ولا يختاره بالاجماع .

فالجواب ان يقال : نعم لا يكون الكافر مؤمنا إلا باختياره للايمان واما العكس فمعاذ الله فإنه قياس باطل مردود والاجماع المذكور مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ، لأن الذين قالوا ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء ارغب بطونا ولا اكذب ألسناً ولا اجبن عند اللقاء يعنون رسول الله ﷺ واصحابه القراء لم يقولوها من حيث لم يقصدوا الكفر ولم يختاروه ، وانما قالوه على وجه المزح واللعب ، فرفع ذلك الى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته . فقال : يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق ، فقال : أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون ، وانزل الله (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) قال شيخ الاسلام : فقد أخبر انهم كفروا بعد إيمانهم مع قولهم إنا تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له بل انما كنا نخوض ونلعب الى آخر كلامه رحمه الله تعالى . وهذا يفيد الانسان

الحذر ، فإن في هذا بيان ان الانسان قد يكفر بكلمة يتكلم بها أو عمل يعمل به ، وأشدها خطراً ارادات القلوب فهي البحر الذي لاساحل له ويفيد الخوف من النفاق الاكبر ، فإن الله تعالى اثبت لهؤلاء ايمانا قبل ان يقولوا ما قالوه ، وفي الحديث « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا لا يظن ان تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يلقي لها بالا ما يظن ان تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه » .

واما قوله : واما جحد ذلك جهلا وتأويلا فيعذر فيه فلا يكفر صاحبه لما في الصحيحين وغيرهما عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ « قال رجل لم يعمل خيراً قط لأهله » وفي رواية « اسرف رجل على نفسه فلما احتضر اوصى بنيه إذا مات فأحرقوه ثم اذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذاباً ماعذبه احداً من المسلمين فلما مات فعلوا ما امرهم به فأمر الله البحر فجمع ما فيه وامر البر فجمع ما فيه ثم قال لمَ فعلت هذا ؟ فقال من خشيتك يارب وانت اعلم » فقوله : هذا انكار لقدرة الله تعالى عليه وانكار للبعث والمعاد ومع هذا غفر الله له وعذره بجهله .

فالجواب ان يقال : قد تقدم ان الجاهل والمخطيء اذا حصل منه قول أو فعل من الاقوال والافعال التي قد يكون القول او العمل بها كفراً ، فان الشخص المعين لا يكفر إلا بعد قيام الحجة عليه لاحتمال مانع من الجهل أو الخطأ كهذا الرجل الذي أمر أهله اذا مات أن يحرقوه ، فان كان موحداً ليس من اهل الشرك فقد ثبت من طريق أبي كامل عن حماد ثابت عن أبي رافع عن أبي هريرة قال : لم يعمل خيراً قط إلا التوحيد ، وليس النزاع فيمن اخطأ او كان جاهلا أو متأولا او كان من اهل الفترات كهذا الرجل الذي اسرف على نفسه ، فانه قد قام به من خشية الله وخوفه والايمان بثوابه وعقابه ما اوجب له ان امر اهله بتحريقه ، فأين هذا من هؤلاء الضلال الذين نبذوا

كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا ما تتلوا الشياطين على دعاء غير الله والشرك برب للعالمين ؟ فسحقا لهذا الجاهل المفتري ، وبعدا لكل ضال غويّ ، واعلم انه ليس كل خطأ واجتهاد وجهل يغفر لصاحبه ، فقد اخبر الله سبحانه بجهل كثير من الكفار مع تصريحه بكفرهم ووصف النصارى بالجهل مع انه لا يشك مسلم في كفرهم ونقطع ان اكثر اليهود والنصارى اليوم جهال مقلدون ، ونعتقد كفرهم وكفر من شك في كفرهم ، وقد دل القرآن على أن الشك في أصول الدين كفر ، والشك هو التردد بين شيئين ، كالذي لا يجزم بصدق الرسول ولا كذبه ولا يجزم بوقوع البعث ولا عدم وقوعه ونحو ذلك كالذي لا يعتقد وجوب الصلاة ولا عدم وجوبها او لا يعتقد تحريم الزنا ولا عدم تحريمه ، وهذا كفر باجماع العلماء ، ولا عذر لمن كان حاله هكذا ، لكونه لم يفهم حجج الله وبيناته ، لأنه لا عذر له بعد بلوغها وان لم يفهمها ، وهل اوقع الاتحادية والحلولية فيما هم عليه من الكفر البواح والشرك العظيم والتعطيل لحقيقة وجود رب العالمين ؟ الا خطأهم في هذا الباب الذي اجتهدوا فيه فضلوا واضلوا عن سواء السبيل ، وهل أوقع الحلاج باتفاق أهل الفتوى على قتله ؟ الا ضلال اجتهاده ، وهل كفر القرامطة وانتحلوا ما انتحلوه من الفضائح الشنيعة وخلع ربقة الشريعة ؟ إلا باجتهادهم فيما زعموا ، وهل قالت الرافضة واستباحت ما استباحت من الكفر والشرك وعبادة الائمة الاثنا عشر وغيرهم ، ومسبة أصحاب رسول الله ﷺ وأم المؤمنين ، إلا باجتهادهم فيما زعموا هؤلاء سلف هذا الرجل واشباهه في قوله ان كل خطأ مغفور ، وهذا لازم له لا محيص عنه ، وطرد قول هذا الملحد واستدلاله يفيد عدم التأثيم والتكفير في الخطأ في جميع أصول الدين كالايمان بوجود الله وربوبيته وإلهيته وقدره وقضائه والايمان بصفات كماله الذاتية والفعلية ، ومسألة علمه بالحوادث والكائنات قبل كونها ، والمنع من التكفير والتأثيم بالخطأ في مثل هذا كله ، ردّ على كفر معطلة الذات ومعطلة الربوبية ومعطلة الاسماء والصفات ومعطلة أفراده تعالى بالآلهية والقائلين بأنه

لا يعلم الكائنات قبل كونها كغلاة القدرية ، ومن قال باسناد الحوادث الى الكواكب العلوية ومن قال بالاصلين النور والظلمة فان التزم هذا الملحد هذا ه فهو اكفر واضل من اليهود والنصارى وان زعم ان ثم فارق بين هذا وبين مسألة النزاع التي هى دعاء الاموات والغائبين فيما لا يقدر عليه إلا رب العالمين فليوجد لنا هذا الفرق ، وليوجد لنا دليلا على صحته ، فان لم يفعل ، بطل تقريره وتأصيله وعلم اهل العلم انه مدلس مشبه ليس من اهل الفقه والدين ، ولا ممن يعرف الاسلام والمسلمين ، ويفرق بين الموحدين والمشركين ، بل هو في ظلمات الطبع والجهل والشك المبين ، وكلام شيخ الاسلام رحمه الله ، انما يعرفه ويدريه من مارس كلامه وعرف اصوله ، فانه قد صرح في غير موضع ان الخطأ قد يغفر لمن يبلغه الشرع ولم تقم عليه الحجة في مسائل مخصوصة اذا اتقى الله ما استطاع ، واجتهد بحسب طاقته ، واين التقوى واين الاجتهاد ؟ الذي يدعيه عباد القبور ، والداعون الموتى والغائبين ، كيف والقرآن يتلى في المساجد والمدارس والبيوت ؟ ونصوص السنة النبوية مجموعة مدونة معلومة الصحة والثبوت .

فصل

ثم ذكر هذا الملحد احاديث يعلم جوابها مما تقدم واقوالا ذكرها الشعراني للسبكي وغيره في عدم تكفير اهل الاهواء والبدع وغيرنا ممن لا يعرف أمانتهم ودياناتهم مما ليس في محل النزاع ، ثم انخرط في السب والتعيير مما لا فائدة في الجواب عنه ، وآخر ما هذا به ، ان قال : وقد بسط السيد محمد البرزنجي صاحب الاشاعة في تأليفه بصحة ايمان ابى طالب ، وفي المقدمة ان علماء الاشاعرة والماتريدية اجمعوا على الاعتداد بالايمان بالقلب في الآخرة ، واما في الدنيا ، فالاعتداء باللفظ ونكل قلبه الى الله الذي لا يقبل إلا الايمان بالقلب ، ويخرج من النار من في قلبه ادنى مثقال ذرة من ايمان ، كما ورد في الحديث

وقد علمت ان دعوى اسلام أبي طالب مكابرة ومصادمة لقوله تعالى (ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربي من بعد ماتبين لهم انهم اصحاب الجحيم) واما اجماع الاشاعرة والماتريدية، قولهم واجماعهم مخالف لقول اهل السنة والجماعة ، وكلام اهل السنة والجماعة معروف في ذلك مشهور، قرره شيخ الاسلام ابن تيمية ، في كتاب الايمان وقرره عبد الله ابن الامام احمد في كتاب السنة فمن اراد الوقوف على ذلك فليراجع كتاب الايمان لشيخ الاسلام ابن تيمية فانه قد بسط القول فيه.

فصل

قال الملحد في الفصل السادس في افتراق الامة وتعريف الفرقة الناجية ، قال فيه وصاحب الدين ، اخبر ان امته ستفترق وامرنا بلزوم السواد الأعظم من الناس ولم يزل اهل الحق ظاهرين ، واكثر الناس من الاشعرية والماتريدية من اتباع المذاهب الأربعة بحمد الله تعالى .

والجواب ان نقول : الفرقة الناجية هم أهل السنة والجماعة كما في الحديث الصحيح « افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة وافترقت النصاري على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، قالوا : من هي يارسول الله قال : من كان على مثل ما انا عليه اليوم واصحابي فمن كان على مثل ما كان عليه اصحاب رسول الله ﷺ فهم السواد الأعظم وهم الجماعة ، وان كانوا قليلا يدل عليه حديث عبد الله بن عمرو ، قال قال : رسول الله ﷺ « ليأتين على امتي ما اتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل » وفيه قالوا من هي يارسول الله قال : ما انا عليه اليوم واصحابي رواه الترمذي . وقال هذا حديث حسن غريب مفسر. وفي رواية عوف بن مالك قيل يا رسول الله منهم ، من قال : الجماعة وفي رواية انس بن مالك كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة رواهما بن ماجة والأحاديث بعضها يفسر بعض ، فعلم ان السواد الاعظم هو الجماعة وهي الصحابة ، ولعله بهذا المعني . قال : اسحاق ابن راهوية حين سئل عن معنى حديث عليكم بالسواد الاعظم هو محمد بن اسلم

واتباعه ، فأطلق على محمد بن اسلم واتبـاعه لفظ السواد الاعظم ، تشبيها لهم بالصحابة في شدة ملازمة السنة والتمسك بها ، ولذا كان سفيان الثوري يقول المراد بالسواد الاعظم من كان من أهل السنة والجماعة ولو واحـدا كذا في الميزان للشعراني ، وفي هذا بيان غلط هذا الملحد في زعمه ان السواد الاعظم هم اكثر الناس ، وقد قال تعالى (وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) وقال (وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) قال ملا سعد الرومي في مجالس الابرار فلا بدلك ان تكون شـديد التوقي من محدثات الامور . وان اتفق الجمهور فلا يغرنك اتفاقهم على ما احدث بعد الصـــحابة ، بل ينبغي لك ان تكون حريصـا على التفتيش عن احوالهم واعمالهم ، فان اعلم الناس واقربهم الى الله تعالى اشبههم بهم ، واعرفهم بطريقهم ، إذ منهم اخذ الدين وهم اصول في نقل الشريعة عن صاحب الشرع . وقد جاء في الحديث « إذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الاعظم » والمراد به لزوم الحق واتباعه ، وإن كان المتمسك به قليلا ، والمخالف له كثيراً ، لأن الحق ما كان عليه الجماعة الاولى وهم الصحابة ، ولا عبرة بالنظر الى كثرة الباطل بعدهم ، قلت : والاشعرية والماتريدية ممن حدث مذهبهم بعد الصحابة بل بعد الأئمة الاربعة وعلماء الحديث في وقتهم ، وقال ابن القيم في مفتاح دار السعادة في الكلام على قول اميرالمؤمنين عليّ بن ابي طالب لزياد بن كميل قوله وأولئك هم الاقلون عددا ، الاعظمون عند الله قدرا ، يعني هذا الصنف من الناس اقل الخلق عددا ، وهذا بسبب عزتهم ، فإنهم قليلون في الناس ، والناس على خلاف طريقهم ، فلهم نبأ وللناس نبأ قال النبي ﷺ « بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدا فطوبى للغرباء » فالمؤمنون قليل في الناس والعلماء قليل في المؤمنين ، وهؤلاء قليل في العلماء وإياك ان تغتر بما يغتر به الجاهلون فإنهم يقولون لو كان هؤلاء على حق لم يكونوا اقل الناس عددا ، والناس على خلافهم ، فاعلم ان هؤلاء هم الناس ، ومن خالفهم فمتشبهون بالناس ، وليسوا بالناس ، فما الناس

إلا اهل الحق وان كانوا اقلهم عدداً إلى آخر كلامه . وقد قال الفضيل بن عياض ما معناه إلزم طرق الهدى ، ولا يغرك قلة السالكين ، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين ، وقال بعض السلف إذا وافقت الشريعة ولاحضت الحقيقة ، فلا تبال وان خالف رأيك جميع الخليقة ، وقال الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى في إغاثة اللهفان ، فالبصير الصادق لا يستوحش من قلة الرفيق ولا من فقده ، إذا استشعر قلبه مرافقة الرعيل الاول الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقـا ، فتفرد العبد في طريق طلبه ، دليل على صدق طلبه ، إلى ان قال : وما احسن ماقال ابو شامة عبد الرحمن بن اسماعيل في كتاب « الحوادث والبدع » حيث جاء الامر بلزوم الجماعة ، فالمراد به لزوم الحق واتباعه ، وإن كان المتمسك به قليلا والمخالف له كثيراً لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الاولى من عهد النبي ﷺ واصحابه ولا تنظر إلى كثرة اهل الباطل بعدهم ، قال : عمرو بن ميمون الاوزدي صحبت معاذ بن جبل باليمن فما فارقته حتى واريته في التراب بالشام ، ثم صحبت بعده أفقه الناس عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فسمعته يقول : عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة ، ثم سمعته يوماً من الايام وهو يقول : سيأتي عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها فصلوا الصلاة لميقاتها فهي الفريضة وصلوا معهم فإنها لكم نافلة ، فقلت يا اصحاب محمد ما ادري ما تحدثونا ، قال : وما ذاك ؟ قلت : تأمرني بالجماعة وتحضني عليها ثم تقول صل الصلاة وحدك وهي الفريضة وصل مع الجماعة وهي النافلة ، قال يا عمرو بن ميمون قد كنت اظنك من افقه اهل هذه القرية ، اتدري ما الجماعة ؟ الجماعة ما وافق الحق ، وان كنت وحدك ، قال نعيم بن حماد : يعني إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل ان تفسد الجماعة ، وإن كنت وحدك فإنك انت الجماعة حينئذ ، وعن الحسن قال : السنة والذي لا إله إلا هو بين الغالي والجافي فاصبروا عليها رحمكم الله فإن اهل السنة كانوا اقل الناس فيما بقي الذين لم ينصبوا

مع اهل الاتراف في اترافهم ولا مع اهل البدع في بدعهم وصبروا على سنتهم حتي لقوا ربهم فكذلك إن شاء الله تعالى فكونوا .

قلت : فهذا الحسن يقول إن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما بقي ، وهذا في وقته ، وهـذا الملحد يقول : السواد الاعظم أهل السنة الاشعرية والماتريدية أكثر الناس فأكثر الناس عنده هم أهل السنة ، فبعداً له وسحقاً له سحقاً ، وكان محمد بن اسلم الطوسي الامام المتفق على امامته من اتبع الناس للسنة في زمانه ، حتى قال : ما بلغتني سنة عن رسول الله ﷺ الا عملت بها ولقد حرصت على أن اطوف بالبيت راكباً فما مكنت من ذلك ،وسئل بعض اهل العلم في زمانه عن السواد الاعظم الذين جاء فيهم الحديث « إذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الاعظم » من السـواد الاعظم ؟ قال : محمد بن اسلم الطوسي هو السواد الاعظم ، انتهى . والمقصود ان السواد الاعظم من هـذه الامة من كانوا على مثل ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ في كل ماينتحلونه ويفعلونه ويقولونه ، والاشعرية والماتريدية ليسوا كذلك ، بل هم من اهل البدع والاهواء ومن الفرق الضالة ، فانهم مخالفون لاهل السنة والجماعة في كثير من الصفات وفي الاعتقادات وبالجملة فليسوا من اهل السنة المحضة الذين لم يشوبوها بشيء من البدع والاهواء ، وهكذا يكون الجواب عما أورد من الاحاديث في ذكر الجماعة والسواد الاعظم .

واما قوله عن النبي ﷺ لا يخلد في النار من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وفي لفظ يخرج من النار من قال هذا لفظه بحروفه .

فأقول : ان قول لا إله إلا الله محمد رسول الله قد قيدت بالقيود الثقال ، وا كثر من يقولها لايعرف الاخلاص ، وأكثر من يقولها إنما يقولها تقليداً أو عادة ولم يخالط الايمان بشاشة قلبه ، وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور امثال هؤلاء ، وقد جاء في الحديث الصحيح في حديث عتبان وفيه « ان الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله » وهو بطوله في الصحيحين وفي صحيح البخاري بسنده عن قتادة ، قال حدثنا انس بن مالك ان النبي ﷺ

ومعاذ رديفه على الرحل فقال : « يا معاذ قال لبيك يا رسول الله وسعديك قالها ثلاثا قال : مامن احد يشهد أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار » الحديث ، وفي الصحيحين أيضاً عن النبي ﷺ انه قال « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله » وهـذا الحديث في صحيح مسلم عن أبي مالك الاشجعي فعلق ﷺ عصمة المال والدم في هـذا الحديث بأمرين . الاول : قول لا إله إلا الله عن علم ويقين هو مقيد في قولها في غير ما حديث كما تقـدم . الثاني : الكفر بما يعبد من دون الله ، فلم يكتف باللفظ المجرد عن المعنى بل لابد من قولها والعمل بها . قال شيخ الاسلام بن تيمية وغيره في هذا الحديث وغيره انه فيمن قالهـا ومات عليها كما جاءت مقيدة بقوله خالصاً من قلبه غير شاك فيها بصدق ويقين فان حقيقة التوحيد هو انجذاب الروح الى الله تعالى جملة ، فمن شهد ان لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنـة ، لأن الاخلاص هو انجذاب القلب إلى الله تعالى ، بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحا ، فإذا مات على تلك الحال نال ذلك ، انتهى . فليس كل من قال لا إله إلا الله يكون موحدا مخلصا لا يدخل النار ، ولا يخلد فيها ، اما علم هـذا الجاهل المركب ان المنافقين يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله ويصلون ويصومون ويحجون ويجاهدون مع رسول الله ﷺ وهم في الدرك الاسفل من النـار ، وكذلك اليهود يقولون لا اله الا الله ، وكذلك بنو حنيفة يشهدون ان لا اله الا الله محمدا رسول الله ويصلون ويدّعون الاسلام ، وكذلك الذين حرقهم علي بن ابي طالب رضي الله عنه بالنار ، وهؤلاء الجهلة يقرون ان من انكر البعث كفر وقتل ولو قال لا اله الا الله ، وان من جحد شيئاً من اركان الاسلام كفر وقتل ولو قالها ، وكذلك من انكر فرعا مجمعا عليه فليس كل من قال لا اله الا الله محمد رسول الله يكون مسلما موحدا . واما نسبه عن السنوسي عن الآمدي في تقسيم الفرق الى ان قال : والتابعية هم الثالثة والسبعون

وهي التي على ما كان عليه ﷺ واصحابه رضي الله تعالى عنهم ، وهم اهل السنة الاشاعرة ، وكل الفرق وغيرهم من اهل النار ، انتهى من الحاشية .

فأقول : إذا كان الاشاعرة الضلال هم الذين كانوا على مثل ما كان عليه اصحاب رسول الله ﷺ وهم اهل السنة وما سواهم من اهل النار ، فأين اهل الحديث ؟ الذين قال الامام احمد رحمه الله فيهم ان لم يكن اهل السنة والجماعة اهل الحديث الطائفة المنصورة فلا أدري منهم ، ومن المعلوم ان أئمة الحديث والفقه والتفسير كسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد وسالم ابن عبد الله وطلحة بن عبيد الله وسليمان بن يسار وامثالهم ، ومن الطبقة الاولى كمجاهد بن جبر وعطا بن ابي رباح وحسان بن عطية وامثالهم ، ومن الطبقة الثانية عليّ بن الحسين وعمر بن عبد العزيز ومحمد بن سالم الزهري ومالك ابن انس وابن ابي ذئب وابن الماجشون وكحماد بن سلمة وحماد بن زيد والفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك وابو حنيفة النعمان بن ثابت ومحمد ابن ادريس الشافعي واسحق بن ابراهيم واحمد بن حنبل ومحمد بن اسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج القشيري واخوانهم وامثالهم ونظرائهم من اهل الفقه والاثر في كل مصر وعصر ، لم يكونوا كلهم أشاعرة ولا ماتريدية ، بل مذهب الاشاعرة والماتريدية يخالف ما عليه هؤلاء الأئمة الاعلام ، فهم على زعم هذا الملحد من الفرق الضالة ومن اهل النار ، بل كل من كان على مذاهب الأئمة الاربعة ، فمن لم يكن اشعريا ولا ماترديا فهو من اهل النار ، ومن الفرق الضالة على قول هؤلاء الملاحدة سبحانك هذا بهتان عظيم ، وقد قال شاعر اهل السنة الحبر الامام العالم الرباني ابو محمد بن عبد الله الاندلسي القحطاني السلفي المالكي في قصيدته المشهورة قال فيها :

والآن اهجو الاشعري وحزبه ... واذيع ما كتموا من البهتان

يا معشر المتكلمين عدوتموا ... عدوان اهل السبت في الحيتان

كفرتموا اهل الشريعة والهدى ... وطعنتموا بالبغي والعدوان

فلأ تصرنّ الحق حتى انه | اسطوا على ساداتكم بطعان
الله صيّرني عصى موسى لكم | حتى تلقف افككم ثعبان
بأدلة القرآن ابطل سحركم | وبه ازلزل كل من لاقاني
هو ملجئي هو مدركي هو منجئي | من كيد كل منافق خوان
ان حل مذهبكم بأرض اجدبت | او اصبحت قفراً بلا عمران

إلى ان قال :

ازعمتموا ان القرآن عبارة | فهما كما تحكون قرآنان
إيمان جبريل وإيمان الذي | ركب المعاصي عندكم سيان
هذا الجويز والعُرَيْضُ بزعمكم | اهما لمعرفة الهدى اصلان
من عاش في الدنيا ولم يعرفهما | واقر بالاسلام والفرقان
افمسلم هو عندكم ام كافر ؟ | ام عاقل ام جاهل ام وان ؟
عطلتم السبع السموات العُلى | والعرش اخليتم من الرحمن
وزعمتم ان البلاغ لاحد | في آية من جملة القرآن
هذي الشقاشق والمخارق والهوى | والمذهب المستحدث الشيطان

في ابيات كثيرة تركنا ذكرها لاجل الاختصار ، فهؤلاء الاشاعرة كما ترى مخالفون لاهل السنة ، مجانبون لهم في اكثر اعتقاداتهم ، ولو لم يكن إلا نفيهم لعلو الله على خلقه ، وتعطيله عن عرشه ، وجحد صفاته ، وزعمهم ان القرآن عبارة عما في نفس الباري تعالى وتقدس عن قولهم علواً كبيرا .
قال ابن القيم رحمه الله تعالى ومذهبه يعني الاشعري في كلام الله انه معنى واحد قائم بذات الرب وهو صفة قديمة ازلية ليس بحرف ولاصوت ولاينقسم ولا له ابعاض ولا له اجزاء ، وهو عين الامر وعين النهي وعين الخبر وعين الاستخبار ، والكل من واحد ، وهو عين التوراة والانجيل والقرآن والزبور ، وكونه أمراً ونهياً وخبراً واستخباراً ، صفات لذلك المعنى الواحد لا انواع له ، فانه لاينقسم بنوع ولاجزء ، وكونه قرآنا وتوراة وانجيلا تقسيما للعبارات عنه لا لذاته

بل اذا عبر عن ذلك المعنى بالعربيـة كان قرآنا ، وان عبر عنا بالعبرانية كان توراة ، وان عنه بالسريانية كان اسمه إنجيلا ، والمعنى واحد . وهـذه الألفاظ عبارة عنه ولا يسميها حكاية ، وهي خلق من المخلوقات وعنه لم يتكلم الله بهذا الكلام ولا سمع من الله وعنده ذلك المعنى سمع من الله حقيقة ، قال بن القيم وجمهور العقلاء : ويقولون ان تصور هذا المذهب كاف في الجزم ببطلانه وهو لا يتصور الا كما تتصور المستحيلات الممتنعات انتهى باختصار . فمن هذا قوله وهذه نحلته وهو ومن تبعه على هذا المذهب الفاسد ، يكونون هو السواد الاعظم ويكونون من أهل السنة والجمـاعة المحضة ، نعوذ بالله من هـذا القول والله المستعان .

فصل

قال الملحد الفصل السابع فقد تبين وتحقق ضلال النجدي ومن تبعه ودعواه انحصار الاسلام فيه وفي اتباعه ، وان من كان على غير ملته ودينه مشترك سواء كان حياً أو ميتاً واستحل دماء المسلمين وأموالهم .

والجواب ان نقول : قد تقدم الجواب عن هـذا كله فلا نطيل باعادته وأما قوله ومع ذلك اظهر التجسيم والحركة والانتقال ، تعـالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً . فأقول : اعـلم ان لفظ الجسم لم ينطق به الوحي اثباتا فيكون له الاثبات ولا نفياً فيكون له النفي ، فمن اطلقه نفياً أو اثباتاً ، سئل عما أراد به ، فان قال : أردت بالجسم معناه في لغـة العرب وهو البدن الكثيف الذي لا يسمى في اللغة جسماً سواه فلا يقال للهواء جسم لغة ولا للنار ولا للماء ، فهذه اللغة وكتبها بين اظهرنا فهذا المعنى منفي عن الله عقلا وسمعا ، وان أردتم به المركب من المادة والصورة والمركب من الجواهر الفردة ، فهذا منفى عن الله قطعا والصواب نفيه عن الممكنات أيضا ، فليس الجسم المخلوق مركباً من هذا ولا من هـذا ، وان اردتم بالجسم ما يوصف

بالصفات ويرى بالأبصار ويتكلم ويكلم ويسمع ويبصر ويرضى ويغضب ، فهذه المعاني ثابتة لله تعالى ، وهو موصوف بها فلا ننفيها عنه بتسميتكم للموصوف بها جسما ، وان أردتم بالجسم ما يشار اليه اشارة حسية فقد اشار اعرف الخلق به بأصبعه رافعا بها الى السماء بمشهد الجمع الأعظم ، مستشهداً له لا الى القبلة ، وان أردتم بالجسم ما يقال اين هو فقد سئل اعلم الخلق به بأين منبها على علوه على عرشه وسمع السؤال بأين واجاب عنه ولم يقل هذا السؤال انما يكون عن الجسم ، وان اردتم بالجسم ما يلحقه من والي فقد نزل جبريل من عنده وعرج برسوله اليه ، واليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه . وعبده المسيح رفع اليه ، وان اردتم بالحركة والانتقال ان الله تعالى لا ينزل كل ليلة الى سماء الدنيا ولا يأتي يوم القيامة ولا يجيء ، فقد ثبت ذلك بالكتاب والسنة واجمع على ذلك أهل السنة والجماعة ، وقد ذكر بن القيم رحمه الله تعالى احاديث النزول في الصواعق المرسلة وفي كتابه حادى الأرواح ، وذكر من كلام الأئمة ، ومن الاجوبة العقلية والنقلية ما يكفي ويشفي ، فمن اراد الوقوف عليها فليراجعها هناك . ونذكر من اقوال أئمة السلف شيئاً يسيراً من ذلك ، قال ابو عثمان الصابوني : فلما صح خبر النزول عن رسول الله ﷺ ، اقر به اهل السنة وقبلوا الخبر واثبتوا النزول على ما قاله رسول الله ﷺ ، ولم يعتقدوا تشبيها له بنزول خلقه وعلموا وعرفوا وتحققوا واعتقدوا ان صفات الرب تبارك تعالى لا تشبه صفات الخلق كما ان ذاته لا تشبه ذوات الخلق تعالى الله عن قول المشبهة والمعطلة علواً كبيراً ، ولعنهم لعناً كثيراً ، وقال الامام العارف معمر ابن احمد الاصبهاني شيخ الصوفية في حدود المائة الرابعة قال : احببت أن اوصي اصحابي بوصية من السنة وموعظة من الحكمة واجمع ما كان عليه اهل الحديث والأثر بلا كذب واهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين ، قال : فيها وان الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل ، والاستواء معلوم والكيف فيه مجهول ، وانه عز وجل بائن عن خلقه ، والخلق منه

بائنون ، ولا حلول ولا ممازجة ولا اختلاط ولا ملاصقة ، لانه الفرد البائن من الخلق الواحـد الغني عن الخلق وان الله عز وجل سميـع بصير عليم خبير يتكلم ويرضى ويسخط ويضحك ويعجب ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكا ، وينزل كل ليلة الى سماء الدنيا كيف شاء ، ويقول هل من داع فاستجيب له ؟ هل من مستغفر فاغفر له ؟ هل من تائب فأتوب عليه ؟ حتى يطلع الفجر ونزول الرب الى السماء بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل فمن انكر النزول او تأول فهو مبتدع ضال ، وسائر الصفوة على هذا انتهى .

وقال الشيخ الامام أبو بكر احمد بن محمد بن هارون الخلال في كتاب السنة : حدثنا أبو بكر الاثرم حـدثنا ابراهيم بن الحارث يعني العبادي حدثنا الليث بن يحيي قال : سمعت ابراهيم بن الاشعث قال : أبو بكر هـو صاحب الفضيل قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : ليس لنا أن نتوهم في الله كيف هو ، لأن الله تعالى وصف نفسه فابلغ ، فقال (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) فلا صفة ابلغ مما وصف به نفسه ، وكل هذا النزول والضحك وهذه المباهات وهـذا الاطلاع كما يشاء ان ينزل وكما ان يباهى وكما يشاء ان يضحك وكما يشاء ان يطلع ، فليس لنا ان نتوهم كيف وكيف ، فاذا قال الجهمي : انا أكفر برب ينزل عن مكانه فقل بل اومن برب يفعل ما يشاء ، ونقل هذا عن الفضيل بن عياض جماعة منهم البخاري في كتاب افعال العباد ، انتهى . ونقتصر على ما قاله امام هذا الملحد الذي يزعم انه على مذهبه ، وهو مخالف له وعلى ما قاله الامام عثمان بن سعيد الدامي ، قال أبو الحسن الاشعري في كتابه الذي سماه « الابانة في اصول الديانة » وقد ذكر اصحابه انه آخر كتاب صنفه ، وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه ، فقال : فصل في ابانة قول أهل الحق والسنة فان قال قائل : قد انكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون ، قيل له : قولنا الذي نقول به وديانتنا

التي تدين بها التمسك بكلام ربنا وسنة نبينا وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون وبما كان يقول به أبو عبد الله احمد ابن حنبل نظر الله وجهه ورفع درجته واجزل مثوبته قائلون ، وما خالف قوله مخالفون لأنه الامام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ورفع به الضلالة واوضح به المنهاج وقمع به بدعة المبتدعين وزيغ الزائغين وشك الشاكين ، فرحمة الله عليه من امام مقدم ، وجليل معظم ، وكبير مفهم، الى ان قال وانه مستو على عرشه ، كما قال الرحمن (الرحمن على العرش استوى) وان له وجهاً ، كما قال (ويبقى وجه ربك ذى الجلال والاكرام) وان له يدين بلا كيف كما قال (خلقت بيدى) وقال (بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) الى ان قال ونصدق بجميع الروايات التي اثبتها اهل النقل من النزول من سماء الدنيا وان الرب عز وجل يقول : هل من سائل ? هل من مستغفر وسائر ما نقلوه واثبتوه خلافاً لما قال اهل الزيغ والتضليل ، انتهى المراد منه . وقال عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه المعروف بنقض عثمان ابن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد قال: وادعى المعارض أيضاً أن قول النبي ﷺ « ان الله ينزل الى السماء الدنيا حين يمضى ثلث الليل فيقول هل من مستغفر هل من تائب هل من داع ، قال فادعى ان الله لا ينزل بنفسه ، انما ينزل امره ورحمته ، وهو على العرش وبكل مكان من غير زوال ، لأنه الحي القيوم والقيوم بزعمه من لا يزول ، قال : فيقال لهذا المعارض ، وهذا أيضاً من حجج النساء والصبيان ومن ليس عنده بيان ، ولا لمذهبه برهان ، لأن امر الله ورحمته ينزل في كل ساعة ووقت وأوان ، فما بال النبي ﷺ يحد لنزوله الليل دون النهار ، ويوقت من الليل شطره أو الاسحار فأمره ورحمته يدعوان العباد الى الاستغفار أو يقدر الامر والرحمة ان يتكلما دونه فيقولا : هل من داع فأجيبه ? هل من مستغفر فاغفر له ? هل من سائل فأعطيه ? فان قررت مذهبك لزمك أن تدعي ان الرحمة والامر هما

اللذان يدعوان الى الاجابة والاستغفار بكلامه دون الله ، وهذا محال عند السفهاء فكيف عند الفقهاء ؟ قد علمتم ذلك لكن تكابرون ، وما بال رحمته وامره ينزلان من عنده شطر الليل ثم يمكثان الى طلوع الفجر ثم يرفعان ؟ لان رفاعة راويه يقول في حديثه حتى ينفجر الفجر ، وقد علمتم انشاء الله ان هذا التأويل باطل ولا يقبله الا جاهل .

واما دعواك ان تفسير القيوم الذي لايزول عن مكانه ولايتحرك فلايقبل منك هذا التفسير الا بأثر صحيح مأثور عن رسول الله ﷺ أو عن بعض اصحابه أو التابعين ، لأن الحي القيوم يفعل مايشاء ويحرك اذا شاء ويهبط ويرفع اذا شاء ، ويقبض ويبسط ويقوم ويجلس اذا شاء . لأن امارة مابين الحي والميت التحرك كل حي متحرك لا محالة ، وكل ميت غـــير متحرك لا محالة ، ومن يلتفت الى تفسيرك وتفسير صاحبك مع نبي الرحمة ورسول رب العزة اذ فسر نزوله مشروعا منصوصا ووقت لنزوله وقتا مخصوصاً لم يدع لك ولا لاصحابك فيه لعبا ولا عويصا انتهى . ولو ذهبنا ننقل أقوال العلماء أهل السنة والجماعة المتفق على امامتهم ودرايتهم لطال الـكلام ، وبما ذكرناه يندفع الخصام ، وينجلي قتر هذا القتام من تلبيس هؤلاء الجهلة الطغام .

وأما قوله ثم اظهر عدم التوسل بسيد العالمين ، وكافة الانبياء والصالحين والملائكة المقربين ، وان الاستغاثة بهم والتوسل كفر وشرك الى آخر كلامه .

فاقولُ : قد تقدم الكلام على هذا وبينا ما فيه وما هو الحق والصواب ، وجلونا غياهب الشك والشرك والارتياب .

وأما قوله : وان الأموات لا ينفع منهم نفعٌ للحي وانه لا كرامه لهم ولا شفاعة وان من مات انقطعت كرامته حتى ادخل عـلى العوام الشبه ، والنزاع منه في ذلك مكابرة فيما هو معلوم بالتواتر .

فاقول : قد كان من المعلوم ان الميت اذا مات وفارقت روحه جسده وذهبت حواسه وحركته بالـكلية وصار رهينا في الثرى جسدا بلا روح ، انه لا ينفع الحي ولا يجيب دعوته اذا دعاه ، ولا يسمعه ولايغيثه اذا استغاث به ، واذا كانـ ارواح الانبياء الذين هم أكمل الناس وكذلك الاولياء

والصالحون في أعلا عليين فيمتنع عقلا وشرعا وفطرة وقدرا ان الارواح التي فوق السموات السبع وفي أعلا عليين انها تسمع دعاء أهل الارض ، وتنفعهم وتتصرف فيهم ، هذا محال قطعا وضلال مبين فان الله قال (وهم عن دعائهم غافلون) فكل من دعي احدا من الاموات والغائبين والانبياء والصالحين فمن دونهم ، غافل عن دعاء داعيه بنصوص القرآن العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فكيف يسوغ عقل عاقل انهم يغيثون من استغاث بهم أو ينفعونهم بعد ان كانوا رفاقا لا يملكون لانفسهم نفعا ؟ ولا يدفعون عنها ضرا فكيف بغيرهم ؟ هذا من احل المحال ، لكن هؤلاء المشركون فسدت عقولهم وفطرهم ، وزين لهم الشيطان ما يعتقدونه من الكذب والمحال ، والشرك والضلال ، واما الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان لم تكن اجسامهم رفاتا بل قد ثبت ان الارض لا تأكل لحوم الانبياء فهم لا يسمعون دعاء من يدعوهم ، فانهم في الرفيق الأعلى في اعلا عليّين ، فلا يلزم من عدم اكل الارض لحومهم انهم يسمعون من دعاهم ، أو أنهم احياء في قبورهم ، بل هم عند الله كما سيأتي بيانه . قال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي في كتابه « الرد على من ادّعى ان للاولياء تصرفات في الحياة وبعد الممات » هذا وانه قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون ان للاولياء تصرفات بحياتهم وبعد مماتهم ، ويستغاث بهم في الشدائد ، والبليات وبهم تكشف المهمات ، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات مستدلين على ان ذلك منهم كرامات وقالوا منهم ، ابدال ونقبا واوتاد ونجباء ، وسبعون ، وسبعة واربعون ، واربعون ، واربعة والقطب وهو الغوث للناس وعليه المدار بلا التباس ، وجوزوا له الذبائح والنذور ، واثبتوا لهم فيها الاجور ، قال : وهذا كلام فيه تفريط وافراط بل فيه الهلاك الابدي والعذاب السرمدي لما فيه من روائح الشرك المحقق ومصادمة الكتاب العزيز المصدق ، ومخالف لعقائد الأئمة وما اجتمعت عليه الامة وفي التنزيل (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى

ونصله جهنم وساءت مصيرا) ثم قال: فاما قولهم ان للاولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات فيرده قوله تعالى (أإله مع الله - ألا له الخلق والامر) وذكر من الآيات الدالة على انه المتفرد بالخلق والتدبير ، والتصرف والتقدير ، ولا شيء لغيره في شيء بوجه من الوجوه فالكل تحت ملكه وقهره تصرفاً وملكا ، واحياء واماتة وخلقا - الى ان قال - واما القول بالتصرف بعد الممات فهو اشنع وابدع من القول بالتصريف في الحال ، قال جل ذكره : (انك ميت وانهم ميتون) وقوله (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) الآية (كل نفس ذائقة الموت - كل نفس بما كسبت رهينة) وفي الحديث « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث » الحديث فجميع ذلك وما هو نحوه دال على انقطاع الحس والحركة من الميت ، وان ارواحهم ممسكة ، وان اعمالهم منقطعة عن زيادة ونقصان ، فدل ذلك ان ليس الميت تصرف في ذاته فضلاً عن غيره ، فإذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره ؟ فالله سبحانه يخبر ان الارواح عنده ، وهؤلاء الملحدون يقولون ان الارواح مطلقة متصرفة . قل أأنتم اعلم أم الله ؟ قال : واما قولهم ويستغاث بهم في الشدائد فهو اقبح مما قبله وابدع لمصادمة قول الله تعالى جل ذكره (أمْ مَنْ يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أإلهٌ مع الله - قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية ؟)وذكر آيات في هذا المعنى ثم قال : فإنه جل ذكره قرر أنه الكاشف للضر لا غيره ، وانه المتفرد باجابة المضطرين ، وانه المستغاث لذلك كله ، وانه القادر على دفع الضر ، القادر على ايصال الخير فهو المتفرد بذلك ، فاذا تعين هو جل ذكره خرج غيره من مَلكٍ ونبيٍ ووليّ ، قال : واما اعتقادهم ان هذه التصرفات لهم من الكرامات فهو من المغالطة ، لأن الكرامة شيء من عند الله يكرم به أولياءه لا قصد لهم فيه ولا تحدي ولا قدرة ولا علم ، كما في قصة مريم بنت عمران وأسيد بن حضير وابي مسلم الخولاني . قال :

واما كونهم معتقدين التأثير منهم في قضاء حاجاتهم كما تفعله جاهلية العرب ، والصوفية الجهّال ، وينادونهم ويستنجدون بهم فهذا من المنكرات ، فمن اعتقد ان لغير الله من نبي أو وليّ أو روح أو غير ذلك في كشف كربة أو قضاء حاجـــة تأثيراً وقد وقع في جهل خطير فهو على شفا حفرة من السعير ، واما كونهم مستدلين على ان ذلك منهم كرامات فحاشا لله ان تكون اولياء الله بهذه المثابة ، فهذا ظن اهل الاوثان كذا أخبر الرحمن ، هم شفعاؤنا عند الله ، ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون ، فان ذكر ما ليس من شانه النفع ولا دفع الضـــر من نبي أو وليّ وغيره على وجه الامداد منه اشراك مع الله ، إذ لا قادر على الدفع غيره ولا خير الا خيره .

فصل

ثم ذكر الملحد بعد هذا أحاديث واخبارا وحكايات في كرامات الانبياء ، والاولياء منها ما هو صحيح مؤوّل وباطل مقوّل ، ومنها ما هو خرافات ومنامات ، وخزعبلات وحكايات ، لا يثبت بها حكم شرعي ، ولا يدل ماصح منها من الكرامة على انهم يدعون من دون الله أو يستغاث بهم في الشدائد والمهمات أو يطلب منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ولما انتهى بنا النظر فيها الى ما قاله بعض هؤلاء الملاحدة المسمى بالشيخ محمد بن علان في كتابه الذي سماه اتحاف أهل الاسلام والايمـــان رأيت فيه من الكفر العظيم الذي ما وصل الى ساحله كفر كفار قريش في تعظيم من يعظمونه ممن يعبدونه من دون الله ، حيث قال : والذي اقوله ان الجسد الشريف لايخلو منه زمان ولا مكان ، ولا محل ولا امكان ، ولا عرش ولا كرسي . ولا غير ذلك من المخلوقات ، وان امتلاء الكون به ﷺ كامتلاء الكون الاسفل وكامتلاء قبره به فتجده مقيما به ، طائفا حول البيت ، قائماً بين الملأ الاعلى بين يدي ربه ،

لاداء الخدمة ، الا ترى الى الرائين له يقظة أو مناما يرونه في وقت واحد في امكنة متباعدة انتهى .

ثم قال الملحد المؤلف: قلت ولا يبعدُ هذا ثم ذكر نحو ماذكره هذا الملحد وأقره على ذلك ، وزاد عليه ، فاكتفينا بما ذكره هذا الملحد هنا من هذه الخرافات ، وانها من اعظم المنكرات ، واعظم المكفرات لمن اعتقدها ، مما يعلم بالضرورة من دين الاسلام ان هذا لا يقوله ويعتقده من يؤمن بالله واليوم الآخر فاكتفينا ببطلان ما ذكره في حق الرسول ﷺ عن التكلف برد ما قاله وما اسلفه من الكرامات للاولياء والصالحين ، مما لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ، ولا من اقوال المحققين ، من ورثة سيد المرسلين ، من أنه اذا صحت لهم هذه الكرامة انهم يدعون من دون الله ، وينادون باسمائهم عند الشدائد ، ويستغاث بهم في كل ما يرجون ويطلبونه ، من قضاء الحاجات وجميع المقاصد .

واعلم ايها الواقف على ما حرره هذا الملحد واضرابه من المشركين انهم قد تنقصوا رسول الله ﷺ اشد التنقص وهضموه أعظم الهضم ، فانهم قد تنقصوه من حيث ظنهم انهم قد عظموه ، فانهم بهذا الغلو والافراط حيث زعموا انه لا يخلو منه زمان ومكان ، ولا محل ولا امكان ، ولا عرش ولا كرسي ، ولا غير ذلك من المخلوقات ، وانه امتلأ الكون به ، فما صانه اعداء الله عن الحشوش والقاذورات ، ولا عن بطون الحيوانات من الكلاب والخنازير ولا من جميع المخلوقات ، الطيب منها والمستخبثات ، كما زعم اخوانهم من الاتحادية الحلولية في حق رب العالمين ثم ان قولهم قد امتلأ به العرش والكرسي أمر مستحيل في الفطر والمعقولات ، كما هو مستحيل في المنقولات ، فأين يكون رب العرش والسموات ؟ فهو من احل المحال ، واضل الضلال ، واعلم انا لا ننكر الكرامات التي تحصل لاولياء الله اذا صدرت على القانون المرضي ، والميزان الشرعي ، فان اولياء الله هم المتقون المقتدون بمحمد ﷺ ،

فيفعلون ما أمر به وينتهون عمّا عنه نهى وزجر ، ويقتدون به فيما بين لهم ان يتبعوه فيه ، فيؤيدهم الله بملائكته وروح منه ، ويقذف الله في قلوبهم من انواره ، ولهم الكرامات التي يكرم الله بها اولياءه المتقين ؛ وخيار اولياء الله كراماتهم الحجة في الدين والحاجة بالمسلمين ، كما كانت معجزة نبيهم كذلك وكرامات اولياء الله انما حصلت ببركة اتباع رسول الله ﷺ ، فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ ، مثل انشقاق القمر ، وتسبيح الحصـا في كفه واتيان الشجر اليه ، وحنين الجذع اليه ، واخباره ليلة المعراج بصفة بيت المقدس ، واخباره بما كان وما يكون ، وإتيانه بالكتاب العزيز ، وتكثير الطعام والشراب مرات كثيرة ، كما اشبع في الخندق العسكر من قدر الطعام وهو لم ينقص ، الى غير ذلك من معجزاته عليه الصلاة والسلام ، وكرامات الصحابة والتابعين بعدهم وسائر الصالحين كثيرة جداً ، مثل ماكان أسيد بن حضير يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلة فيها امثال السرج وهي الملائكة نزلت لقراءته ، وكانت الملائكة تسلّم على عمران ابن حصين ، وكان سلمان وابو الدرداء يأكلان في صحفة فسبحت الصحفة أو سبح مافيها ، وعباد بن بشر واسيد بن حضير خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة فأضاء لهما نور مثل طرف السوط فلما افترقا افترق الضوء معهما ، رواه البخاري وغيره ، وقصة الصديق في الصحيحين ، لما ذهب بثلاثة الاضياف ، وحبيب بن عدي كان اسيراً عند المشركين بمكة شرفها الله وكان يؤتي بعنب وليس بمكة عنبة ، وعامر بن فهيرة وأم ايمن لما هاجرت وسفينة مولى رسول الله ﷺ وقصته مع الاسد والبراء بن مالك كان اذا اقسم على الله أبرّ قسمه ، الى غير ذلك من الكرامات التي وقعت لاصحاب رسول الله ﷺ ، واما كرامات التابعين فاكثر من ان تحصر ، ومع هذا كله فما كان احد من اهل العلم والصلاح يذهبون الى قبورهم فيدعونهم ويستغيثون بهم ، ويطلبون منهم قضـاء حوائجهم ، حتى احدث الخلوف ما احدثوه من الغلو في قبور الصالحين ، وما جرى لاصحاب رسول

الله ﷺ وللتابعين من الكرامات اكثر من ان يحصر ، وهذا بخلاف الاحوال الشيطانية مثل حال عبد الله بن صـــياد الذي ظهر في زمن النبي ﷺ وقصته مشهورة ومثل الاسود العنسي الذي ادعى النبوة كان له من الشياطين من يخبره ببعض الامور المغيبة ، وكذلك مسيلمة الكذاب ، كان معه من الشياطين من يخبر بالمغيبات ويعينه على بعض الامور ، وامثال هؤلاء كثير مثل الحارث الدمشقي ، الذي خرج بالشام زمن عبد الملك ابن مروان ، وادّعى النبوة ، وكانت الشياطين يخرجون رجليه من القيد ، وتمنع السلاح ان تنفذ فيه ، وتسبح الرخامة اذا مسحها بيده ، وكان يُري الناس رجالا وركبانا على خيل في الهواء ويقول هي الملائكة ، وانما كانوا جنّاً ولما أمسكه المسلمون ليقتلوه طعنـــه الطاعن بالرمح فلم ينفذ فيه ، فقال له عبد الملك انك لم تسم الله ، فسمى الله فطعنه فقتله ، وهكذا الاحوال الشيطانية تنصرف عنهم شياطينهم اذا ذكر عندهم مايطردها ، مثل آية الكرسي ، ومن هؤلاء من يأتيه الشيطان بأطعمة وفواكه وحلواى ، وغير ذلك مما لا يكون في ذلك الموضع ، ومنهم من يطير به الجني الى مكة أو بيت المقدس أو غيره ، ومنهم من يحمله عشية عرفة ثم يعيده من ليلته فلا يحج حجاً شرعياً بل يذهب بثيابه ، ولا يحرم اذا حاذ الميقات ، ولا يلبي ولا يقف بمزدلفة ، ولا يطوف بالبيت ، ولا يقف بين الصفا والمروة ولا يرمي الجمار ، بل يقف بعرفة بثيابه ثم يرجع من ليلته وهذا ليس بحج ، فقال: الا تكتبوني فقالوا لست من الحجاج يعني حجاً شرعياً ، وبين كرامات الاولياء وبين ما يشبهها من الاحوال الشيطانية فروق متعددة ؛ منها : ان كرامات الاولياء سببها الايمان والتقوى ؛ والاحوال الشيطانية سببها ما نهى الله عنه ورسوله ، وقد قال تعـــالى (انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والأثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) فالقول على الله بلا علم والشرك والظلم والفواحش قد حرمها الله تعالى ورسوله ، فلا تكون سبباً لكرامة الله تعالى

بالكرامات عليها ، فاذا كانت لا تحصل بالصلاة والذكر وقراءة القرآن ، بل تحصل بما يحبه الشيطان وبالامور التي فيها شرك كالاستغاثة بالمخلوقات ، او كانت مما يستعان بها على ظلم الخلق وفعل الفواحش فهي من الاحوال الشيطانية ، لا من الكرامات الرحمانية ، ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق إمّا حيٌ أو ميت سواء كان ذلك الحي مسلماً أو نصرانياً أو مشركا فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به ويقضي بعض حاجة ذلك المستغيث ، فيظن انه ذلك الشخص أو هو ملك على صورته ، وانما هو شيطان أضلّه لما اشرك بالله ، كما كانت الشياطين تدخل الاصنام وتكلم المشركين . ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان ويقول له انا الخضر وربما اخبره ببعض الامور وأعانه على بعض مطالبه ، كما قد جرى ذلك لغير واحد من المسلمين واليهود والنصارى وكثير من الكفار ببعض المشرق والمغرب ، يموت لهم الميت فيأتي الشيطان بعد موته على صورته وهم يعتقدون انه ذلك الميت ويقضي الديون ويرد الودائع ويفعل اشياء تتعلق بالميت ويدخل الى زوجته ويذهب ، وربما يكونون قد احرقوا ميتهم بالنار كما تصنع كفار الهند فيظنون انه عاش بعد موته ، ومنهم من يرى عرشاً في الهوى وفوقه نور ويسمع من يخاطبه ويقول انا ربك ، فان كان من أهل المعرفة علم انه شيطان فزجره واستعاذ بالله منه فيزول ، ومنهم من يرى في منامه ان بعض الاكابر اما الصديق رضي الله عنه أو غيره قد قص شعره أو حلقه أو البسه طاقيته أو ثوبه فيصبح وعلى رأسه طاقية وشعره محلوق أو مقصر ، وانما الجن قد حلقوا شعره أو قصروه ، وهذه الاحوال الشيطانية تحصل لمن خرج عن الكتاب والسنة وهم درجات ، والجن الذين يقترنون بهم من جنسهم وهم على مذهبهم والجن فيهم الكافر والفاسق والمخطىء فإن كان الأنسي كافراً او فاسقاً او جاهلاً دخلوا معه في الكفر والفسوق والضلال ، وقد يعاونونه اذا وافقهم على ما يختارونه من الكفر مثل الاقسام عليهم بأسماء من يعظمونه من الجن وغيرهم ومثل ان يكتب اسماء الله

أو بعض كلامه بالنجاسة أو يقلب فاتحة الكتاب أو سورة الاخلاص أو آية الكرسي أو غيرهن ويكتبهم بنجاسة فيغيرون له الماء وينقلونه بسبب ما يرضيهم به من الكفر ، وقد يأتونه بما يهواه من امرأة اوصبي إما في الهواء وإما مدفوعاً ملجأ اليه ، الى امثال هذه الأمور التي يطول وصفها ، والايمان بالجبت والطاغوت ، والجبت والسحر والطاغوت والشيطان والاصنام ، وان كان الرجل مطيعاً لله ورسوله باطناً وظاهراً لم يمكنهم الدخول معه في ذلك أو مسالمته ، ولهذا لما كانت عبادة المسلمين مشروعة في المساجد التي هي بيوت الله كان عمار المساجد ابعد عن الاحوال الشيطانيه ، وكان اهل الشرك والبدع يعظمون القبور ومشاهد الموتى ، فيدعون الميت أو يدعون به أو يعتقدون ان الدعاء عنده مستجاب اقرب الى الاحوال الشيطانية انتهى .

ملخصاً من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية . والمقصود ان هذا الملحد ذكر في هذا الفصل من الاكاذيب والمنكرات والكذب على الله وعلى رسله وشرعه ودينه وعلى اولياء الله ما تنفر منه الطباع وتَسْتَكُّ منه الاسماع ، فمن ذلك قوله اما الانبياء فلأنهم احياء في قبورهم يأكلون ويشربون ويصلون ويحجون بل وينكحون كما وردت بذلك الاخبار .

وهذا كما ترى مما علم بالضرورة من دين الاسلام انه كذب لا اصل له ولم يقله أحد من اهل العلم الذين هم القدوة وبهم الاسوة ، بل هو من امحل المحال وأضل الضلال واعظم من ذلك دعواه ان الاخبار وردت بذلك وحاشا وكلا نعوذ بالله من القول على الله بلا علم . ثم قال وتكون الاستغاثة معجزة منهم والشهداء ايضاً احياء عند ربهم شوهدوا نهاراً جهاراً يقاتلون الكفار يعني بذلك عالم المثال المحسوس لهم في الحياة وبعد الممات فافهم انتهى .

وهذا خلاف ما ورد في الكتاب العزيز وخلاف ما ورد في الحديث لما سئلوا ما تريدون قالوا : نريد أن تردنا الى الدنيا فنقتل في سبيلك مرة أخرى أو كما قال ﷺ . ومنها ما ذكره عن الشعراني ذكر ان بعض مشائخه

ذكر له ان الله تعالى يوكل بقبر كل ولي ملكا يقضي حوائج من توسل بهم كما وقع ذلك للامام الشافعي ، وهذا من الكذب الظاهر الذي لايحتاج في رده إلى حكايته والحكاية عن الشافعي مكذوبة موضوعة كما ذكرها شيخ الاسلام وابن القيم . وأما ما يجري عند نفيسة واحمد البدوي وغيرهم من المعبودين ، فمن الاحوال الشيطانية والاكاذيب المفتراة ، منها قوله : وتارة يخرج الولي من قبره ويقضي الحاجة لأن للأولياء الانطلاق في البرزخ والسراح لأرواحهم ، وإذا خرج شخص منهم من قبره على صورته وقضى حوائج الناس كما وقع لسيدنا حمزة بن عبد المطلب مع الشيخ احمد بن محمد الدمياطي . وهذه كلها حكايات وخرافات ألفها بعض الغلاة يضلون بها الناس ويصدونهم عن سبيل الله ، وذكر حكايات بعد هذا تشمئز منها قلوب الذين يؤمنون بالآخرة ، وإنما ذكرت هذا ليتبين لك موافقته لما ذكره شيخ الاسلام من الاحوال الشيطانية من ان اهل الشرك والبدع يعظمون القبور ومشاهد الموتى فيدعون الميت او يدعون به او يعتقدون ان الدعاء عنه مستجاب ، فيقع لهم بعض هذه الامور من الشياطين فيظنون ان ذلك من كرامة الله لهم .

فصل

ثم قال الملحد : الفصل العاشر في كلام العلماء في ابن تيمية مع زهده وورعه وذكر كلام الذهبي في زغل الذهب ، وذكر فيه أموراً تخالف ما قاله في ترجمته لشيخ الاسلام ، ولعل ذلك تقية يتقي بها من اعاديه في ذلك الزمان أو ذكر ذلك لشيء من المقاصد ، وماذكره الذهبي في الثناء عليه يقضي على ماعابه عليه بالهدم والرد وكذلك ما ذكره غيره مما يعيب به شيخ الاسلام لا يقابل عشر معشار ما أُثْنِيَ به عليه :

ومن ذا الذي ينجو من الناس سالما وللنـــاس قالٌ بالظنون وقيل

ثم قال : الفصل الحادي عشر في التمائم رد على النجدي انكاره التمائم والرقي

اما انكار النجدي تعليق التمائم مطلقا على الانسان وكل دابة فمن تهوراته إذ عده شركا .

والجواب أن يقال : لم ينكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب تعليق التمائم والرقي مطلقا كما زعمه هذا الملحد ، بل فصل وبين ما يجوز وما لا يجوز وعقد لذلك بابا ، فقال رحمه الله : باب ما جاء في الرّقي والتمائم في الصحيح عن ابي بشير الانصاري رضي الله عنه انه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولا ان لايبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الرقي والتمائم والتولةشرك » رواه احمد وابو داؤاد . وعن عبد الله بن عكيم مرفوعا « من تعليق شيئاً وكل إليه » رواه احمد والترمذي . التمائم : شيء يعلق على الاولاد عن العين ، لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه ، منهم ابن مسعود رضى الله عنه والرقي هي التي تسمى العزائم وخص منه الدليل ما خلا من الشرك فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمه . والتولة : شيء يصنعونه يزعمون انه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته . وروى احمد عن رويفع قال : قال رسول الله ﷺ « يارويفع لعل الحياة تطول بك ، فأخبر الناس ان من عقد لحيته أو تقلد وتراً أو استنجى برجيع دابة أو عظم فان محمداً بريء منه » وعن سعيد بن جبير قال « من قطع تميمة من انسان كان كعدل رقبة » رواه وكيع وله عن ابراهيم قال كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن ، انتهى .

هذا كلام الشيخ في الرقي والتمائم على الاحاديث لم يقل فيه لا يجوز تعليقها مطلقاً ، بل كان من الاوتار التي كان اهل الجاهلية يعلقونها ويعتقدون فيها أنها تدفع العين بأمر الشيخ بقطعها وينهى عن تعليقها ، وقوله في حديث بن مسعود أن الرقي والتمائم والتولة شرك هذا محمول على أن الرقي والتمائم الموصوفة بكونها

شركا هي التي يستعان فيها بغير الله ، وكذلك إذا كانت بأسماء الشياطين والطلاسم والاسماء المجهولة التي لا تعرف . قال السيوطي رحمه الله : قد أجمع العلماء على جواز الرقي عند اجتماع ثلاثة شروط : أن يكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته وباللسان العربي وما يعرف معناه ، وان يعتقد ان الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى ، فاذا كان الشيخ لم يقل إلا بما ورد عن رسول الله ﷺ وبما قاله اهل العلم من الرخصة والمنع أو اختار مذهب ابن مسعود رضي الله عنه واصحابه فما عليه في ذلك من عتب ، ولكن اعداء الله ورسوله ينفرون الناس عن ما دعا اليه الشيخ حتى عن توحيد الله الذي هو الاصل الذي لا يصح إسلام المرء إلا به فبعداً للقوم الظالمين .

وأما قوله : تنبيه واما انكار النجدي على الزروع الجماجم ويعده شركا ، فمن جهله ففي كتاب خلاصة الوفا في أخبار دار المصطفى ﷺ وعلى آله وصحبه أهل الوفا للعلامة السيد السمهودي الشافعي في الفصل التاسع من الباب الاول ، ذكر الحديث الذي رواه الشافعي رضي عنه عن النبي ﷺ وفي آخره وعليكم بالزرع وأكثروا فيه من الجماجم ، انتهى . وفي فتاوي قاضي خان الحنفي يجوز وضع الجماجم على الزروع من العين لما روي ان امرأة اتت إلى النبي ﷺ فقالت : يا نبي الله انا اهل زرع وانا نخاف العين فأمرها ﷺ ان تضع الجماجم على الزرع ، انتهى . فتبين جهل هذا النجدي وتهوره .

فالجواب أن نقول : قد ورد في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم عن ابي بشير الانصاري رضي الله عنه المتقدم في اول الباب النهي عن تعليق الاوتار على الدواب وامر بقطعها فكيف يأمر بتعليق الجماجم على الزروع وقال : في الحديث الآخر الذي رواه الامام احمد ورواه ايضا ابويعلى والحاكم وقال : صحيح الاسناد واقره الذهبي عن عقبة بن عامر مرفوعاً من تعلق تميمة فلا اتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له . وفي رواية من تعلق تميمة فقد اشرك ، قوله : من تعلق تميمة اي علقها متعلقا بها قلبه في طلب خير

أو دفع شر ، قال المنذري : خرزة كانوا يعلقونها يرون انها تدفع عنهم الآفات وهذا جهل وضلالة إذ لا مانع ولا دافع غير الله تعالى ، وقال ابو السعادات : التمائم جمع تميمة وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم فأبطله الاسلام ، قوله : وفي رواية من تعلق تميمة فقد اشرك . قال ابو السعادات إنما جعلها شركا لأنهم ارادوا دفع المقادير المكتوبة عليهم وطلبوا دفع الاذى من غير الله الذي هو دافعه ، فاذا وضح لك كلام العلماء في هذه التعاليق وانه اذا اريد بها دفع العين ودفع المقادير المكتوبة عليهم من غير الله ان ذلك شرك ، وتبين لك ايضاً اختلاف العلماء في التمائم التي من القرآن وأسماء الله وصفاته فأجازها طائفة : منهم عبد الله بن عمرو بن العاص وهو ظاهر ماروي عن عائشة وبه قال ابو جعفر الباقر وحملوا الحديث على التمائم التي فيها شرك ومنع منها طائفة منهم : عبد الله بن مسعود وابن عباس ، وهو ظاهر قول حذيفة وعقبة بن عامر وابن عكيم وبه قال جماعة من التابعين منهم اصحاب ابن مسعود رضي الله عنه واحمد في رواية اختارها كثير من اصحابه وجزم بها المتأخرون ، فكيف الحال بالجماجم التي لا منفعة فيها ولا مصلحة بل الظاهر من تعليقها انهم يعتقدون فيها انها تدفع العين عن الزرع كاعتقاد اهل الجاهلية في تعليق الاوتار والودع والخرز واعتقاد ذلك شرك إذ لادافع إلا الله ولا يطلب دفع المؤذيات إلا بالله واسمائه وصفاته .

فاذا فهمت هذا فاعلم ان هذين الحديثين الذين اوردهما هذا الملحد من الموضوعات المكذوبات على رسول الله ﷺ قطعا كما ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة وكذلك ابو حيان ، فالاحتجاج بهما رد على الله ورسوله وعلى اهل العلم وتكذيب لما ورد من الاحاديث الصحيحة ، فتبين ان الجهل والتهور به أليق وبمقامه ألصق ، لأنه ليس من اهل العلم ولا من المعروفين بالدين والصلاح ولا بالدراية والرواية بل هو أفاك لئيم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم .

فصل

قال : الملحد الفصل الثاني عشر في الرد على النجدي انكاره على الله وعلى فلان ، واعظم من ذلك واشد انه يكفر من يقول هـذا امانة الله ورسوله وعلى الله وعليك يا فلان والى الله واليك ومالي الا الله وانت واشباه ذلك ، وقد اجاد الشيخ محمد بن الشيخ احمد بن عبد اللطيف الاحسائي في الرد عليه ، فقال : وان ما يعتاده الناس الآن من مدد مديدة من كتابتهم الخطوط التي يبعثون بها الى من ارادوا امانة الله ورسوله صحيح لا تشريك فيه للرسول مع الله تعالى بوجـــه من الوجود اذ غاية الامر انها في ذلك ونحوه كعلى الله وعليك يافلان والى الله واليك ومالي الا الله وانت ، الواد للترتيب بمنزلة ثم فلا يكون استعمالهما مؤديا الى الشرك الذي قال به ابن عبد الوهاب لجهله الى آخر كلامه .

والجواب ان يقال لهذا الجاهل المركب لو كان لك معرفة وعناية بكلام الله ورسوله ولغة العرب لما تهورت بهذه المقالة واشعت هذه الجهالة ولما كان قدوتك في هذه الضلاله من لا معرفة لديه بمدارك الاحكام ولا كان من جملة العلماء الاعلام القدم الغبي محمد بن احمد بن عبد اللطيف الاحسائي الذي هو اضل من حمار أهله ، فاسمع الآن كلام أهل العلم والايمان وحملة السنة والقرآن فقد قال ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما على قوله تعالى (فلا تجعلوا لله انداداً وانتم تعلمون) قال : الانداد هو الشرك اخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو ان تقول : والله وحياتك يا فلانه وحياتي وتقول : لولا كلبية هذا لاتانا اللصوص وقول الرجل لصاحبه ماشاء الله وشئت وقول الرجل لولا الله وفلان لا تجعل فيها فلان ، هذا كله به شرك رواه ابن أبي حاتم فبين ابن عباس رضي الله عنهما ان هذا كله من الشرك وهو الواقع اليوم على السن كثير ممن لا يعرف التوحيد ولا الشرك ، فتَنَبَهْ لهذه

الامور فانها من المنكر العظيم الذي يجب النهي عنه والتغليظ فيه لكونه من اكبر الكبائر ، وهذا من ابن عباس رضي الله عنه تنبيه بالادنى من الشرك على الاعلى ، وفي سند ابي داود بسند صحيح عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء فلان » قال أهل العلم وذلك لان المعطوف بالواو يكون مساويا للمعطوف عليه لكونها انما وضعت لمطلق الجمع فلا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً . وتسوية المخلوق بالخالق شرك ان كان في الاصغر مثل هذا فهو اصغر وان كان في الاكبر فهو اكبر كما قال : تعالى عنهم في الدار الآخرة (تالله ان كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العلمين) بخلاف المعطوف بثم فان المعطوف بها يكون متراخيا عن المعطوف عليه بمهلة فلا محذور لكونه صار تابعا . وعن ابراهيم النخعي انه يكره ان يقول الرجل اعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول بالله ثم بك ، قال : ويقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان ، وقد تقدم الفرق بين ما يجوز وما لا يجوز من ذلك .

وهذا انما هو في الحي الحاظر الذي له قدرة وسبب في الشيء ، وهذا الذي يجري في حقه مثل ذلك . وما في حق الاموات الذين لا احساس لهم بمن يدعوهم ولا قدرة لهم على نفع ولا ضر فلا يقال في حقهم شيء من ذلك فلا يجوز التعلق على شيء ما بوجه من الوجوه ، والقرآن يبين ذلك وينادي بانه يجعلهم الهة اذا سألوا شيئاً من ذلك أو رغب اليهم احد بقوله أو عمله الباطن أو الظاهر ، وفي سنن النسائي وصححه عن قتيلة ان يهوديا اتى النبي ﷺ فقال : انكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة ، فامرهم النبي ﷺ اذا رادوا ان يحلفوا ان يقولوا ورب الكعبة . وان يقولوا ماشاء الله ثم شئت . وله ايضا عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رجلا قال : للنبي ﷺ ما شاء الله وشئت قال : اجعلتني لله ندا بل ماشاء الله وحده ، قال : أهل العلم هذا يقرر ما تقدم من ان هذا شرك لوجود التسوية بالعطف في الواو ، وقوله

اجعلتني لله ندا فيه بيان ان من سوى العبد بالله ولو في الشرك الاصغر فقد جعله ندا لله شاء ام ابي خلافا لما يقوله الجاهلون بما يختص بالله تعالى من عبادته وما يجب النهي عنه من الشرك بنوعيه ومن يرد الله به خـيرا يفقهه في الدين انتهى . وفي سنن بن ماجة عن الطفيل اخي عائشة لامها قال رأيت كاني اتيت على نفر من اليهود فقلت انكم لأنتم القوم لولا انكم تقولون عزير ابن الله قالوا وانتم لأنتم القوم لولا انكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد ثم مررت بنفر من النصارى فقلت انكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله قالوا وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون ما شاء الله محمد فلما اصبحت اخبرت بها اخبرت ثم اتيت النبي ﷺ فاخبرته فقال هل اخبرت بها احـداً قلت نعم قال فحمد الله واثني عليه ، ثم قال أما بعد فان طفيلا رأى رؤيا اخبر بها من اخبر منكم وانكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا ان انهاكم عنها فلا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله وحده وهذه الرؤيا حق اقرها رسول الله ﷺ وعمل بمقتضاها فنهاهم ان يقولوا ماشاء الله وشاء محمد وامرهم ان يقولوا ماشاء الله وحده ، وهذا الحديث والذي قبله امرهم فيه ان يقولوا ماشاء الله وحده ولا ريب ان هذا اكمل في الاخلاص وابعد عن الشرك من ان يقولوا ثم شاء فلان لان فيه التصريح بالتوحيد المنافي للتنديد من كل وجه فالبصير يختار لنفسه اعلى مراتب الكمال في مقام التوحيد والاخلاص ، فاذا تبين لك ماقدمناه من كلام علماء الاسلام على احاديث سيد الانام قالوا وفي قوله امانة الله ورسوله وعلى الله وعليك يافلان والى الله واليك ومالي الا الله وانت موضوعة لمطلق الجمع والتشريك من غير اشكال ولاتشكيك ولا تقتضي ترتيباً ولا تعقيباً كما ذكره أهل العلم وعليه جمهور أهل العربية وما خالف هذا القول شاذلا يلتفت اليه ، فيكون استعمالها مؤديا الشرك الاصغر .

وأما قول الاحسائي ولو كان استعمالها مؤديا الى الشرك لما أتي الله بها في آيات كثيرة من كتابه العزيز كقوله (والله ورسولة احق ان يرضوه) (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) (واطيعوا الله واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) (وسيرى الله عملكم ورسوله) وغير ذلك من الآيات

وكحديث اي يوم هذا قالوا الله ورسوله اعلم . فالجواب من وجوه ، الوجه الأول : ان الله سبحانه وتعالى هو الذي قال ذلك ومن المعلوم ان طاعة الرسول واجبة استقلالا ولو لم تذكر في القرآن فان طاعة الرسول طاعة لله قال : تعالى (من يطـــع الرسول فقد اطاع الله) وكذلك ارضاء الرسول واجب ، ولا يتم رضاء الله إلا برضاء رسوله لان ذلك شرط في صحة الايمان قال : تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وكذلك ولاية الله ورسوله للمؤمنين ورؤية الله ورسوله والمؤمنين لعمل المنافقين وتوبتهم وكذلك قول الصحابة رضى الله عنهم الله ورسوله اعلم كل ذلك مما يؤدي الى طاعة الله ورسوله والايمان به والتشريك فيه جائز لا محذور فيه وليس فيه شيء من الامور التي تؤدي الى الشرك لان كلا منا ليس في منع مطلق التشريك بالواو بل في منع التشريك بالافعال المختصة بالله سبحانه ، قال : شيخ الاسلام رحمه الله ومن هذا الباب أن النبي ﷺ كان يقول في خطبته من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فلن يضر إلا نفسه ولن يضر الله شيئاً ، وقال لا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء محمد ففي الطاعة قرن اسم الرسول باسمه بحرف الواو وفي المشيئة أمر ان نجعل ذلك بحرف ثم وذلك ان طاعة الرسول بخلاف المشيئة فليست مشيئة أحد من العباد مشيئة لله ولا مشيئة الله مستلزمة لمشيئة العبـاد بل ما شاء الله كان وان لم يشأ الناس وماشاء الناس لم يكن ان لم يشاء الله انتهى ، وقال بن القيم رحمه الله تعالى على قوله تعالى (يا أيهـا النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) أى الله وحده كافيك وكافي اتباعك فلا يحتاجون معه الى أحـــد وهنا تقديران أحدهما : ان تكون الواو عاطفة لمن على الـكاف المجرورة ويجوز العطف على الضمير المجرور بدون اعادة الجار على المذهب المختار ، وشواهده كثيرة وشبه المنع منه واهية ، والثـاني ان تكون الواو واو مع وتكون في محل نصب

عطفا على الموضع ، فان حسبك في معني كافيك أي الله يكفيك ويكفي من اتبعك كما تقول العرب حسبك وزيدا درهم ، قال الشاعر :

اذا كانت الهيجاء وانشقت العصا ... فحسبك والضحاك سيف مهند

وهذا أصح التقديرين وفيها تقدير ثالث أن تكون من في موضع رفع بالابتداء اي ومن اتبعك من المؤمنين فحسبهم الله ، وفيها تقدير رابع وهو خطأ من جهة المعني ، وهو ان تكون مَنْ في موضع رفع عطفا على اسم الله ، ويكون المعني حسبك الله واتباعك وهذا وان قال به بعض الناس فهو خطأ محض لايجوز حمل الآية عليه ، فان الحسب والكفاية لله وحده كالتوكل والتقوى والعبادة ، قال الله تعالى (وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله ، هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين) ففرق بين الحسب والتأييد فجعل الحسب له وحده وجعل التأييد له بنصره وبعباده ، واثنى الله سبحانه على أهل التوحيد والتوكل من عباده حيث افردوه بالحسب فقال تعالى (الذين قال لهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) ولم يقولوا حسبنا الله ورسوله ، فاذا كان هذا قولهم ومدح الرب تعالى لهم بذلك ، فكيف يقول لرسوله حسبك الله واتباعك ؟ وقد افردوا الرب تعالى بالحسب ولم يشركوا بينه وبين رسوله فيه ، فكيف يشرك بينهم وبينه في حسب رسوله ؟ هـذا من أمحل المحال وابطل الباطل ، ونظير هذا قوله (ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون) فتأمل كيف جعل الايتاء لله ولرسوله كما قال تعالى (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وجعل الحسب له وحده فلم يقل : وقالوا حسبنا الله ورسوله ، بل جعله خالص حقه كما قال (انا الى الله راغبون) ولم يقل والى رسوله ، بل الرغبة اليه وحده قال تعالى (فاذا فرغت فانصب . والى ربك فارغب) فالرغبة والتوكل والانابة والحسب لله وحده ، كما ان العبادة والتقوى والسجود لله وحده ، والنذر والحلف لايكون إلا لله سبحانه وتعالى ، انتهى . فقوله تعالى

(ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله) كقوله تعالى (والله ورسوله احق ان يرضوه) وقوله (انما وليكم الله ورسوله) وما بعدها من الآيات التي أوردها والاحاديث بمعنى واحد في عدم تأديتها الى الشرك وانما تؤدي الى طاعة الله وطاعة رسوله ، واستعمال الواو جائز فيها لا محذور فيه مما قد يؤدي الى التشريك ، ويدخل في مسمى العبادة كما قرره ابن القيم رحمه الله تعالى ، بخلاف ما يدخل في مسمى العبادة ، فلا يستدل بذلك على جواز الاتيان بالواو ومطلقا في جميع المواضع إلا مبخوس الحظ من الدين والايمان ، ولم يحصل على شيء من التحقيق والعرفان .

الوجه الثاني : أن النبي ﷺ هو الذي نهى الرجل عن قول ما شاء الله وشئت وقال « اجعلتني لله ندا ؟ » فجعل الواو هنا تقتضي التشريك والتنديد ، وأنكره ، مع ان الله قد اثبت للعبد مشيئة قال تعالى (لمن شاء منكم أن يستقيم) فكيف بمن يقول انا متوكل على الله ، وعليك ، وانا في حسب الله وحسبك ومالي الا الله وانت ، وهـذا من الله ومنك أو من بركات الله وبركاتك ، والله لي في السماء وانت لي في الارض ، ويقول والله وحياة فلان ، أو انا تائب الى الله والى فلان ، وارجو من الله وفلان ، ونحو ذلك فوازن بين هذه الالفاظ وبين قول ذلك الرجل للنبي ﷺ ما شاء الله وشئت ثم انظر ايها افحش يتبين لك ان قائلها أولى بجواب النبي ﷺ لقائل تلك الكلمة ، وانه اذا كان قد جعله ندًّا لله فقد جعل من لا يداني رسول الله ﷺ في شيء من تلك الاشياء بل لعله ان يكون من اعدائه ندًّا لرب العـالمين ، فماذا على شيخنا حين انكر ما انكر النبي ﷺ وجعله شركا أصغر وفي حديث الطفيل المتقدم ذكره « لا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ماشاء الله وحده » وهذا أعلى وأكمل ، وان كان الاتيان بثم جائزاً كما في حديث قتيلة فتركه اكمل في الإخلاص وابعد عن الشرك .

الوجـه الثالث : ان الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من التـابعين

جعلوها من الشرك الاصغر ، وفسروا به قوله تعـــالى (فلا تجعلوا لله انداداً وانتم تعلمون) فعن ابن عباس رضي الله عنهما الانداد هو الشرك وذكر منه قول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل لولا الله وفلان ، لا تجعل فيها فلاناً هـذا كله به شرك فحكم ابن عباس ان هـذا كله من الشرك والحداد التريمي الحضرمي يقول بجوازه ، ويزعم ان الشيخ انفرد بمنعه وانه يكفر به ، فانظر ايها المنصف من أولى بالله ورسوله واهل العلم من الصحابة والتابعين ، أهو من قال بقولهم وتمسك به ام هذا الرجل الذي ينكر على شيخنا وينسبه الى ما هو بريء منه ؟

الوجه الرابع : ان قوله لو كان الاتيان بثم اولى لما عدلت عنها الصحابة الى الواو الى آخر كلامه ، مما يدل على جهله وافلاسه : وانه لا معرفة لديه بكلام الله ورسوله وكلام الصحابة رضي الله عنهم وهذه الشذرة من كلامه تدلك على قناطير من جهلته وغباوته ، فان رسول الله ﷺ الذى انزل الله عليه (واطيعوا الله والرسول ـ والله ورسوله احق ان يرضوه) هو الذي قال للرجل لما قال له ما شاء الله وشئت قال « اجعلتني لله نداً » وهو الذي قال بأبي وأمي هو ﷺ في الحديث الذي رواه النسائي وصححه عن قتيلة وقد تقدم ان يهوديا اتى النبي ﷺ فقال انكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون : والكعبة فامرهم النبي ﷺ اذا ارادوا ان يحلفوا ان يقولوا ورب الكعبة ، وان يقولوا شاء الله ثم شئت ، وقوله ﷺ فيما رواه أبو داود عن حـــذيفة « لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان » وكذلك ما ذكر عن ابراهيم النخعي أنه يكره ان يقول الرجل اعوذ بالله وبك ، ويجوز ان يقول بالله ثم بك ، قال ويقول لولا الله ثم فلان ، ولا يقول لولا الله وفلان ، وكذلك الحديث الذي اخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما عن ابي هريرة في قصة النفر الثلاثة الذين كانوا من بني اسرائيل ابرص واقرع واعمى قال فيه ثم اتى الابرص

في صورته وهيئته ، فقال : رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال في سفري هذا فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك ، فلو كان هذا الرجل يعقل ما يقول لما تهور بهذه المقالة ، وركب الاحموقة من هذه الجهالة والضلالة :

ولكن على تلك القلوب اكنة　　فليست وان اصغت تجيب المناديا

فتبين مما تقدم من الاحاديث ان رسول الله ﷺ أمر اصحابه ان يقولوا ما شاء الله ثم شاء فلان فعدل الصحابة رضي الله عنهم عن الواو الى ثم امتثالا لأمر الله ورسوله ، وطاعة له ومن لم يطع الله ورسوله ولم يمتثل ما أمر به فقد عصي الله ورسوله ، وخالف ما أمر الله به فالله المستعان .

وأما قوله : فإذا تبين لك هـــذه النصوص من حضرة الرسالة فما بقي لمدع كلام .

فالجواب أن نقول : قد أوضحنا مافي هذه النصوص من الحق وبينا مراد الله ورسوله منها بكلام الله وكلام رسوله وكلام الصحابة وأهل العلم ، فكنا اولى بالله ورسوله واولى العلم منكم ، وبقي لمدعانا ما اوضحناه وبيناه من الاحاديث وكلام اهل العلم عليها ما يشفى ويكفي ، لمن كان له قلب او ألقي السمع وهو شهيد ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ، وما بقي من كلامه مما لم نتكلم عليه فانه مما لا فائدة في الجواب عنه وانما ذكره تكثيرا او تكبيرا لحجم الكتاب والكثرة مما لم ننازع فيه فالله المستعان .

فصل

قال الحداد : الفصل الثالث عشر في القبة وندبها وانها قربة .

واما قول النجدي : عامله الله بعدله قريب ، ان ربي سميع مجيب ، بكفر اهل البلد الذي فيها قبة ، وانها كالصنم ، مراده تكفير المتقدمين ، والمتأخرين من الاكابر والعلماء والصالحين ، وكافة المسلمين من احقاب وسنين ، مخالفاً للاجماع

السكوتي على الانبياء والصالحين من عصور ودهور صالحة .

فالجواب أن يقال : اما دعاؤه على الشيخ فغير بديع من هذا الحضرمي واضرابه حيث لم يجدوا ما يدفعون به الحق الا بتكذيبه واكذابه ، والدعا عليه ورميه بما لم يكن في حسابه ، ولكنه غيض الاسير على القدّ ، وقد زعم ان الشيخ يكفر اهل البلد الذي فيها قبة ، وانها كالصنم ، وهو كذب على الشيخ وافتراء فانه لا يكفر اهل البلد بمجرد ان فيها قبة ، واما اذا كانت القبة مبنية على قبر يعبده أهل البلد من دون الله ، فان كان قد بلغتهم الدعوة وقامت عليهم الحجة التي يكفر تاركها فما المانع من تكفيرهم ؟ وقد اجمع على ذلك العلماء ، وأما اذا لم تبلغهم الدعوة ولم تقم عليهم الحجة ، فقد قال رحمه الله في رسالته للشريف : واما الكذب والبهتان مثـــل قولهم انا نكفر بالعموم ونوجب الهجرة الينا على من قدر على اظهار دينه وانا نكفر من لم يكفر ومن لم يقاتل ، ومثل هذا واضعاف أضعافه ، وكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله ، واذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر عبد القـادر ، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ولم يكفر ولم يقاتل ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم ، انتهى . والصنم هو الوثن الذي يعبـد كما في القاموس وغيره ، وكذلك ما صوّر على صورة المعبود من ذهب أو فضة أو نحاس او غيره .

وأما قوله : مراده تكفير المتقدمين والمتأخرين من الاكابر والعلماء والصالحين وكافة المسلمين .

فأقول : هذا من أعظم الكذب والبهتان والزور والعدوان وحقيقة قول هذا الملحد أنّ المتقدمين والمتأخرين من الاكابر والعلماء والصالحين وكافة المسلمين يتخذون القباب على القبور ويرون انها قربة ويندبون الى ذلك وانهم مجمعون على ذلك اجماعاً سكوتيا ، وسنذكر من احاديث رسول الله ﷺ وكلام اهل

العلم ما يبين كذب هذا الدجال المفتري القائل على الله وعلى رسوله وعلى اهل العلم بغير علم ، فنقول : ثبت في الصحيح والسنن عن رسول الله ﷺ انه نهى عن البناء على القبور وأمر بهدمه كما روى مسلم في صحيحه حيث قال : حدثنا يحي : حـــدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب ابن ابي ثابت عن أبي وائل عن ابي هياج الاسدي قال : قال علي ألا ابعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ان لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته ، حدثنا بكر ابن أبي شيبة قال حدثنا حفص بن غياث عن بن جريج عن ابي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال : نهى رســول الله ﷺ ان يجصص القبر وأن يبنى عليه وان يكتب عليه ، وقال ايضاً حدثنا هارون بن سعيد الايلي قال حدثنا ابن وهب قال حدثني عمرو بن الحارث أن ثمامة بن شفي حدثه قال كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فسوي ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها ، وقال الترمذي باب ما جاء في تسوية القبور وساق بسنده عن ابي وائل ان عليا رضي الله عنه قال لابي الهياج الاسدي ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ان لاتدع قبراً مشرفا إلا سويته ولا تمثالا إلا طمسته ، قال : وفي الباب عن جابر ، وقال ابن ماجة : باب ماجاء في النهي عن البناء على القبور وتجصيصها والكتابة عليها ثم ساق بسنده عن جابر قال نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبور وبسنده أيضاً عن جابر ، قال نهى رسول الله ﷺ أن يكتب على القبر شيء ، وبسنده أيضاً عن أبي سعيد أن النبي ﷺ نهى أن يبنى على القبر ، وقال النووي في شرح مسلم ، قال الشافعي رحمه الله في الام رأيت الائمة بمكة يأمرون بهدم ما يبنى ، ويؤيد الهدم قوله : ولا قبراً مشرفا إلا سويته ، وقال الاذرعي رحمه الله في قوت المحتاج ثبت في صحيح مسلم النهي عن التجصيص والبناء وفي الترمذي وغيره النهي عن الكتابة ، وقال القاضي بن كج ولا يجوز ان يبني عليها قبابا ولا غيرها والوصية بها باطلة قال الاذرعي ولا يبعد الجزم بالتحريم في ملكه وغيره من غير حاجة على من

علم النهي بل هو القياس الحق والوجه في البناء على القبور المباهاة ومضاهاة الجبابرة والكفار والتحريم يثبت بدون ذلك ، وأما بطلان الوصية ببناء القباب وغيرها من الابنية العظيمة وانفـاق الاموال الكثيرة عليها ، فلا ريب في تحريمه ، والعجب كل العجب ممن يلزم ذلك الورثة من حكام العصر ويعمـل بالوصية ، بذلك انتهى كلام الأذرعي .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في اغاثة اللهفان : ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وما أمر به ونهى عنه وما كان عليه أصحابه وبين ماعليه أكثر الناس اليوم رأى أحدهما مضادا للآخر مناقضا له ، بحيث لا يجتمعان أبدا ، فنهى رسول الله ﷺ عن الصلاة الى القبور وهؤلاء يصلون عنـدها ، ونهى عن اتخاذها مساجد ، وهؤلاء يبنون عليهـا المساجد ويسمونها مشاهد مضاهاة لبيوت الله تعالى ، ونهى عن ايقاد السرج عليها ، وهؤلاء يوقفون الوقوف على ايقاد القناديل عليها ، ونهى ان يتخذ عيدا وهؤلاء يتخذونها أعيادا ومناسك ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو أكثر ، وأمر بتسويتها كما روى مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدي قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الا ابعثك على ما بعثني عليـه رسول الله ﷺ ان لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته وفي صحيحه أيضا عن ثمامة بن شفي قال : كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فسوي ، ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها ، وهؤلاء يبالغون في مخالفة هذين الحديثين ويرفعونها من الارض كالبيت ويعقدون عليها القبـاب ، ونهى عن تجصيص القبر والبناء عليه كما روى مسلم في صحيحه عن جابر قال : نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر وان يقعد عليه وان يبني عليه بناء ونهى عن الكتابة عليها كما روى أبو داود في سننه عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ نهى « عن أن تجصص القبور وأن يكتب عليهـا » قال الترمذي حديث حسن صحيح ، وهؤلاء يتخذون عليها الألواح ويكتبون عليها القرآن وغيره ،

ونهى ان يزاد عليها غير ترابها كما روى أبو داود من حديث جابر أيضا ان رسول ﷺ « نهى ان يجصص القبر أو يكتب عليه أو يزاد عليه » وهؤلاء يزيدون عليه سوى التراب الآجر والاحجار والجص ، ونهى عمر بن عبد العزيز ان يبني القبر بآجر وأوصى الاسود بن يزيد ان لا تجعلوا على قبري آجرا وقال ابراهيم النخعي : كانوا يكرهون الآجر على قبورهم ، وأوصى أبو هريرة حين حضرته الوفاة ان لا تضربوا علي فسطاطا ، وكره الامام احمد ان يضرب على القبر فسطاطا . والمقصود ان هؤلاء المعظمين للقبور والمتخذينها أعيادا الموقدين السرج الذي يبنون عليها المساجد والقباب مناقضون لما أمر به رسول الله ﷺ محادون لما جاء به ، وأعظم ذلك اتخاذها مساجد وايقاد السرج عليها وهو من الكبائر ، وقد صرح الفقهاء من أصحاب أحمد وغيرهم بتحريمه ، قال : أبو محمد القدسي : ولو أبيح اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله ولان فيه تضييعاً للمال في غير فائدة وافراطا في تعظيم القبور أشبه تعظيم الاصنام ، قال ، ولا يجوز اتخاذ المساجد على القبور لهذا الخبر ولأن النبي ﷺ قال « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا » متفق عليه ولأن تخصيص القبور عندها يشبه تعظيم الاصنام بالسجود لها والتقرب اليها ، وقد روينا أن ابتداء عبادة الاصنام تعظيم الاموات باتخاذ صورهم والتمسح بها والصلاة عندها ، انتهى . وذكر كلاما طويلا وقال في الاقناع وشرحه من كتب الحنابلة : ويكره البناء عليه أي القبر سواء لاصق البناء الارض أولا ولو في ملكه من قبة أو غيرها للنهي عن ذلك لحديث جابر قال : نهى رسول الله ﷺ « ان يجصص القبر وان يبني عليه وان يقعد عليه » رواه مسلم والترمذي وزاد : وان يكتب عليه وقال حسن صحيح ، وقال بن القيم في كتابه اغاثة اللهفان في مكائد الشيطان يجب هدم القباب التي على القبور لأنها أسست في معصية الرسول ، انتهى . وهو أي البناء في المقبرة المسبلة أشد كراهة ، لأنه تضيق بلا فائدة واستعمال للمسبلة فيما لم توضع له ، وعنه منع البناء في وقف عام وفاقا للشافعي وغيره ، وقال رأيت الائمة بمكة يأمرون

يهدم ما يبنى .وما ذكره المصنف هو معنى كلام ابن تميم ، قال في الفروع فظاهر ما ذكره ابن تميم ان الاشهر لا يمنع وليس كذلك ، فان المنقول في هذا ما سأله أبو طالب عمن اتخذ حجرة في المقبرة قال لا يدفن فيها والمراد لا يختص به وهو كغيره وجزم بن الجوزي بأنه يحرم حفر قبر في مسبلة قبل الحاجة فهاهنا أولى ، قال الشيخ : من بني ما يختص به فيها فهو غاصب وهذا مذهب الائمة الاربعة وغيرهم ، وقال أبو المعالي : فيه تضييق على المسلمين وفيه في ملكه اسراف واضاعة مال وكل منهي عنه قال أبو حفص تحرم الحجرة بل تهدم وهو أي القول بتحريم البناء في المسبلة الصواب لما يأتي في الوقف أنه يجب صرفه للجهة التي عينها الواقف الى ان قال : ويحرم اسراجها أي القبور ، لقوله ﷺ « لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج» رواه أبو داود والنسائي بمعناه ، ولو أبيح لم يلعن النبي ﷺ من فعله ولان في ذلك تضييعاً للمال من غير فائدة ومغالاة في تعظيم الاموات يشبه تعظيم الاصنام ، ويحرم اتخاذ المساجد عليها أي القبور وبينها لحديث أبي هريرة ان النبي ﷺ قال « لعن الله اليهود والنصاري اتخذو قبور أنبيائهم مساجد » متفق عليه وتتعين ازالتها أي المساجد اذا وضعت على القبور أو بينها ، وفي كتاب الهدى النبوى لابن قيم الجوزية لو وضع المسجد والقبر معاً لم يجز ولم يصح الوقف ولا الصلاة تغليبا لجانب الحظر ، انتهى . وكلام العلماء في هذا المعنى اكثر من أن يحصر ، فاذا تبين لك ما ذكرناه فأين الاجماع السكوتي من عصور ودهور صالحة لو كان أهل الشرك يعلمون ؟ .

وأما قوله : قال تلميذ ابن تيمية الامام ابن مفلح الحنبلي في الفصول : القبة والحضيرة في التربة ان كان في ملكه فعل ما يشاء وان كان في مسبلة كره التضييق بلا فائدة ، ويكون استعمالا في المسبلة فيما لم توضع له ، انتهى كلام ابن مفلح .

فالجواب من وجوه : أحدها أن شيخ الاسلام ابن تيمية شيخه وابن القيم

كذلك شيخه وهما اعلم منه واعرف بمذهب الحنابلة وبمذهب الامام احمد وقدم كلامهما قريبا وهو لا يخالفهما قطعا .

الوجه الثاني : انه قد صحت الاخبار عن رسول ﷺ بهدمها والنهي عن البناء عليها واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل .

الوجه الثالث : انا نطالبه بصحة هذا النقل فانه غير مأمون وقد تصرف فيه وحرف بلا شك فلا يلتفت الى نقله ولا يعول عليه ، وكذلك قوله قال ابن القيم الحنبلي ما اعلم تحت اديم السماء أعلم في الفقه من مذهب احمد من ابن مفلح فأقول هذا لا يوجب ان نترك ما صح عن نبينا ونأخذ بقوله مع مخالفته لما قاله سادات الحنابلة ، ونحن لا نشك في امامة ابن مفلح ومعرفته وفقهه ، وشيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم هما اعلم بمذهب احمد وافقه منه ، وقول الحداد قوله في المسبلة بلا فائدة ، اشارة الى أنّ المقبور غير عالم وولي واما هما فيندب قصدهما للزيارة كالانبياء عليهم السلام وينتفع الزائر بذلك من الحر والبرد والمطر والريح والله اعلم لان للوسائل حكم المقاصد .

فالجواب ان نقول حاشا لله ومعاذا لله ان يكون هـــذا قصده وكلامه أو ان يكون هذا الغلو اشارته ومرامه فان تقواه لله ودينه وورعه أجل وأعظم من ان يكون من جملة اعداء الله ورسوله فيمنعه ذلك من الدخول في حوزة من حاد الله ورسوله وسلوك طريقهم ، بل طريقته وديانته على منهج شيخه شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم رحمة الله عليهما ، وابن مفلح رحمه الله ممن يوجب هدم القباب ويحرم الزيارة الشركية ويغلظ في ذلك كامثاله من أهل العلم ولكن هؤلاء الملاحدة قوم بهت ويحاولون ان يتدرج أئمة الاسلام في جملة عباد القبور وأهل البدع ويأبي الله ذلك والله ناصر دينه ورسوله وعباده المؤمنين وجاعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا .

وأما قوله :قال ابن حجر في التحفة في كتاب الوصايا : ويظهر اخذا مما مر ومما قالوه في النذر للقبر المعروف بخرجان صحتها كالوقف لضريح الشيخ الفلاني

ويصرف في مصالح قبره والبناء الجائز عليه ومن يخدمونه أو يقرؤون عليه .
فاقول : ان صح هذا القول عن قائله فهو مصادم لقول رسول الله ﷺ ونهيه عن البناء على القبور وما كان هذا سبيله فقوله مطرح لا يعول عليه ولا يلتفت اليه ، وأما النذر فانه من خصائص الآلهية فمن نذر لغــير الله فهو مشرك .
وأما القراءة فقال ابن القيم رحمه الله بعد كلام له قال : وذاكرت مرة بهذا المعنى بعض القضاة فاعترف به وقال لكن بقي شيء آخر وهو ان الواقف قد يكون قصد انتفاعه بسماع القرآن على قبره ووصول بركة ذلك اليه ، فقلت له : انتفاعه بسماع القرآن مشروط بحياته فلما مات انقطع عمله كله واستماع القرآن من أفضل الاعمال الصالحة وقد انقطع بموته ولو كان ذلك ممكنا لكان السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أولى بهذا الحظ العظيم لمسارعتهم الى الخير وحرصهم عليه . ولو كان خيرا لسبقونا اليه فالذي لا شك فيه انه لايجب حضور التربة ولا تتعين القراءة عند القبر انتهى . وأما من يخدم القبر فلا شك انهم من جنس سدنة اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ولهم الحظ الوافر من عبادتها والعكوف عليها وتعظيمها فأعانتهم على ذلك من الاعانة على الكفر بالله نعوذ بالله من ذلك . وكذلك ما ذكر عن ابن حجر المكي مخالف لما ثبت في الاحاديث الصحيحة فلاحجة فيه وليس هو من الائمة المقتدي بهم في أصول الدين وفروعه ، واذا ثبت مخالفته للسنة الثابتة الصحيحة فلا يكون قربة بل يكون بدعة وضلالة ومعصية . وكذلك ما ذكره أيضاً عن ابن حجر بجواز تحويط البناء كبيت أو قبة اذا كان على غير عالم أو نحوه اذا كان البناء في ملكه ومنعه في المسبلة على العالم ونحوه وما ذكره من رد الحلبي المحشي على المنهج من استثناء قبور الانبياء عليهم السلام والصحابة رضي الله عنهم والعلماء والاولياء فلا تحرم عمارتها أي في المسلبة الى آخر كلامه وهذا كله مما يخالف ما ثبت عن الرسول سواء كان على نبي أو عالم أو ولي أو صالح أوطالح أوغير ذلك ثم قال : وأما القبة على غير نحو عالم وولي فيحل كما في الاقناع للحنابلة

عن سيدنا عمر لما رآها قال : نحوها عنه وخلوا بينه وبين عمله يظله ، أي لانه لايقصد للزيارة بخلاف النبي والعالم الى آخر كلامه .

فالجواب ان يقال قد تقدم كلام الحنابلة وانه لا يحل البناء على القبور سواء كان عالما أو غير عالم والاثر المروي عن عمر رضي الله عنه دليل على المنع لانه قال : نحوها عنه وخلوا بينه وبين عمله يظله . اشارة الى انه لايظله الاعمله ، فان لم يكن له عمل صالح لم يظله ما جعلتم عليه من الظلال . وأما تأويل هذا الملحد لقول عمر فهو من ابطل الباطل وامحل المحال وحاشا لله ان يكون اصحاب رسول الله ﷺ بهذه المثابة ، وكيف يكون ذلك؟ وقد قطع الشجرة التي بويع تحتها رسول الله ﷺ يوم الحديبية لما رآهم ينتابونها للصلاة عندها ، وقال « انما هلك من كان قبلكم بتتبع اثار انبيائهم » فكيف يظن به انه انما نهى عن تظليل صاحب القبر لانه ليس نبيا وعالما فلا يقصد للزيارة وانما يقصد للزيارة الانبياء والعلماء ؟ وهذا من امحل المحال وابطل الابطال ومن القول على الله وعلى رسوله واولي العلم من خلقه بغير علم وهذا غير مستنكر من كذبهم على العلماء بالتأويلات الباطلة والله اعلم . وقد أمر رضي الله باعماء قبر دانيال لما وجده الصحابة رضي الله عنهم بتستر فحفروا بالنهار ثلاثة عشر قبرا ودفنوه ليلا في احدها لئلا يعرفه الناس فينتابونه للزيارة والاستسقاء به ودعائه أو الدعاء عنده .

وأما مانقله عن ابن حجر بقوله : وأما المحرمات فلم يعهد في زمن من الازمنة اطباق جميع الناس خاصتهم وعامتهم عليها وهذه الامة معصومة من الاجتماع على ضلالة واذا عصمت من ذلك كان اطباقهم جميعاً خاصتهم وعامتهم على امر حجة على جوازه في أي زمن كان سواء الازمنة الأولى أم المتأخرة . فأقول : نعم لم يعهد في زمن من الازمنة اطباق جميع الناس خاصتهم وعامتهم على جواز البناء على القبور واتخاذها مساجد واسراجها وخدمتها وسدانتها والعكوف عندها بل كان أهل العلم بالله وبدينه في كل زمان ومكان ينهون

عن البناء عليها وعن اسراجها والعكوف عندها وعن شد الرحال اليها للزيارة ، ولم تخل الارض ولله الحمد والمنة من قائم لله بحججه وبيناته ولم يجتمع على وضع القباب على القبور وسدانتها والعكوف عليها وشد الرحال اليها بالزيارة البدعية الاعباد القبور . وأما أهل الايمان بالله واتباع رسوله المعتصمون بسنته فهم براء الى الله مما عليه أهل الشرك وأهل البدع ولله الحمد والمنة ، واذا ثبت هذا فاجماع عباد القبور على البناء على القبور ورفع القباب عليهـــا وسدانتها والعكوف عندها لا يكون دليلا ولا حجة على عدم تحريم ذلك وكيف لا يكون محرما وقد لعن رسول الله ﷺ فاعله وبعث علي بن أبي طالب ان لا يدع قبرا مشرفا إلا سواه ولا تمثالا إلا طمسه كما تقدم بيانه ؟ .

وأما قوله : فاذا تقرر لك كلام العلماء عرفت ضلال النجدي وبهتانه العظيم بافتائه بالكفر وبهدمه لقببهم ونبش قبورهم واهانتهم ، فأقول : قد تقرر عندنا وعند كل مؤمن بالله ورسوله مخالفة من ذكرت من العلماء لاحاديث رسول الله ﷺ الصحيحة الصريحة الثابتة ولاهل العلم المتمسكين بسنة رسول الله وبأئمة السلف من الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين المهتدين ، وتحقق عندنا صحة ما قاله الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وانه الحق والصواب الموافق لصريح السنة والكتاب ، وتبين لنا ضلال من خالفه ، وأما دعواه ان الشيخ يكفر فما كفر إلا من كفره الله ورسوله بعبادة غير الله ، وأما هدم القباب فنعم وقد تبع في ذلك أئمة الاسلام من سادات الحنابلة وغيرهم من العلماء قال الامام محمد بن ادريس الشافعي في الام : رأيت الائمة بمكة يأمرون بهدم مايبني انتهى . اذ بناء القباب انما أحدثه الرافضة فهم سلف الحداد واشباهه من عباد القبور ، وأما نبش القبور واهانة أهلها فمن الكذب والبهتان والزور والعدوان .

فصل

قال الملحد وقد حج بعض العلماء اتباعه ممن يدعي بعلمه وهم أولاد محمد ابن عبد الوهاب ومن نحا نحوهم مادليل تكفير الشيخ بالتكفير لاهل البلد بالكفر لاجل القبة قالوا : لانهم لم يزيلوها وراضون بها قال لهم : ليس بهذا يكفرون على تقدير انها بدعة فقد يقدر البعض دون البعض ويلزمكم الحكم في المنكرات كلها لا في القبة خاصة وأحد يقدر على الازالة ، وقد يمكن ان احدا رضي ولا رضى غيره لأن أفعال الناس من لدن النبي ﷺ الى اليوم مانقول بكفر قرية وبلد لحكم عمل به البعض دون البعض نكفر الكل فقالوا لا بد للشيخ من دليل وحجة والا لما قال بالتكفير عموما فقال ما هذا بكلام اذ حجوكم بحجة عن الحنفي أو المالكي أو الشافعي والحنبلي اظهروا لكم دليلا منهم لذلك ما يقولون للحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي من دليل فقال له بعضهم حجتنا على أقوالنا السيف لاغير فقال صدقت لا حجة إلا البغي والعناد.

فالجواب ان نقول : هذه الحكاية لا أصل لها وهذه محاجة من لا علم لديه ولا معرفة وأولاد الشيخ رحمه الله من أجلة العلماء وعندهم من الحجج والبينات العقلية والنقلية ما لا تقدرون على جوابها أنتم ولا سلفكم الماضون فكيف بهذه الحكاية السامجة المارجة التي هي اللائقة بعلومكم وفهومكم ، وقد اجتمع أولاد الشيخ بعلماء مكة المشرفة وأحضروهم للمناظرة فادحضوا حججهم بالكتاب والسنة وأقوال سلف الامة وأئمتها ، وأقر لهم علماء مكة ، وكذلك لما احضرهم الشيخ حمد بن ناصر بن معمر للمناظرة لما طلب الشريف من الشيخ محمد رحمه الله أن يبعث برجل من تلامذة الشيخ للمناظرة فادحض حجتهم وبين ضلالتهم وصنف في المناظرة الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب ، والعالم المنصف اذا نظر فيها علم أن الله سبحانه قد أقامهم حجة على خلقه بحسن ما أفاد فيها وأجاد واستدل به من السنة والكتاب وبأقوال العلماء الانجاب .

وأما قول هذا الملحد : واما نص النجدى بمنع النذر مطلقاً للأكابر ، ممن افترائه على كتب الشريعة وجهله المركب كيف وقد نص العلماء ؟ كشيخ الاسلام زكريا وتلامذته ابن حجر في التحفة والرملي في النهاية وجملة من العلماء بصحة النذر للمشائخ اذا لم ير التمليك لهم وقالوا يصرف في اسراج على قبره في قبته لنفع الزائر بذلك وغير ذلك مما اعتيد من اطعام الزائر فانظر ذلك في كتابنا « السيف الباتر » الى آخر كلامه .

فالجواب أن نقول : قد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال « لعن الله زائرات زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » فالصارفون مانذره الناذرون لغير الله من المشائخ لا يقاد السرج على القبر في القبة لنفع الزائر داخلون في لعنة رسول الله ﷺ هذا قول رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى ان هو إلا وحى يوحى ، وأما كلام العلماء ، فقال ابن القيم رحمه الله تعالى في الاعلام : ومن ذلك اشتراط ايقاد سراج أوقنديل على القبر فلا يحل للواقف شرط ذلك ولا للحاكم تنفيــذه ولا للمفتي تسويغه ولا للموقوف عليه فعله والتزامه ، فقد لعن رسول الله ﷺ المتخذين السرج على القبور فكيف يحل للمسلم أن يلزم أو يسوغ فعل مالعن رسول الله ﷺ فاعله وحضرت بعض قضاة الاسلام يوما وقد جاءه كتاب وقف على تربة ليثبته وفيه وان يوقد على القبر كل ليلة قنديلا ، فقلت كيف يحل لك أن تثبت هذا الكتاب وتحكم بصحته مع علمك بلعنة رسول الله ﷺ المتخذين السرج على القبور ، فامسك عن اثباته . وقال الامر كما قلت أو كما قال . وقال الرافعي في شرح المنهاج وأما النذر للمشاهد التي على قبر ولي أو شيخ أو على اسم من حلها من الأولياء أو تردد في تلك البقعة من الاولياء والصالحين ، فان قصد الناذر بذلك وهو الغالب أو الواقع من قصود العامة تعظيم البقعة والمشهد أو الزاوية أو تعظيم من دفن بها أو نسبت اليه أو بنيت على اسمه ، فهـذا النذر باطل غير منعقد فان معتقدهم ان لهذه الاماكن خصوصيات ويرون أنها مما يدفع بها البلاء ويستجلب بها النعماء ويستشفى بالنذور لها من الادواء حتى انهم ينذرون

لبعض الاحجار لما قيل لهم انه استند اليها عبد صالح وينذرون لبعض القبور السرج والشموع والزيت ويقولون القبر الفلاني أو المكان الفلاني يقبل النذر يعنون بذلك انه يحصل به الغرض المأمول من شفاء مريض أو قدوم غائب أو سلامة مال وغير ذلك من أنواع نذر المجازات فهذا النذر على هذا الوجه باطل لا شك فيه بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطل مطلقا ، ومن ذلك نذر الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر الخليل عليه السلام ولقبر غيره من الانبياء والاولياء ، فان الناذر لا يقصد بذلك الايقاد على القبر إلا تبركا وتعظيما ظانا أن ذلك قربة فهذا مما لا ريب في بطلانه والايقاد المذكور محرم سواء انتفع به هناك منتفع ام لا ، وقال الشيخ قاسم الحنفي رحمه الله في شرح درر البحار : النذر الذي ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد كأن يكون للانسان غائب أومريض أو له حاجة فيأتي الى بعض الصلحاء ويجعل على رأسه سترة ويقول يا سيدي فلان ان رد الله غائبي أو عوفي مريضي او قضيت حاجتي فلك من الذهب كذا أو من الفضة كذا أو من الطعام كذا أو من الماء كذا أو من الشمع والزيت كذا ، فهذا النذر باطل بالاجماع لوجوه منها : أنه نذر لمخلوق والنذر للمخلوق لا يجوز لانه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق ، ومنها : ان المنذور له ميت والميت لا يملك ، ومنها انه ظن ان الميت يتصرف في الامور دون الله واعتقاد ذلك كفر الى أن قال : اذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرهما وينقل الى ضرائح الاولياء تقربا اليها فحرام بأجماع المسلمين نقله عنه بن نجيم في البحر الرائق ، ونقله المرشدي في تذكرته وغيرهما عنه وزاد قد ابتلى الناس بهذا لا سيما في مولد البدوي ، وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي في الرد على من أجاز الذبح والنذر للأولياء : فهذا النذر والذبح ان كان على اسم فلان فهو لغير الله فيكون باطلا ، وفي التنزيل ولا تأكلوا مما لم تذكر اسم الله عليه (قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له) والنذر لغير الله اشراك مع الله كالذبح لغيره ،

انتهى . واما كلام الحنابلة فأكثر من ذلك وأكبر ، واما ماذكره عن الشيخ زكريا وابن حجر والرملي فهؤلاء ليسوا ممن يعتد بهم ولا بكلامهم وخلافهم بل الظاهر أنهم من الغلاة المعظمين للقبور فلا معول على كلامهم .

واما قوله : ومن زلّ به القدم حلّ به الندم . فأقول : نعم والله زل بك القدم وحل بك الندم وأحاطت بك العقوبات والنقم وقد اتبعت غير سبيل المؤمنين قال تعالى (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) ثم ذكر حديثاً في الوعيد لمن كتم العلم وذكر الآيات في ذلك وانه لو ما ورد في ذلك لما جمع هذه الفصول في هذه الرسالة وبئس ما جمعه فيها من الضلالة وألّف فيها من الجهالة لأنها مشتملة على جواز دعاء غير الله والاستغاثة به وصرف خالص حق الله للأولياء والانبياء والصالحين وعلى دعوة الخلق الى الشرك بالله وثلب علماء المسلمين وتكفيرهم بالدعوة الى دين الله ورسوله وبيان الحق بحجج الله وبيناته وزعم أنه قد حرر من كلام العلماء الأعلام ما لعل من وقف على ذلك من المسلمين عرف الصواب والحق وظهر له الحجة والمحجة وسلك طريق الهدى ولم يخف عليه الردى .

وكل يدعي وصلا لليلى ... وليلى لا تقر لهم بذاكا

ومعاذا لله ان يكون بهذه المثابة أو أن يكون عرف الحق والهدى واصابه أو أظهر الحجة لأهل الاصابة فمن وقف على كلامه ونظر بعين البصيرة في مرامه علم يقيناً أنه ممن افترى على كتب الشريعة وممن اقترح المنكرات الشنيعة والموضوعات المختلفة الوضيعة والترهات والخرافات الفضيعة كما ذكرناه فيما مضى وفيما يأتي من اقواله الواهية السامجة وخزعبلاته المتهافتة المارجة .

فصل

قال الحضرمي : خاتمة في زيارة الاولياء واستحباب الرحلة اليها وفوائدها وما يقع في الزيارة مع الاجتماع من المنكرات كاختلاط النساء بالرجال وفي قراءة القرآن واهــــداء ثوابه لهم وفي الصدقة كذلك وفي انشاد الشعر وفي مشاهد الاولياء وليس فيها قبورهم وهي فائدة عظيمة تسوى رحلة قال الامام الغزالي في الاحياء في الباب السابع من ربع العبادات وهو كتاب أسرار الحج ، قال ﷺ « لا تشد الرحـــال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى » وقد ذهب بعض العلماء الى الاستدلال بهذا الحديث في المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصلحاء وما تبين لي أن الأمر كذلك بل الزيارة مأمور بها قال ﷺ « كنت نهيتــكم عن زيارة القبور فزوروها » والحديث إنما ورد في المساجد وليس في معناه المشاهد لأن المساجد بعد المساجد الثلاثة متماثلة فلا بلدة الا وفيها مسجد فلامعنى الى الرحلة الى مسجد آخر وأما المشاهد فلاتتساوى ، فان بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله ، نعم لو كان في موضع لا مسجد له فله الرحلة الى موضع فيه مسجد وينتقل اليه بالكلية ان شاء ثم ليت شعري هل يمنع هذا القائل ? من شد الرحال الى قبور الانبياء مثل ابراهيم وموسى ويحيى وغيرهم فالمنع من ذلك في غاية الاحالة واذا جوز ذلك فقبور العلماء والاولياء والصلحاء في معناها فلا يبعد ان يكون ذلك من اغراض الرحلة كما في زيارة العلماء في الحياة من المقاصد هذا في الرحلة انتهى .

والجواب ان نقول : قد كان من المعلوم ان الغزالي قد سلك في الاحياء طريق الفلاسفة والمتكلمين في كثير من مباحث الألهيـــات وأصول الدين وكسا الفلسفة لحاء الشريعة حتى ظنها الاغمار والجهال بالحقائق من دين الله الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب ودخل به الناس في الاسلام وهي في الحقيقة

محض فلسفة منتنة يعرفها أولو الابصار ويمجها من سلك سبيل أهل العلم كافة في القرى والامصار قد حذر أهل العلم والبصيرة عن النظر فيها ومطالعة خافيها وباديها بل أفتى بتحريفها علماء المغرب ممن عرف بالسنة وسماها كثير منهم اماتة علوم الدين ، وقام ابن عقيل اعظم قيام في الذم والتشنيع وزيف ما فيه من التمويه والترقيع وجزم بان كثيراً من مباحثه زندقة خالصة لا يقبل لصاحبها صرف ولا عدل ، واما كون بعض العلماء ذهب الى الاستدلال بهذا الحديث فنعم قد ذهب بعض العلماء الى الاستدلال بهذا الحديث في المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصلحاء ومستندهم الكتاب والسنة واجماع سلف الامة وأئمتها وليس مع من خالفهم حجة يجب المصير اليها .

واما قوله : ولم يتبين لي ان الامر كذلك فنقول نعم لم يتبين له ذلك لانه لم يكن له معرفة بالحديث ورجاله والفقه فيه ومعرفة معانيه وانما كان تبحره وعلمه في الكلام ولذلك ادخله فيما لا مخلص منه ودخل به في علوم الفلسفة كما قال تلميذه ابن العربي المالكي شيخنا ابو حامد دخل في جوف الفلسفة ثم اراد الخروج فلم يحسن قال الامام الحافظ ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الهادي في الصارم المنكي في الرد على السبكي في اثناء كلام له ولكن هذا الموضع مما يُشْكِلُ على كثير من الناس فينبغي لمن اراد أن يعرف دين الاسلام ان يتأمل النصوص النبوية ويعرف ما كان يفعله الصحابة والتابعون وما قاله أئمة المسلمين ليعرف المجمع عليه من المتنازع فيه فان الزيارة فيها مسائل متعددة متنازع فيها ولكن لم يتنازعوا فيما علمت في استحباب السفر الى مسجده واستحباب الصلاة والسلام عليه فيه ونحو ذلك مما شرعه الله في مسجده ولم تتنازع الأئمة الاربعة والجمهور في أن السفر الى غير الثلاثة ليس بمستحب لا لقبور الانبياء والصالحين ولا غير ذلك في ان قول النبي ﷺ «لا تشد الرحال» حديث متفق على صحته وعلى العمل به عند الأئمة المشهورين وعلى ان السفر الى زيارة القبور داخل فيه فإما ان يكون نهياً وإما ان يكون نفياً للاستحباب وقد جاء في الصحيح

بصيغة النهي صريحا فتعين انه نهى فهذان طرفان لا أعلم فيهما نزاعا بين الائمة الاربعة، والجمهور والأئمة الاربعة وسائر العلماء لا يوجبون الوفاء على من نذر ان يسافر الى أثر نبي من الانبياء قبورهم اوغير قبورهم وما علمت احدا أوجبه غير ابن حزم الى ان قال : ولهذا فهم الصحابة من نهيه ان يسافر الى غير المساجد الثلاثة ان السفر الى طور سيناء داخل في النهي وان لم يكن مسجداً كما جاء في بصرة بن أبي بصرة وابي سعيد وابن عمر وغيرهم وحديث بصرة معروف في السنن والموطأ قال لأبي هريرة وقد اقبل من الطور لو ادركتك قبل ان تخرج اليه لما خرجت سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا تعمل المطي الا الى ثلاثة مساجد : مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى » واما ابن عمر فروى ابو زيد عمر بن شبة النمري في كتاب اخبار المدينة حدثنا ابن ابي الوزير حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن طلق عن قزعة قال : اتيت ابن عمر فقلت إني أريد الطور فقال انما تشد الرحال الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد المدينة والمسجد الاقصى فدع عنك الطور فلا تأته رواه احمد بن حنبل في مسنده ، وهذا النهي عن بصرة بن ابي بصرة وابن عمر ثم موافقة ابي هريرة يدل على انهم فهموا من حديث النبي ﷺ النهي فلذلك نهوا عنه ولم يحملوه على مجرد نفي الفضيلة وكذلك ابو سعيد الخدري وهو راويه ايضا وحديثه في الصحيحين فروى ابو زيد حدثنا هشام بن عبد الملك حدثنا عبد الحميد بن بهرام حدثنا شهر بن حوشب قال سمعت ابا سعيد وذكر عنده الصلاة في الطور فقال : قال رسول الله ﷺ « لا ينبغي للمطي ان تشد رحالها الا الى مسجد يبتغي فيه الصلاة غير لمسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى » فابو سعيد جعل الطور مما نهى عن شد الرحال اليه مع ان اللفظ الذي ذكره انما فيه النهي عن شدها الى المساجد فدل على انه علم ان المشاهد اولى بالنهي ، والطور انما يسافر من يسافر اليه لفضيلة البقعة وأن الله سماه الوادي المقدس فانه ليس هناك قرية للمسلمين وان كان هناك مسجد ، فاذا نهى الصحابة عن السفر الى تلك

البقعة وفيها مسجد فاذا لم يكن فيها مسجد كان النهي عنها أقوى وهذا ظاهر لا يخفى على احدنا فالصحابة الذين سمعوا الحديث من النبي ﷺ فهموا منه النهي وفهموا منه تناوله لغير المساجد وهم أعلم بما سمعوه وبسط هذا له موضع آخر والمقصود هنا ذكر ما تنازع فيه الأئمة المشهورون أو غيرهم وما لم يتنازعوا فيه فان بين الطرفين الذين لم يتنازع فيهما الائمة مسائل متعـــددة فيها نزاع ، ولكن طائفة من المتأخرين يستحبون السفر الى زيارة قبور الانبياء والصالحين ويفعلون ذلك ويعظمونه لكن في هؤلاء احد من المجتهدين الذين تحكى اقوالهم وتجعل خلافا على ماقبلهم من أئمة المسلمين هذا مما يجب النظر فيه والله اعلم انتهى.

وأما قوله : بل الزيارة مأمور بهـا قال ﷺ « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » .

فأقول : نعم هـذا حق ولا مانع من زيارة القبور الزيارة الشرعية فأما شد الرحـل فممنوع لمـا تقدم من الاحاديث ونهى الصحابة رضى الله عنهم عن السفر الى الطور وكذلك الائمـــة الاربعة والجمهور لم يتنازعوا في أن السفر الى غير المساجد الثلاثة ليس بمستحب لا لقبور الانبياء والصالحين ولا لغير ذلك فان قول النبي ﷺ « لا تشد الرحال » حديث متفق على صحته وعلى العمل به عند الائمة المشهورين ، وعلى ان السفر الى زيارة القبور داخل فيه ، فاذا كان هذا قول الائمـة الاربعة وجمهور العلمـاء فلا عبرة بمن خالفهم ممن لا يدانيهم في الفضل والعلم والمعرفة حيث لم يتبين له ذلك ، فقد تبين ذلك للصحابة رضي الله عنهم وللائمة الاربعة وغيرهم من العلماء .

وأما قوله : والحديث انمـا ورد في المساجد ، وليس معناه المشاهد لأن المساجد بعد المساجد الثلاثة متماثلة إلى آخره .

فأقول جوابه من وجوه (الاول) أن الصحابة الذين هم الاسوة وبهم القدوة فهموا من الحديث تناوله لغير المساجد وهم اعلم بمـا سمعوه ولذلك نهوا عنه فنقول لمن خالفهم أنتم أهدى أم صحابة أحمد وأهل الحجي هيهات ما الشوك

كالورد . (الوجه الثاني) ان الله تعالى أمر بعمارة المساجد ولم يذكر المشاهد وعباد القبور بدلوا دين الله فعمروا المشاهد وعطلوا المساجد مضاهاة للمشركين ومخالفة للمؤمنين قال تعالى (قل أمر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد) لم يقل عند كل مشهد وقال (ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر) إلى قوله (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآت الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك ان يكونوا من المهتدين) ولم يقل مشاهد الله بل عمار المشاهد يخشون بها غير الله ويرجون غير الله وقال تعالى (وان المساجد لله فلا تدعو مع الله أحد) ولم يقل وان المشاهد لله وقال (ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً) ولم يقل ومشاهد وقال (في بيوت اذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) الآية وأيضاً فقد علم بالنقل المتواتر وبالاضطرار من دين الاسلام ان الرسول ﷺ شرع لامته عمارة المساجد بالصلاة والاجتماع للصلوات الخمس والعيدين وغير ذلك وانه لم يشرع لامته أن يبنوا على قبر نبي ولا رجل صالح لا من أهل البيت ولا غيره مسجداً ولا مشهدا ولم يكن على عهده ﷺ في الاسلام مشهد مبني لا على قبر نبي ولا غيره لا على قبر ابراهيم الخليل ولا غيره ، بل لما قدم المسلمون الى الشام غير مرة ومعهم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وغيرهم لما قدم عمر لفتح بيت المقدس لم يكن أحد منهم يقصد السفر الى قبر الخليل ولا كان هناك مشهد ، بل كان هناك البناء المبني على المنارة وكان مدّورا بلا باب له مثل حجرة النبي ﷺ ثم لم يزل الامر هكذا في خلافة بنى أمية وبني العباس الى أن ملك النصارى تلك البلاد في أواخر المائة الخامسة فبنوا ذلك البناء واتخذوه كنيسة ونقبوا باب البناء ، فلهذا تجد الباب منقوبا لا مبنيا ثم لما استنقذ المسلمون منهم تلك الارض اتخذها من اتخذها مسجدا بل كان الصحابة اذا رأوا أحداً بني مسجدا على قبر نهوه عن ذلك ، وكان عمر رضي الله عنه اذا رآهم ينتابون مكانا يصلون فيه لكونه موضع نبي ينهاهم عن ذلك ويقول انما هلك من كان قبلكم باتخاذ آثار أنبيائهم مساجد من ادركته

الصلاة فليصل والا فليذهب ، فهذا وامثاله مما كانوا يحققون به التوحيد الذي أوسل الله به الرسول اليهم ويتبعون في ذلك سنته ﷺ ، والاسـلام مبني على أصلين أن لا نعبد إلا الله وان نعبده بما شرع . لا نعبده بالبدع ، انتهى من كلام شيخ الاسلام رحمه الله تعالى في المنهاج .

(الوجه الثالث) انه ليس العلة في النهي عن شد الرحال الى غير المساجد الثلاثة كونها متماثلة وان غير المساجد كالمشاهد المحدثة المبتدعة في الاسلام غير متماثلة فيجوز شد الرحل اليها ، بل النهي عام في المساجد والمشاهد بل تعظيم المشاهد يناقض تعظيم المساجد وتعظيمها هو أول مبادىء الشرك كما هو معلوم مشهور ، فالقياس فاسد والاعتبار كاسد .

وأما قوله : ثم ليت شعري هل يمنع هذا القائل من شد الرحال الى قبور الانبياء مثل ابراهيم وموسى ويحيي وغيرهم ؟

فأقول : جوابه ما تقدم من كلام شيخ الاسلام آنفا وبه الكفاية ، ومن تأمل كلام شيخ الاسلام ابن تيمية تبين له أن الغزالي لم يكن له معرفة بمعاني كلام الله وكلام رسوله وما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم فأنهم كانوا أسبق الناس الى كل خير وفضيلة فلو كان في زيارة المشاهد فضل أو كان مندوبا اليه لكانوا إليه أسبق من الخلوف الذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون والله المستعان .

وأما قوله : فالمنع من ذلك في غاية الاحالة إلى آخره .

فأقول : إنما يقول هذا من لا معرفة لديه بأحاديث رسول الله ﷺ وبما قاله الصحابة والائمة الاربعة وجمهور العلماء ، فلذلك صار هذا عنده في غاية الاحالة وذلك لجهله وعدم إدراكه للعلوم الشرعية ، وافسد من هذا قياسه زيارة قبور الصالحين والعلماء والاوليـــاء على زيارتهم في الحياة وما يستوى الاحياء ولا الاموات ، بل هذا من أفسد القياس وأبطل الباطل .

واما قوله : واما ما يقع من المنكرات إذا قدرنا وقوع اختلاط النساء

بالرجال فنحتاج إلى ان ننكر المنكر من حيث هو، ولا نترك الامر الكلي للامر الجزئي ، قال بن المقري في الارشاد في باب الجهاد : وجاز رمي نساء تترس بهن الرجال ، وقد حضر الحسن البصري وابن سيرين رحمهما الله في بعض الجنائز وكان فيهما لغط فأراد ابن سيرين أن يرجع ، فقال الحسن له لو كلما رأينا بدعة تركنا سنة لقد تركنا سنناً كثيرة الى آخر ما ذكر .

فالجواب أن نقول : شد الرحال الى زيارة القبور بدعة وما يجتمع في المشاهد من الرجال والنساء ويختلون بهن من المنكرات ، ولكن الامر أشد من ذلك وأعظم فقد يقع فيها من الشرك الاكبر وعبادة أربابها مالا يحصيه إلا الله فالاستدلال بقول الحسن رحمه الله في حضور الجنازة والصلاة عليها وما يحصل هناك من اللغط أنه لا يترك فعل السنة من حضور الجنازة والصلاة عليها واتباعها لما يحصل من اللغط المنهي عنه عند حضور الجنازة على سنية السفر إلى مشاهد الانبياء والاولياء والصلحاء وشد الرحال إليها الذي هو سفر منهي عنه وبدعة في الاسلام ، وقد نهى عنه الصحابة رضي الله عنهم فقدا بعد النجعة وقاس قياساً يخالف النص الصريح والعقل الصحيح ، وكذلك اللغط المنهي عنه عند الجنازة بالمنكرات التى أعظمها الشرك بالله ودعاء الاموات والاستغاثة بهم وطلب الحاجات منهم مما لايقدر عليه إلا الله من أبطل الباطل وأفسد القياس ، وقد ذكر شيخنا رحمه الله في منهاج التأسيس في الرد على داود بن جرجيس حكاية لبعض هؤلاء الغلاة من الزائرين لهذه المشاهد ، قال : وحكي ان رجلا سأل الآخر كيف رأيت الجمع عند زيارة الشيخ الفلاني ،فقال لم أر أكثر منه إلا في جبال عرفات إلا اني لم أرهم سجدوا لله سجدة قط ولا صلوا مـــدة ثلاثة أيام ، فقال : السائل قد تحملها الشيخ ، قال بعض الافاضل : وباب تحمل الشيخ ، مصراعاه ما بين بصرى وعدن قد اتسع خرقه وتتابع فتقه ونال رشاش زقومه الزائر والمعتقد وساكن البلد ، انتهى . وذكر الحضرمي كلاماً كثيراً نحو ماذكره عن الحسن وابن سيرين عن العلماء

ثم قال الملحد: ولا تغتر بجالة من أنكر الزيارة خشية الاختلاط اي اختلاط فيتعين حمل كلامه على ما فصلناه وقررناه والا لم يكن له وجه ، وزعم أن زيارة الاولياء بدعة لأنها لم تكن في زمن السلف ممنوع وبتقدير تسليمه فليست بدعة منهي عنها ، بل قد تكون البدعة واجبة كما صرحوا به ، انتهى . الجواب لابن حجر والجواب عن هذا مجرد حكايته لظهور بطلانه وسخافة عقل مبديه وقلة حيائه وورعه سواء كان الجواب لابن حجر او اكبر منه او دونه اقوله ﷺ « لعن الله زئرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » ولقوله ﷺ « كل بدعة ضلالة » وإذا كان كل بدعة ضلالة بنص رسول الله ﷺ فأي عالم من علماء السلف اوغيرهم يمنع كونها بدعة؟ ويرد على رسول الله قوله أو يكون من البدع شيء حسن او جائز وقد سمي ذلك رسول ﷺ ضلالة ، ثم ذكر فائدة قال : كان ﷺ يزور قبا يوم السبت ولا يسن للنساء زيارة غيره ، قال بعضهم ومثله سائر الانبياء والعلماء وذكر كلاماً سوى هذا لا فائدة في الجواب عنه وقد تقدم ما يكفي ، ثم ذكر حكايات ومنامات نذكر منها بعضاً ليعرف المسلم قدر نعمة الله عليه بالاسلام والتوحيد ولا يغتر بما لفقه هؤلاء الملاحدة بما ذكروه عمن ليس من العلماء المعروفين بالعلم والدين والدراية ، وإنما هم من الغلاة والدعاة الى عبادة غير الله ، قال الحضرمي الملحد : وذكر الشيخ محمد ابن عبد الرحمن باجمال في كتابه البر الرؤف في مناقب الشيخ معروف مانصه روي الشيخ الكبير محمد بن الحسن البجلي رضي الله عنه قال : رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت يارسول الله اي الاعمال أفضل ؟ فقال : وقوفك بين يدي ولي الله تعالى كحلب شاة او كشن بيضة خير لك من ان تقطع في العبادة إربا إربا ، فقلت يا رسول الله حيا كان أو ميتا ، قال : حيا كان أو ميتا ، وذكر ذلك أيضاً سيدنا علي بن أبي بكر علوي في كتاب معارج الهداية ، وقال سيدنا الحبيب الحسن بن سيدنا الحبيب عبد الله الحداد نفع الله به امين ، قال والدي إذا أردتم ان تفعلوا شيئاً من الامور او نابكم شيء وانا ميت فاطلعوا

الي عند قبري واعلموني بذلك فاني أنفعكم حياً وميتاً ، وقال السيد العارف بالله محمد بن زين بن سميط في كتابه غاية القصد والمراد في خاتمة الباب السادس وقال رضي الله عنه الولى يكون اعتناؤه بقرابته واللائذين به بعد موته أكثر من اعتنائه بهم في حياته لأنه في حياته مشغول بالتكليف وبعد موته طرح عنه الاعباء وتجرد ، انتهى . وذكر شيئاً من هذه الخرافات ، ثم قال في الحكاية الثمانين بعد المأتين ان رجلا من أهل الحظوة وصل من باب المغرب في ستة أيام الى تريم لزيارة سيدي القطب عبد الله الحداد وامره شيخه بالمغرب لما استشاره للحج ، فقال له اخرج لزيارة القطب عبد الله الحداد بالمشرق خير لك من كذا وكذا حجة ، قال فخرجت لزيارة سيدي ، انتهى . قلت وهذا من جنس حكايات الرافضة ، قال : وقال الامام الشعراني في العهود المحمدية ، واما موالد الاولياء المكملين كالامام الشافعي والامام الليث وذى النون المصري وسيدى احمد البدوي وسيدي ابراهيم الدسوقي واضرابهم فحضورها مطلوب من حيث الامر بزيارة قبورهم ، وان حصل في بعض موالد هؤلاء بعض لهو ولعب فما يحصل إن شاء الله من مددهم وتنفيق سلع الناس يرجع على مايقع فيها من اللهو ونحو ذلك ، انتهى .

قال وذكر الشعراني في كتابه الطبقات في ترجمة الامام السيد احمد البدوى قال اردت التخلف سنة من السنين عن ميعاد حضوري للمولد الذي يقرأ عند قبره فرأيت سيدى احمد ومعه جريدة خضراء وهو يدعو الناس من سائر الاقطار والناس خلفه ويمينه وشماله امما وخلائق لا يحصون فمر علي وانا بمصر فقال : أما تذهب قلت اني وجع فقال الوجع لايمنع المحب ثم اراني خلقا كثيرا من الاولياء وغيرهم الاحياء والاموات من الشيوخ والزمنا يمشون معه ويزحفون يحضرون المولد ثم اراني جماعة من الاسرى جاءوا من بلاد الافرنج مقيدين مغلولين يزحفون على مقاعدهم ثم قال انظر الى هؤلاء في هذه الحال ولايخلفون فقوى عزمي على الحضور وقلت له انشاء الله تعالى فقال لابد من الترسيم فرسم

على سبعين عظيمين اسودين كافيال وقال لا تفارقاه حتى تحضرا به ،قلت: وهؤلاء كلهم شياطين يؤزونه الى حضوره الى مواضع الكفر والشرك بالله قال واخبرني الشيخ محمد الشناوى ان سيدى محمد السردى شيخه تخلف سنة عن الحضور فعاتبه سيدي احمد البدوي وقال موضع بحضره رسول الله ﷺ والانبياء عليهم السلام والاولياء ما تحضره فخرج الشيخ محمد الى المولد فوجد الناس واجمين وفاته إلاجتماع فكان يلمس ثيابهم ويمر بها على وجهه واخبرني أيضاً ان شيخنا انكر حضور مولده فسلب الايمان فلم تكن فيه شعرة تحن الى دين الاسلام فاستغاث بسيدي احمد فقال بشرط ان لا تعود فقال نعم فرد عليه ثوب ايمانه ثم قال له: وماذا تنكر؟ قال اختلاط الرجال بالنساء قال له سيدي ذلك واقع في الطواف ولم يمنع احد منه ثم قال وعزة الربوبية ما عصى احد في مولدى الاوتاب وحسنت توبته واذا كنت ارعي الوحوش والسمك في البحار احمعها بعضها من بعض فيعجزني الله من حماية من بحضرة مولدي ثم ذكر حكايات ومنامات اعظم من هذه واشنع واخبث مما يمج سماعه أهل الايمان بالله ورسوله وتنفر منه طباعهم وانما ذكرت قليلا مما ذكره ليعتبر المؤمن وليعرف قدر نعمة الله عليه بالاسلام وان هؤلاء الغلاة الملاحدة قد سلبت عقولهم وانتكست قلوبهم وعميت بصائر ابصارهم فهم في غمرة ساهون وفي ضـــلالتهم يعمهون وليس احد منهم يستحيي من ذكر هذه الخرافات ولا ينزجر عن تسطير هذه الموضوعات والترهات ان هم الا كالا نعام بل هم أضل سبيلا ثم ذكر كلاما في انتفاع الميت بالقراءة عنده وفي الصدقة للميت فاما القراءة عنده فقد تقدم كلام ابن القيم رحمـــه الله في النهي عن ذلك وان انتفاعه به مشروط بحياته وأما الصدقة فهو ينتفع بها ان لم يقصد بالصدقة العاكفين عند القبور من سدنتها والملازمين عندها وقد تقدم كلام العلماء في المنع من النذر لها وانه باطل وكذلك منعوا من الصدقة عليهم واعانتهم على معصية الله ورسوله ثم قال : انشاد الشعر فى المساجد وغيرها وحضران الذكر فجائز ومباح واطال الكلام

الى ان قال ومن خاتمة الفتاوى أيضا سئل عن رقص الصوفية عند تواجدهم هل له اصل؟ فاجاب بقوله نعم له أصل فقد ورد في الحديث ان جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه رقص بين يدي النبي ﷺ لما قال له اشبهت خلقى وخلقي وذلك من لذة هذا الخطاب ولم ينكر عليه ﷺ وقد صح القيام والرقص في مجلس الصحابة عن جماعة من كبار الائمة منهم عز الدين شيخ الاسلام ابن عبدالسلام . فاقول ما ذكره هذا الملحد من رقص جعفر بن ابي طالب واقرار رسول الله ﷺ وكذلك القيام والرقص في مجالس الصحابة رضي الله عنهم فمن الموضوعات المكذوبات التى لايمتري فيها عاقل فضلا عن العالم ولله در القائل .

تلي الكتاب فاطرقوا لا خيفة	لكنه اطراق ساه لا هي
وأتي الغنا فكالحميرتنا هقوا	والله ما رقصوا لاجل الله
دف ومزمار ونعمة شادن	فمتى عهدت عبادة بملاهي
ثقل الكتاب عليهمو لما رأوا	تقييده باوامر ونواهي
سمعوا له رعدا وبرقا إذ حوى	زجرا وتخويفا بفعل مناهي
ورواه اعظم قاطع للنفس عن	شهواتها ياذبحها المتناهي
واتي السماع موافقا اغراضها	فلاجل ذلك غدا عظيم الجاه
اين المساعد للهوى من قاطع	اسبابه عند الجهول الساهي
ان لم يكن خمر الجسوم فانه	خمر العقول مماثل ومضاهي
فانظر الى النشوان عند شرابه	وانظر الى النسوان عند ملاهي
وانظر الى تمزيق ذا اثوابه	من بعد تمزيق الفؤاد اللاهى
واحكم بأيّ الخمرتين بالة	حريم والتاثيم عند الله

وما احسن ماقال بعض العلماء وقد شاهد أفعالهم .

الا قل لهم قول عبد نصوح	وحق النصيحة ان تتبع
متى علم الناس في ديننا	بان الغنا سنة تتبع

وان يأكل المر أكل الحما ... ر ويرقص في الجمع حتى يقع

وقالوا سكرنا بحب الاله ... وما اسكر القوم الا القصع

كذلك البهائم ان شبعت ... يرقصها ريها والشبع

ويسكره النائي ثم الغنا ... و « يس » لو تليت ما انصدع

فيا للعقول ويا للنهى ... الا منكر منكم للبدع

تهان مساجدنا بالسماع ... وتكرم عن مثل ذلك البيع

ولي من أبيات في معارضة بداء الاماني قلت فيها :

ونبرأ من طرائق محدثات ... ملاهٍ من ملاعب ذي الضلال

بألحانٍ وتصديةٍ ورقص ... ومزمار ودف ذي اغتيال

واذكار ملفقة وشعر ... باصوات تروق لذي الخبال

فحينا كالكلاب لدي انتحال ... وحينا كالحمير أو البغال

وتلقى الشيخ فيهم مثل قرد ... يلاعبهم ويرقص في المجال

بأيّ شريعة جاءت بهذا ... فلم نسمعه في العصر الخوال

فلا والله في دين النصارى ... ولا دين اليهود اتى بجال

ولا في شرعة المعصوم هذا ... فعمن جاء يا أهل الضلال

أصحب المصطفى فعلوه اذهم ... بفضل السبق حازوا للكمال

وعمّن جاء ذلك ليت شعرى ... بمن ابداه منهم في انتحال

في دين الاله الرقص يا من ... تهوّر في المقالة بالمحال

فما في الدين من لعب ولهو ... ورقص والتلحن في المقال

باشعار مشببة بسعدى ... وهند او بربات الجمال

أهل صحت بذلك مسندات ... احاديث روين بلا اختلال

عن المعصوم بالشرع المزكى ... عن الادناس من قيل وقال

وعن لهو وعن لعب ورقص ... اتت عن ماجن اوذى خبال

وعن احداث وضاع جهول ... بدين المصطفى السامي المعالي

وزنديق يشين الدين كيلا ... يسوغ لداخل فيه بحال
فذو العقل السليم اذ رأى ذا ... ابى ان لايدين بذا المحال
فهل صحت بذلك مسندات ... بهذا الرقص عن صحب وآل
كذبتم وافتريتم واجتريتم ... فلا والله يعرف ذا بحال
واشمتم بنا الكفار لما ... غدوتم ضحكة لذوي الهزال
وقلتم ان هذا الرقص دين ... طريق السالكين لذي الجلال
وعن أهل الصفا قد جاء هذا ... نعم عن كل مبتدع وغال
وآت بالمناكر والمخازي ... ورقص كالحمير وكالزوال
فأما عن ذوي التقوى فحاشا ... فهم أهل التقى والابتهال
وأهل الابتداع وليس منهم ... لعمري ذو ابتداع في انتحال
وكان سلوكهم حقا على ما ... عليه الشرع دل من الكمال
باذكار وأوراد رووها ... عن الاثبات عن صحب وآل
وحال يشهد الشرع المزكي ... له بالاقتضى في كل حال
ومع هذا اذا ما جاء حال ... بأمر وارد لذوي الكمال
من النكت التي للقوم تروى ... وتعرض في الفنا في ذا المجال
أبوا ان يقبلوا هذاك الا ... بحكم الشاهدين بلاا اختلال
كتاب الله او نص صحيح ... صريح واضح لذي المعال
وقد قالوا ولا يغررك شخص ... الى الآفاق طار ولا يبال
ويمشي فوق ظهر الماء رهوا ... ويأتي بالخوارق بالفعال
ولم يك سالكاً في نهج من قد ... أتى بالشرع في كل الخصال
فذلك من شياطين غوات ... لمن والاهمو من كل غال
وقد كانوا رووا في الرقص نصاً ... فبعداً للغواة ذوي الضلال
رووا عن جعفر هذا وقالوا ... تلذذ بالخطاب لدى المقال
لقول المصطفى اشبهت خلقي ... وقالوا صح عن صحب وآل
فدع عنك ابتداعاً واختراعاً ... وسر في أثر اصحاب الكمال

ثم ذكر الملحد ان الاولياء يتصورون في المثال المحسوس كثيراً أحياء وأمواتا وذكر حكايات كثيرة ومنها ان بعض السياحين المكاشفين انه اتفق بقطة بسيدنا عبد القادر الجيلاني في مشهده ببلاد المغرب قال وقال : لا بد ماتجيء الى بغداد الى عند قبري فيها، واعلمني بعض الاخيار المنشدين انه اتفق برجل من أهل الكشف بالهند يعظمه الناس ولايته ظاهرة باهرة قال أمرني في مشهد سيدي محيي الدين عبد القادر أن أنشد مديح سيدي القطب عبد الله الحداد في الشيخ عبد القادر فأنشدت فدخل رجل مهاب فقام المكاشف وقبل يديه وجلس بين يديه كالعصفور فلما أتممت القصيدة قام وخرج فلما خرج قال لي المكاشف لم لاقمت لسيدي محي الدين عبد القادر لما دخل عندنا ؟ قلت له لم أعلم أنه محي الدين وهذا آخر ما أوردنا من حكاياته وخرافاته ومناماته ليعتبر بها الموحد ويسأل الله السلامة والعافية فان لكل من هؤلاء ابصاراً واسماعاً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون ، ثم أورد هذا الملحد قصيدة للملا ابي بكر عبد الرحمن بن عمر الاحسائي يهجو فيها اهل الاسلام ويرميهم بالدواهي العظام ويكذب على الشيخ ويرميه بالأوهام التي لا تطاق ولا ترام ولايحكيها عن الشيخ من شم رائحة الايمان والاسلام وقد اجبته عليها عكساً ونقضاً ولم استوف الجواب خوفاً من الاطناب والاسهاب قال الاحسائي :

بدت فتنة كالليل قد عظت الافقا ... وشاعت وكادت تبلغ الغرب والشرقا

فأظلمت الارجا من شرها الذي استطار بما اغوى جهاراً وما أشقا

تزلزل منها الدين أيّ تزلزل ... وكادت تهي من شرها العروة الوثقا

وقامت على ساق الغواية وانبرت ... تثير قتام الكفر في وجه من تلقا

أغارت بأوهاد الضلال وانجدت ... وعاثت بأهل الدين توسعهم رشقا

الى آخرها والجواب ومن الله استمد الصواب

تجانف هذا المارق الماذق الاشقا ... فقال وقد أخطا وقد جانب الصدقا
بدت فتنة كالليل قد غطت الافقا ... وشاعت وكادت تبلغ الغرب والشرقا
بل السنة الغراء يا فدم قد بدت ... وقد كان ليل الشرك قد طبق الافقا
لعمري قد أخطأ وجاء بفرية ... تضعضع منها الدين وانغط واندقا
بدت من حساوي غوي وجاهل ... تنكب عن نهج الهدى وارتضى الحمقا
وسمى الهدى غيا لخبث مرامه ... وعد وانه لما ارتضى الكفر والفسقا
واغني به الملا ابا بكر الذي ... بنظم له بالافك قد جانب الحقا
وحاد عن التقوى جهاراً وما ارعوى ... الى الرشد لما ان بدا حين ما انشقا
فسماه هذا الفدم بالبغى فتنة ... ولكنه قد جانب الحق والصدقا
ولو وفق الاشقى وقال بنظمه ... هداية هذا الشيخ قد غطت الافقا
فانورت الارجاء من خيرها الذي ... استطار بما أهدى جهاراً وما اشقا
تزلزل منها الكفر أي تزلزل ... واطدّ فينا الرشد بالعروة الوثقا
وقامت على ساق الهداية وانبرت ... تزيل قام الكفر عنا ومن تلقا
أغارت بأوهاد الرشاد وانجدت ... وعاثت بأهل الشرك توسعهم رشقا
وأهدت فضلت تستميل برشدها ... وقد نوَّرَت الباب اربابها حقا
على فترةٍ في الدين جاءت فشبهت ... كشهدٍ حلى في معامله مذقا
مرى خيرها في قلب كل موحّد ... فكم مهتدٍ منهم وكم عالمٍ اتقا
بدت من أمام خامر الحق قلبه ... واتباعه يا ويل من خالف الحقا
ولكنّه قد حاد عن نهج رشده ... فقال الغويّ المارق الماذق الاشقا
بدت من غويّ خامر الكفر قلبه ... واتباعه الجلف السواسية الحمقا
بدا شرها من شر أرض وبقعة ... وابشعها مراة واكثرها فسقا
فتباً له من مارق متعلمٍ ... ومن ماذقٍ لم يعرف الحق والصدقا
بكفر شيخ المسلمين محمدا ... باخلاص توحيدٍ لمن برأ الخلقا
ودعوتهم للحق والرشد جهرة ... فبعداً له بعداً وسحقاً له سحقا

ولو قال هذا الفدمُ من خير بقعةٍ ... تلألأ منها الحق والدين وانشقا
واسلسها اهلًا لمتبع الهدى ... وأوسعها حلماً واحسنها خلقا
لكان بهذا القول اهدى طريقة ... وأقرب للتقوى ولكنما الاشقا
نحا غير هذا النحو بغياً وفرية ... وأنكر دين الله وانتجع الفسقا
وقد قال من بهتانه وافترائه ... بتأويله للنص اذ جانب الحقا
بها قرن ابليس كما جاء ظاهرٌ ... وهذا هو المعنى اقبح به روقا
أقول لعمري ما أصبت ولم تكن ... على المنهج الأسمى ولم تعرف الصدقا
فقد جاء هذا النص يافدم ظاهرا ... لأهل العراق الخبث من كان قد شقا
وعق عن الحقّ المبين وقد عتوا ... وقد خرجوا في قول سيدنا شرقا
ويعني به شرق المدينة لم يكن ... عنى شر بيت الله في قول من عقا
وأومى الى أهل العراق مشرقاً ... فهم شرق دار المصطفى فاعرف الحقا
رواه بن فاروق للزمان مشافها ... به أهل هاتيك الديار ومن يلقا
نشا عارض الكفران فيها وحلها ... فأمطرها من كفره وابلًا ودقا
وشيخ الهدى في نجدنا اظهر الهدى ... وحقق فيها الحق بل طبق الافقا
وزال ظلام الغي عنها وقد زهت ... بتوحيد مولانا الذي برأ الخلقا
وأصبح صبح الحق بالنور مشرقا ... وطوق نجدا بالهدى كلها طوقا
واتباعه يا وغد من كل عالم ... وكل تقي جانب الكفر والفسقا
واعرابها بعد الغواية اسلموا ... وقد دخلوا في الدين واستعملوا الصدقا
وقولك قد صدّوا عن البيت فرقةً ... نعم كان هذا عندما جانبوا الحقا
وجاؤا اموراً لاتطاق وغيروا ... من الدين بل راموا لمرتوقه فتقا
وقولك زوراً بل فجوراً وفرية ... ويدنون بالايوا من يقطع الطرقا
فما كان هذا القول منك بصائب ... ولكنهم يؤون من جاهد الحمقا
وقد قال هذا الفدم في هفواته ... وقد خال ان الحق في كل ما القا
فناذر شيء للرسول وزائر ... له عندهم في دينهم مشرق حقا

نعم ان هذا النذر لله وحده ‏ فاشراكهم للمصطفى اوجب الفسقا

بل الشرك بالمعبود جل ثناؤه ‏ فراجعه في التنزيل تتلوا له نطقا

وراجعه في اقوال كل محقق ‏ تجده لعمري واضحاً ساطعاً صدقا

كذا من غدا بالمصطفى متوسلا ‏ وزار وليـــاً أو لقبته ابقـــا

اقول نعم من كان يدعو محمدا ‏ نبي الهدى قد قارف الشرك والحمقا

ومن زار قبراً واستغاث بمن به ‏ هنالك مقبوراً به كان قد عقا

ومن كان ابقى قبة فهو عندنا ‏ كما قال اهل العلم قد قارف الفسقا

واعظم من هذا فجوراً وفرية ‏ مقالته الفحشا فسحقا له سحقا

بابطال دين الله مع كتب أهله ‏ وتحريفها حرقا وتمزيقها مزقا

ومن قال مولانا وسيدنا وقد ‏ عني المصطفي قالوا هو المشرك الاشقا

كذا من بنفث المصطفى اوبشعره ‏ تبرك أو آثار من ادرك السبقا

فذا كله زور وبهت وفرية ‏ بكل الذي قد قال قد جانب الصدقا

كما قال عدوانا وظلما وخال ما ‏ تقوّله من افكه منهجـــا حقا

يقولون نحن المسلمين وغيرنا ‏ على الشرك احقاباً مضت تعبدُ الخلقا

فست مئين فترة الدين قد مضت ‏ فلست ترى من يعبد الله أو تلقا

اقول لقـــد اخطا وقال ضلالة ‏ فاعظم به قبحاً واقبح به نطقا

واعظم من هـذا ضلالا وفرية ‏ مقالته الشنعا بمن أظهر الحقـا

بأن قال دعواه النبوة ظـاهر ‏ وذا فرية منهم على انه الاتقا

نعم قام بالتوحيد والدين والهدى ‏ ونرجو له الزلفى فيرقى الى المرقا

الى جنـــة المأوى جوار محمد ‏ بأظهاره للدين ســـحقاً لمن عقا

وماضلوا من قبلهم من ذوى الهدى ‏ ولا فتقوا ياوغد في ديننا فتقا

ولا زعموا حاشـــا همو انه اتى ‏ اليهم بذا وحي وقد أحكم العَلَقا

سوى ما عن ربهم ورســـوله ‏ وقاموا به حتى لقد طبق الافقا

فمن أجل هذا قد شرفتم وقلتمو ‏ من الزور والبهتان ما قاله الاشقا

وما حرفوا القرآن أو كان خالفوا   تفاسير أهل الحق بل وافقوا الصدقا
وما فسر الجلف البليد الذي موا   وذوا عوج ان قال لا يحسن النطقا
ولكنه من زوركم وافترائكم   تصدون عن دين الهدى من اتى الحقا
نعم كان منهم من اذا كان حاضرا   من الدرس تفسيرا من العالم الاتقا
يذاكر من يلقاه من كل صاحب   بما قد أفاد الشيخ في الدرس أو القا
فهل كان جلفا أو بليدا بزعمكم   وذا عوج في النطق لم يعرف الحقا
وقد قال خاضوا خوض عمياء عاهر   وقد عدموا الادراك والفهم والحذقا
وهيهات لا يجديك هذا وقد علت   منـــاقبهم حذقا وفهماً فلن ترقا
الى مرتقيٍّ حـــلوا به وتأهلوا   منازل أهل العــلم ياوغد أو تلقا
سمياً يساميهم بهــا فوجوههم   منورة بالدين اكرم بهــا خلقا
والو انهم من خير آلو ان خلقه   وما مسَّهم فيها من السّوء ما يلقا
واعينهم من خشيــة الله ذرّف   الى فوق ترنوا نحو من برأ الخلقا
وارضهموا قد طـــهر الله تربها   فليس ترى فيهم جفاء ولا حمقا
وما الأمر إلا للمهيمن وحده   فما الارض تعطى العطف واللطف والرفقا
واعظم من هذا التجازف قوله   وبحجيرة الرحمن أن يرحم الخلقا
يقول بلا عــلم لديه ولم يكن   ليعلم علم الغيب أو نال ذا حذقا
فليس لهم من رحمة الله قسمة   فحجرة مولانا الذي قسم الرزقا
ومن عجب ان قد تهوّر قائلا   ولو كان ذا عقـــل لما قاله نطقا
وما اقدموا في معرك عن شجاعة   فـكم ولو الادبار واستبشعو الملقا
فسل كل من لاقاهموا من عداهموا   وسل ساكن الاحسا أهل كان ذا حقا
يدال علينـــا مرة ثم ننثني   نحطمهم حطما ونصعقهم مصعقا
ونضرب من هاماتهم كل قمحد   ونشدخها شـــدخا ونفلقها فلقا
فقد ملكوا نجداً وغوراً واتهموا   وشاما الى بصرى بل الغرب والشرقا
حنيفيــة في دينها حنفيّـــة   وكانوا أولي باس فسل كل من تلقا

فدع عنك هذا الخرط فالحق واضح ... وشاهده ماقد مضي والذي يبقا

وما أخذوا إلا بصدقٍ ولم يكن ... بمكر ولا خدع وليس لنا خلقا

وقد فل عرش الكفر وانهد ركنه ... وقدجهد الاعداء ان يحكموا الرتقا

وشادوا من الاسلام ركنا مؤطدا ... فلا أحد منكم يروم له فتقا

ولا قائم منكم ذوي الكفر ينبري ... لاطفاء نور قد علا واستوي سمقا

فكلا تراه ساكتاً أو مجمجما ... بحمد ولي الحمد ما ابرم النطقا

واكثركم قد خامر الخوف قلبه ... لعزة أهل الحق اوهاهُ ما يلقا

واما ولاة الوقت فالله كفهم ... بسمر وبيض تختلي الهام والحلقا

وما قعدوا عن نصرة الشرك قلة ... ولكنه عن ذلة فاعرف الحقا

ولما اتاهم يبتغى الدين ثوبوا ... اليه ولكن بعد ان أوسع الخرقا

نعم أيها الغاوي أبا الله انه ... لما رمتمو فتقا ورمنا له رتقا

أردنا الهدى يعلو على الدين كله ... وتسمق أنوار الهدى في الورى سمقا

واني لارجو الله ان يعلو الهدي ... ويمحق آثاراً لكم عاجلا محقا

فقد رمت ان لا يعبد الله وحده ... وان يعبد الاقوام من دونه الخلقا

فتأييد دين الله لاشك حاصل ... فلله لطف من خليقته دقا

نعم قد أراد الله اعلاء دينه ... فاعلاه مولانا وقد طبق الافقا

وأخزى ذوي الكفران والشرك والردى ... فمت كمدا واخسأ فلن ترتقى مرقا

ومن أجل هذا قلت فيضا وغيظه ... فمت كمدا ان قد علاك الهدى حقا

ومما دهاني والهموم كثيرة ... شجاشوش الالباب واعترض الحلقا

وأوجع قلبي اذا أمضّ ومهجتي ... وألم أحشائي وأوسعها شقا

دعاة الى دين الضلال تجمعوا ... توسوس بالاغواء لتجتذبَ الخلقا

واذكوبه نارا من البغي تلتظي ... وتسفع بالاحراق أوجه من تلقا

اقول نعم هذا دهاك وقد عرى ... سواك من الكفار واستوسعو الخرقا

وصار شجا في حلق كل منافق ... وشوّش البابا لهم واعترى الحلقا

وأكمد أكبادا وافئدة عتت … امض بها نور الهدى حين ما شقا
وألم احشاء وأوسع شقها … فلانعمت يوما ولا ارتتق الفتقا
فهلا عدو الله قلت توزعا … ودينا وتصديقا لمن أظهر الحقا
دعاة الى دين الهدى قد تجمعوا … ولوقلت ذا افلحت لكنما الاشقا
دعاه الى ما قال نار تأججت … على قلبه لما استجابوا لما ألقا
ودانوا بدين الله جل جلاله … ولم يعبدو الانداد من دونه حمقا
فلا آمر بالنكر او رادع لهم … عن الحق والتقوى ولا كاره تلقا
ولا زاجر للعرف او منكرٌ لهم … بل الكل يدعو للهدى دائما طلقا
فلما اطمأنوا واستنار هداهمو … رجوا وارتجوا ما كان ارفع في المرقا
على زعم أنف الكارهين لما دعوا … اليه من التوحيد والعروة الوثقا
فيا حسن ما ابدوا واجمل فعلة … تردوا بها واستقبلوا المنهج الاتقا
ويا قبح افعال المعادي لدينهم … واسوأ ما ابدي واشنع ألقا
وياضيعة الدين الحنيفي عند من … يسوم له خسفا ويرجو له محقا
كهذا الغوى المنبري في ضلاله … وفي غيه لايرعوي للهدى حمقا
فقد غاضه نصرٌ لدين محمد … وقد هاظه لما علا كل من عقا
وقد قال هذا الفدم في هذيانه … ولو كان ذا رشدٍ لما قاله نطقا
وقد أولغوا فيه من الشر مدية … اذ قطعت عرقا ستتبعه عرقا
وأجروا اجياد الغي جهرا وفوقوا … الى نحره من بغيهم اسهما زرقا
فكادت قناة الدين بعد اعتدالها … تقارب ان تندق قصفا وتندقا
ولو قال هذا القدم للخير قد دعو … لكان لعمرو الله قد أوضح الصدقا
ولكنه قد زاغ عن نهج رشده … وهيهات لايجدي لدينا الذي ألقا
فكم من عروق للضلال قطعت … وكم من جياد للجهاد ارتقت مرقا
وكم فوقت نحو الضلالة أسهما … تخرق اكبادا لهم قد قست خرقا
وتعلى منار الدين بعد انخفاضه … وتحفظه من ان يهان ويندقا

وليس قنـــاة الدين الا ثقيفة معـــدّلة فيها لدينا ولن تلقا
بها من مقيم غيرنا بتفضــــل علينا من المولى ذُفضل واستبقا
فكنا بحمد الله انصـــار دينه نزيح غبار الكفر عن وجهه الاتقا
وماذا عسى ان قال ذا القدم بعد ذا دعاءً على نجـــد فقال وما أبقا
ليسلب نجداً كل خير ونعمة ويجعلهـــا دكا ويصعقها صعقا
ويأخذها أخذاً شديداً معاجلا ويحصـــدها حصداً ويمحقها محقا
فقد خاب ما يرجو ويأمل ضلّة وباء بما أبدى وعاد على الاشقا
فقد أوليت نجـــد من الله نعمة وفضلا واحسانا وأعلا بهـــا الحقا
ونصرا وتأييـــدا وعزا مؤثلا وكبْتاً لمن ناواهمو وارتضى الفسقا
وأهلك من عاداهموا واهانهم وشتتهم شتى ومزقهم مزقا
وخوّلنـــا اموالهم وديارهم فـكانت لنا فيئاً وقد محقوا محقا
فلله رب الحمد والشكر والثنا على كل ما أولى وأعطى وما نلقا
فقد صارت العقبى لنا وعداتنا ابادهمو المولى واصعقهم صعقا
وصل إلهي كل آن وساعة على المصطفى من كان اعلم بل اتقا
محمد المعصوم والآل كلهم وأصحابه من أدركوا الفضل والسبقا
وتابعهم والتـــابعين لنهجهم على السنن المحمود والمنهج الاتقا

فصل

قال الملحد : الفصل الرابع عشر من هفوات النجدي انكاره التوسل والاستغاثة والمناداة بأسمائهم أي الاموات والتبرك بالاخيار حتى النبي ﷺ

قال الشيخ محمد حياة المدني والتوسل بالاعمال الحسنة وبدعاء الاخيار جائز كما نص عليه بن تيمية في الصراط المستقيم والتوسل بالاموات زعم بن تيمية انه ممنوع وقد صح عن بعض الصحابة انه أمر بعض المحتاجين أن يتوسلوا به ﷺ بعد موته في خلافة عثمان رضي الله عنه فتوسل به فقضيت حاجته كما ذكره

الطبراني والعقل يقتضيه لأنه اذا جاز التوسل بالعمل الصالح الذي يرضاه العظيم جاهه لديه يجوز برسالة ونبوته وكرامة النبي ﷺ التي لها شرف وعز عنده أولى فالمؤمن اذا قال اللهم اني اتوسل اليك بنبيك محمد ﷺ لا يريد التوسل بمجرد ذاته التي يشاركه فيها نوع الانسان وانما يريد نبوته التي فاقت على سائر الكمالات فلا فرق بين ان يتوسل بدعائه أو نبوته وما ذكره بن تيمية من الفرق ليس بشيء «وجاء توسلوا بجاهي فانه عند الله العظيم» وفي كتاب نهج السعادة قال ﷺ «توسلوا بي وبأهل بيتي الى الله فانه لا يرد متوسل بنا» وقد صح توسل أبينا آدم بالنبي فقبل توبته لما توسل به رواه بن حبان في صحيحه والله أعلم ، انتهى كلام محمد حياة .

والجواب ان يقال قد تقدم الكلام على الاستغاثة والمناداة بأسمائهم أي الاموات والتبرك بالاخيار حتى النبي ﷺ فيما مضي فلا فائدة في اعادته وأما التوسل فنقول قد كان من المعلوم عند ذوي المعارف والفهوم ان لفظ التوسل بالشخص والتوجه به والسؤال به فيه اجمال واشتراك بحسب الاصطلاح فمعناه في لغة الصحابة رضى الله عنهم وعرفهم ان يطلب منه الدعاء والشفاعة في حياته فيكون التوسل والتوجه به في الحقيقة بدعائه وشفاعته وذلك لا محذور فيه والتوسل أقسام فقسم مشروع وهو التوسل بالاعمال الصالحة وبدعاء النبي ﷺ في حياته كما استسقى عمر رضي الله عنه بدعاء العباس ومعاوية رضي الله عنه بدعاء يزيد ابن الاسود الجرشي وقسم محرم وبدعة مذمومة وهو التوسل بحق العبد وجاهه وحرمته وذاته نبيا كان أو وليا أو صالحا كأن يقول الانسان اللهم اني أسألك بنبيك أو بجاه نبيك محمد ﷺ او بجاه عباد الله الصالحين او بحقهم او بحرمتهم ونحو ذلك او بذواتهم لأن ذلك لم يرد به نص عن الرسول ﷺ ولا فعله احد من الصحابة ولا التابعين رضي الله عنهم قال شيخ الاسلام في اقتضاء الصراط المستقيم فلفظ التوسل بالشخص والتوجه به والسؤال به فيه اجمال واشتراك غلط بسببه من لم يفهم مقصود الصحابة يراد التسبب به لكونه

داعيا وشافعا مثلا او لكون الداعي محبا له مطيعا لامره مقتديا به فيكون التسبب اما بمحبة السائل واتباعه له واما بدعاء الوسـيلة وشفاعته ويراد به الاقسام به والتوسل بذاته فلا يكون التوسل لا منه ولا من السائل بل بذاته او بمجرد الاقسام به على الله فهذا الثاني هو الذي كرهوه ونهوا عنه وكذلك السؤال بالشيء قد يراد به المعنى الاول وهو التسبب لكونه سببا في حصول المطلوب وقد يراد به الاقسام الى آخر ما قال رحمه الله تعالى فاذا عرفت ان التوسل في عرف الصحابة ولغتهم طلب الدعاء والشفاعة وان هذا هو المشروع وانما عداه اما شرك او محرم او مكروه مبتدع عرفت ان قصد هؤلاء الملاحدة بالتوسل هو دعاء الانبياء والاولياء والصالحين والاستغاثة بهم وصرف خالص حق الله تعالى لهم بجميع انواع العبادات وقد بيناها فيما تقدم فقول هذا الملحد عن الشيخ محمد حياة المدني زعم ابن تيمية انه ممنوع يعني التوسل بالاموات فنعم هو ممنوع كما ذكره شيخ الاسلام ومعه الكتاب والسنة وليس مع من خالفه إلا الاوهام ومضال الافهام والقياس الفاسد المخالف لصريح المعقول والمنقول وقد تقدم بيان ذلك والكلام عليه فيما مضى وسيأتي الكلام على حديث بن حنيف .

وأمّا استدلاله بقوله : توسلوا بجاهي فانه عند الله عظيم ».

فأقول : هذا الحديث موضوع مكذوب على رسول الله ﷺ كما ذكره أهل العلم وابطل منه واكذب الحديث الذي رواه في كتاب السعادة ، وهو حديث موضوع فلا حجة فيهما ، ومن تعلق بالموضوعات فقد تعلق بخيط العنكبوت ، وسيأتي الكلام على توسل أبينا آدم بالنبي وانه مكذوب موضوع وهذا غاية ما يعتمد عليه هؤلاء الغلاة الملاحدة .

واما قول محمد حياة وما ذكره بن تيمية من الفرق ليس بشيء .

فأقول : إذا كان هذا الرجل المسمى محمد حيـاة لم يعرف الاحاديث الموضوعة المكذوبة على رسول الله ﷺ فكيف يعرف الفرق بين ما يجوز وما لا يجوز وذلك دليل على عدم معرفته وقصوره .

فصل

واما قوله : ففي الجواهر المتعلم لابن حجر ،ومن السنة قصة سواد بن قارب المروية الطبراني في معجمه الكبير وآخر قصته :

فاشـــهد ان الله لارب غيره وأنك مـــأمون على كل غائب
وانك أدنى المرسلين وسـيلة إلى الله يابن الاكرمين الاطائب
فمرنا بمـا يأتيك يا خير مرسل وان كان فيما جاءشيب الذوائب
وكن لي شفيعاً يوم لاذو شفاعة بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

فالجواب أن نقول : ليس في هذه القصة حجة على أنه يجوز للانسان أن يدعو غير الله لا من الانبياء ولا من الاولياء ولا غيرهم ، وليس هذا في محل النزاع ، لأن قول سواد ابن قارب هذا من جنس طلب دعائه واستغفاره ﷺ في حياته ، والنزاع ليس في هذا ، والمطلوب هنا دعاؤه الذي يستطيعه كل أحد ممن ترجى إجابة دعائه ، ويجوز التماس الدعاء منه ، وقال النبي ﷺ لعمر : « لا تنسنا يا أخي من دعائك » فلا يستدل بهذه القصة إلا مغالط ملبس ، وكذلك ما ذكره بعد هذا من حديث أنس سألت رسول الله ﷺ أن يشفع إلى يوم القيامة فقال : « أنا فاعل » وهذا كالذي قبله ولا محذور فيه وليس في محل النزاع .

وأما قوله : وحديث ابن عمر من زار قبري وجبت له شفاعتي .

فالجواب ان يقال : هذا حديث منكر ضعيف الاسناد واهي الطريق لايصلح الاحتجاج بمثله ولم يصححه أحـد من الحفاظ المشهورين ، ولا اعتمد عليه احد من الائمة المحققين ، بل انما رواه مثل الطبراني الذي يجمع في كتابه غرائب السنن ويكثر فيه من رواية الاحاديث الضعيفة والمنكرة بل والموضوعة كما ذكره الحافظ ابن عبد الهادي وشيخ الاسلام وغيرهما فلا حجة فيه .

وأما قوله : والثاني من جاءني زائرا لايعمل حاجة إلا زيارتي كان حقا على

ان اكون له شفيعاً يوم القيامة صححه ابن السكن وأطال .

فالجواب أن يقال : هذا الحديث ليس فيه ذكر زيارة القبر ولا ذكر الزيارة بعد الموت مع انه حديث ضعيف الاسناد منكر المتن لايصلح الاحتجاج به ولا يجوز الاعتماد على مثله ولم يخرجه احد من الائمة المعتمد على ما اطلقوه في رواياتهم ولا صححه امام يعتمد على تصحيحه وقد تفرد به هذا الشيخ الذي لم يعرف بنقل العلم ولم يشتهر بحمله ، ولم يعرف من حاله ما يوجب قبول خبره ، وهو مسلمة بن سالم الجهني الذي لم يشتهر إلا برواية هذا الحديث المنكر وحديث آخر موضوع ذكره الطبراني بالاسناد المتقدم ، انتهى من كلام الحافظ بن عبد الهادي وإذا كان ذلك كذلك فلا حجة فيه ، وسيأتي الكلام على توسل آدم بالنبي .

وأما قوله : وفي صلاة الحاجة : إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة يامحمد إني أتوجه بك الى ربي في حاجتي هذه لتقضي لي » رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة والحاكم في المستدرك في حديث الاعمى وامره ان يدعو بهذا الدعاء وذكره الى آخره .

فالجواب ان نقول : ليس هذا في محل النزاع وغاية ما في هذا الحديث والذي قبله ان النبي ﷺ علمه دعاء امره فيه ان يسأل الله قبول شفاعة نبيه فيه ، هذا يدل على ان النبي ﷺ شفع فيه وامره ان يسأل الله قبول شفاعته وهذا ليس فيه جواز دعائه والاستغاثة به بعد وفاته ، وقد تقدم الكلام عليه فيما مضى بما أغنى عن اعادته عند دعواه عدم الفرق بين الدعاء والنداء .

فصل

وقوله : ومن ثم استعمل الصحابة هذا الدعاء في حاجاتهم بعد موته ﷺ وقد علمه راويه عثمان بن حنيف زمان خلافة عثمان رضي الله عنه رجلا ففعل فقضاها ، رواه الطبراني والبيهقي .

فالجواب أن يقال : في سند هذا الحديث روح بن صلاح وقد ضعفه بن عدي بل قد قال بعضهم ان امارات الوضع لائحة عليه فكيف يعاوض به جميع كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وعمل أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ، وهل سمعت أحداً منهم جاء اليه بعد وفاته إلى قبره الشريف فطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله ؟ وهم حريصون على مثل هذه المثوبات، لاسيما والنفوس مولعة بقضاء حوائجها تتشبث بكل ما تقدر عليه ، فلو صح عند أحد منهم أدنى شيء من ذلك لو رأيت أصحابه يتنابون قبره الشريف في حوائجهم زمراً زمرا ، ومثل ذلك تتوفر الهمم والدواعي على نقله ولا وسع الله طريقاً لم يتسع للصحابة والتابعين وصلحاء علماء الدين، نعم كان ابن عمر يأتي القبر المكرم ويقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبت ثم ينصرف وكذلك أنس وغيره فاذا أرادوا الدعاء استقبلوا القبلة ، انتهى .

ثم اعلم ان هذا الحديث مخالف لعمل الصحابة رضي الله عنهم ، وقد قال ﷺ « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » وأما دعوى هؤلاء الغلاة أن الصحابة استعملوا هذا الدعاء بعد وفاته فإن هذا مما يعلم بالضرورة أنه من الكذب على الصحابة رضي الله عنهم ولو كان هذا الاستعمال صحيحاً لتوفرت الهمم والدواعي على نقله ، ولما عدل الفاروق إلى التوسل بدعاء العباس ومعاوية بدعاء يزيد ابن الاسود الجرشي ولكان يمكنهم لو كان هذا الحديث صحيحاً معروفاً عندهم أن يتوسلوا بالنبي ﷺ ولا يطلبون من العباس أن يدعو لهم ، ومما يوضح لك الأمر أن هذا الحديث غير صحيح ان رواته مختلفين في متنه وسنده مع أنه لم يذكر في شيء من الكتب المعتمدة ، وإنما ذكره مثل البيهقي والطبراني وغيرهما ، وهؤلاء يذكرون مثل هذه الاحاديث الضعيفة والموضوعة على وجه التنبيه ، وقد رأى علماء الاسلام الجهابذة النقاد ظلمات الوضع لائحة عليه فاعرضوا عنه ولم يلتفتوا إليه والله أعلم .

واما قوله : وذكر الطبراني بسند جيد ان النبي ﷺ ذكر في دعائه بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي،انتهى .

فأقول : في سنده روح بن صلاح وقد ضعفه بن عدى وكم في الطبراني من حديث يخالف هذا ويدل على وجوب التوسل بأسماء الله وصفاته وانابة الوجوه إليه فما أعمى عينك عنها هل هناك شيء أعماك عنها سوى الجهل والهوى ؟ وقد تكلم في هذا الحديث غير واحد ، وقال شيخ الاسلام : قد بالغت في البحث والاستقصاء فما وجدت أحدا قال بجوازه إلا ابن عبد السلام في حق نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام أترى هذا الحديث خفي على علماء الامة لم يعلموا ما دل عليه ؟ ثم لو سلمنا صحته أو حسنه ففيه مامر في حديث الاعمى ان المراد بدعاء نبيك الى آخره أي وسيلة بذوات الانبياء لمن عصى أمرهم وخرج عما جاؤا به من التوحيد والشرع ، وفي الحديث « يا صفية عمة رسول الله ﷺ ويا فاطمة بنت محمد اشتروا أنفسكم لا اغنى عنكم من الله شيئاً » وقال تعالى (وضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين) قال شيخ الاسلام : فاذا قال الداعي أسألك بحق فلان وفلان لم يدع له وهو أنه لم يسأله باتباعه لذلك الشخص او محبته وطاعته بل بنفس ذاته وما جعله له ربه من الكرامة لم يكن قد سأله بسبب يوجب المطلوب ، انتهى . ثم ذكر كلاماً قد تقدم واعاده ليكبر حجم الكتاب ، ولا فائدة في اعادة الجواب عنه ثم ذكر حديث بلال بن الحارث وسيأتي الكلام عليه بعد .

وأما قوله : وفي المواهب اللدنية ان عمر لما استسقي بالعباس قال : يا أيها الناس ان رسول الله كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا به في عمه العباس واتخذوه وسيلة الى الله ، فأقول : هذا لا يصح ولم يسنده الى كتاب يعتمد على مثله فلا حجة فيه ولا اعتماد عليه ولابد من ذكر رواته وتوثيقهم والا فلا .

وأما قوله : وفيها أيضا قال مالك رضي الله عنه لم تصرف وجهك عن قبره ﷺ وهو وسيلتك ووسيلة آدم عليه السلام .؟

فالجواب أن يقال : هذا الكلام من حكاية ذكرها القاضي عياض في الشفاء قال ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله ﷺ فقال : لا ترفع صوتك في هذا المسجد ، فان الله أدب قوما فقال (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) الآية . ومدح قوما فقال (ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) الآية . وذم قوما فقال (ان الذين ينادونك منوراء الحجرات) الآية . وحرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها أبو جعفر وقال يا أبا عبد الله استقبل القبلة و ادعو أم استقبل رسول الله ﷺ ؟ فقال : ولم تصرف وجهك عنه ؟ وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم يوم القيامة بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله فيك قال تعالى (ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك) الآية ، انتهى. وهذه الحكاية لا حجة فيها لمبطل لما سنذكره انشاء الله تعالى ، قال الامام الحافظ أبو عبد الله محمد ابن احمد أبو عبد الهادي في الصارم المنكى قلت المعروف عن مالك أنه لا يستقبل القبر عند الدعاء وهذه الحكاية الذيذكرها القاضي عياض ورواها باسناده عن مالك ليست بصحيحة عنه ، وقد ذكر المعترض في موضع من كتابه ان اسنادها ، اسناد جيد وهو مخطيء في هذا القول خطأ فاحشا بل اسنادها اسناد ليس بجيد بل هو اسناد مظلم منقطع ، وهو مشتمل على من يتهم بالكذب وعلى من يجهل حاله وابن حميد هو محمد ابن حميد الرازي وهو ضعيف كثير المناكير غير محتج بروايته ولم يسمع عن مالك شيئاً ولم يلقه بل روايته عنه منقطعة غير متصلة ، وقد ظن المعترض أنه أبو سفيان محمد بن حميد المعمرّي أحد الثقات المخرج لهم في صحيح مسلم ، الى أن قال : وقد تكلم في محمد بن حميد الرازي وهو الذي رويت عنه هذه الحكاية من غير واحد من الأئمة ولنسبة بعضهم الى الكذب ، قال يعقوب ابن شيبة السدوسي : محمد بن حميد الرازي كثير المناكير ، وقال البخاري :

حديثه فيه نظر وقال النسائي : ليس بثقة وقال ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني: ردي المذهب غير ثقة وقال فضلك الرازي عندي عن بن حميد خمسون الف حديث لا أحدث عنه بحرف ، وقال أبو العباس احمد بن محمد الازهري : سمعت اسحاق بن منصور يقول : أشهد على محمد بن حميد وعبيد ابن اسحاق العطار بين يدي الله انهما كذابان ، وقال صالح بن محمد الحافظ كان على مابلغه من حديث سفيان يحيله على مهران وما بلغه من حديث منصور يحيله على عمرو ابن قيس ثم قال كل شيء كان يحدثنا ابن حميد كنا نتهمه فيه ، وقال في مواضع أخر : كانت أحاديثه تزيد وما رأيت أحدا أجرأ على الله منه كان يأخذ أحاديث الناس فيقلب بعضها على بعض ، وقال في موضع آخر ما رأيت أحدا أحذق بالكذب من رجلين سليمان الشاذكوني ومحمد بن حميد الرازي كان يحفظ حديثه كله ، وكان حديثه كل يوم يزيد ثم أطال الحافظ الكلام فيه الى أن قال فاذا كانت هذه حال محمد بن حميد الرازي عن أئمة هذا الشأن فكيف يقال في حكاية روايتها منقطعة إسنادها جيد مع أن في طريقها اليه من ليس بمعروف الى أن قال فانظر هذه الحكاية وضعفها وانقطاعها ونكارتها وجهالة بعض رواتها ونسبة بعضهم الى الكذب ومخالفتها لما ثبت عن مالك وغيره من العلماء قال وأما الحكاية في تلاوة مالك (ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم) الآية . فهو والله أعلم باطل فان هذا لم يذكره أحد من الأئمة فيما أعلم ولم يذكر أحد منهم انه استحب أن يسئل بعد الموت للاستغفار ولا غيره وكلامه المنصوص عنه وأمثاله ينافي هذا ، انتهى. وهؤلاء الجهلة يستدلون بهذه الحكاية الواهية ويعتمدون عليها وفيها وحرمته ميتا كحرمته حيا فاثبت في هذه الحكاية انه ﷺ حيث وأن حرمته ميتا كحرمته حيا وهم يزعمون أنه حي في قبره يأكل ويشرب وينكح ويحج وهذا تناقض ظاهر .

وأما قوله : وفي حديث أنس وكلام الاعرابي يستشفع به الى ربه والنبي يسمع الى أن قال في قصيدته بحضرته ﷺ :

وليس لنا إلا اليك فرارنا ... وأين فرار الناس إلا الى الرسل ؟

فالجواب من وجهين الاول : أن في سنده مسلم الملائي وهو واه جدا قال الذهبي في الميزان مسلم بن كيسان أبو عبد الله الضبي الكوفي الملائي الأعور عن أنس وعن ابراهيم النخعي وعنه الثوري وأبو كيع الجراح بن مليح قال الفلاس متروك الحديث ، وقال احمد لا يكتب حديثه وقال يحي ليس بثقة ، وقال البخاري يتكلمون فيه ، وقال النسائي وغيره متروك ، وفيه كلام طويل تركناه لأجل الاختصار ، الوجه الثاني : أن ما ثبت منها هو التوسل بدعاء الاحياء وهذا مما لا ينكره أحد وعلى كل حال فلا حجة في هذا وما كان هذا سبيله فهو مطرح لا يلتفت اليه ، والله أعلم .

وأما قوله : وفي سنن ابي داود وغيره ان أعرابياً قال النبي ﷺ جهدت الانفس وجاع العيال وهلك المال فادع الله فانا نستشفع بك الى الله الى آخر الحديث انتهى .

فأقول : وتمامه وبالله عليك فقال النبي ﷺ ويحك اتدري ماتقول ؟ وسبح رسول الله ﷺ فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه اصحابه . ثم قال ويحك انه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه شأن الله أعظم من ذلك ويحك اتدري ما الله ؟ ان عرشه على سمواته هكذا وقال باصابعه مثل القبة عليه وأنه يئط أطيط الرحل بالراكب .

فالجواب ان يقال : هذا الحديث رواه أبو داود باسناد حسن عنده في الرد على الجهمية من حديث محمد من اسحاق بن يسار ولا حجة فيه لمبطل لان الاستشفاع بالرسول ﷺ المراد به استلاب دعائه ، وليس خاصا به ﷺ بل كل حي صالح يرجى أن يستجاب له فلا بأس ان يطلب منه ان يدعو للسائل بالمطالب الخاصة والعامة كما قال ﷺ لعمر لما أراد أن يعتمر من المدينة لاتنسنا يا أخي من صالح دعائك » وهذا لانزاع فيه ، وأما الميت فانما يشرع في حقه الدعاء له على جنازته وعلى قبره وغير ذلك ، وهـذا هو الذي يشرع في حق وأما دعاؤه فلم يشرع بل قد دل الكتاب والسنة على النهى عنه والوعيد عليه

كما قال تعالى (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولوسمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم » فبين الله تعالى ان دعاء من لا يسمع ولا يستجيب شرك يكفر به المدعو يوم القيمة أي ينكره ويعادي من فعله كما في آية الاحقاف (واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) فكل ميت أو غائب لايسمع ولايستجيب ولا ينفع ولا يضر والصحابة رضى الله عنهم لاسيما أهل السوابق منهم كالخلفاء الراشدين لم ينقل عن أحد منهم ولاعن غيرهم أنهم أنزلوا حاجتهم بالنبي ﷺ في أوقات الجدب كما وقع لعمر رضى الله عنه لما خرج ليستسقى بالناس خرج بالعباس عم النبي ﷺ فأمره ان يستسقي لأنه حي حاضر يدعو ربه فلو جاز أن يستسقي باحد بعد وفاته لاستسقي عمر رضي الله عنه والسابقون الاولون بالنبي ﷺ بهذا يظهر الفرق بين الحي والميت لأن المقصود من الحى دعاؤه اذا كان حاضراً اذ أنهم في الحقيقة انما توجهوا الى الله بطلب دعاء من يدعوه ويتضرع اليه وهم كذلك يدعون ربهم فمن تعدي المشروع الى ما لا يشرع ضل وأضل ولو كان دعاء الميت خيرا لكان الصحابة اليه أسبق وعليه أحرص وبهم اليق وبحقه اعلم واقوم ، فمن تمسك بكتاب الله نجا ، ومن تركه واعتمد على عقله هلك وبالله التوفيق ، وقد ترك هذا الملحد آخر الحديث لما فيه من الرد عليهم في معتقدهم الفاسد فان هؤلاء الملاحدة لا يثبتون علوا لله على عرشه فوق خلقه لان هذا عندهم يستلزم ان يكون الله تبارك وتعالى جسما وقد أوضحنا الكلام عليه فيما تقدم ثم ذكر الملحد حديث الاعمى وقد تقدم الكلام عليه .

وأما قوله : ويكفيك فهم العلماء كافة من الآية (ولو أنهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدو الله توابا رحيما) وانها للعموم في الحالين الحياة والممات لاستصحاب الاتيان بها لزائره ﷺ وقد قام الاجماع السكوتي أيضاً بذلك وهو حجة .

فالجواب ان يقال : قد سبق هذا الملحد الى الاستلال بهذه الآية من المشبهين أقوام وذكروا من الشبه نحو ماذكره هذا وأكثر واعظم تلبيسا

وتقويها واجابهم على ذلك الائمة الجهابذة الحفاظ الذين هم القدوة وبهم الاسوة وحسبنا ماذكروه ووضحوه وبهذا تعلم كذب هذا الملحد المفتري بقوله وقد قام الاجماع السكوتي أيضاً بذلك ولو كان من أهل المعرفة والعلم لما هذي بهذا الكلام السامج ، قال الامام الحافظ المحقق أبو عبد الله محمد بن احمد ابن عبد الهادي الحنبلي المقدسى قدس الله روحه على ماذكره السبكى : فأما استدلاله بقوله تعالى (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك) الآية . فالكلام فيها في مقامين أحدهما : عدم دلالتها على مطلوبه الثاني بيان دلالتها على نقيضه وانما يتبين الأمران بفهم الآية وما أريد بها وسيقت له وما فهمه منها أعلم الامة بالقرآن ومعانيه وهم سلف الامة ، ومن سلك سبيلهم ولم يفهم منا أحد من السلف والخلف الا المجيء اليه في حياته ليستغفر لهم وقد ذم تعالى من تخلف عن هذا المجيء ، اذا ظلم نفسه وأخبر أنه من المنافقين فقال تعالى (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون) وكذلك هذه الآية انما هي في المنافق الذي رضى بحكم كعب ابن الاشرف وغيره من الطواغيت دون حكم رسول ﷺ فظلم نفسه بهذا اعظم ظلم ثم لم يجيء الى رسول الله ﷺ ليستغفر له فان المجيء اليه ليستغفر له توبة وتنصل من الذنب وهذه كانت عادة الصحابة معه ﷺ أن أحدهم متي صدر منه ما يقتضي التوبه جاء اليه فقال يا رسول الله فعلت كذا وكذ فاستغفرلى وكان هذا فرقا بينهم وبين المنافقين فلما استأثر الله عز وجل بنبيه ﷺ ونقله من بين ظهورهم الى دار كرامته لم يكن احد منهم قط يأتي الى قبره ويقول : يارسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفرلي ، ومن نقل هذا عن أحد منهم ، فقد جاهر بالكذب والبهت وافترى على كل الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وهم خير القرون على الاطلاق حيث تركوا هذا الواجب الذي ذم الله سبحانه من تخلف عنه وجعل التخلف عنه من امارات النفاق ، وكيف اغفل هذا الامر أئمة الاسلام وهداة الانام ؟ فلم يدعوا اليه ولم يرشدوا

اليه ولم يفعله احد منهم البتة ، ووفق له من لا يؤبه له من الناس ولا يعد في أهل العلم ، بل المنقول الثابت منهم ما قد عرف مما يسوء الغلاة فيما يكرهه وينهي عنه من الغلو والشرك الجفاة عما يحبه ويأمر به من التوحيد والعبودية ، ولما كان المنقول شجا في حلوق الغلاة وقذا في عيونهم وريبة في قلوبهم وقابلوه بالتكذيب والطعن في الناقل ومن استحى منهم من اهـــل العلم بالآثار قابله بالتحريف والتبديل ، ويأبى الله إلا ان يعلي منار الحق ويظهر ادلته ليهتد المسترشد وتقوم الحجة على المعاند فيعلى الله الحق من يشاء ويضع برده وبطره وغمص اهله من يشاء وبالله العجب أكان ظلم الامة لأنفسها ، ونبيها حي بين أظهرها موجود وقد دعيت فيه الى المجيء اليه ليستغفر لها وذم من تخلف عن هذا المجيء ، فلما توفي ﷺ ارتفع ظلمها لأنفسها بحيث لا يحتاج احد منهم الى المجيء اليه ليستغفر له وهذا يبين ان هذا التأويل الذي تأول عليه المعترض هذه الآية ، تأويل باطل ولو كان حقا لسبقونا اليه علمـا وعملا وارشادا ونصيحة ، ولا يجوز احداث تأويل في آية او سنة لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه ولا بينوه للأمة فان هذا يتضمن انهم جهلوا الحق في هذا وضلوا عنه واهتدى اليه هـذا المعترض المستأخر فكيف اذا كان التأويل بخلاف تأويلهم ويناقضه وبطلان هذا التأويل أشهر من أن يطلب في رده وانما ننبه عليه بعض التنبيه ، ومما يدل على بطلان تأويله قطعا انه لا يشك مسلم ان من دعى الى رسول الله ﷺ في حياته وقد ظلم نفسه ليستغفر له فأعرض عن المجيء وأباه مع قدرته عليه كان مذموماً غاية الذم مغموصا بالنفاق ولا كان كذلك من دعى الى قبره ليستغفر له ومن سوى بين الامرين وبين المدعوين وبين الدعوتين ، فقد جاهر بالباطل وقال على الله وكلامه ورسوله وامناء دينه غير الحق ، واما دلالة الآية على خلاف تأويله فهو أنه سبحانه صدرها بقوله : (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك) وهـذا يدل على ان مجيئهم اليه ليستغفر لهم اذ ظلموا انفسهم طاعة له ، ولهذا ذم من تخلف عن هذه الطاعة

ولم يقل مسلم ان على من ظلم نفسه بعد موته ان يذهب الى قبره ويسأله ان يستغفر له ولو كان هذا طاعة له لكان خير القرون عَصَوْ هذه الطاعة وعطلوها ووفق لها هؤلاء الغلاة العصاة وهذا بخلاف قوله (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) فانه نفى الايمان عمن لم يحكمه وتحكيمه تحكيم ما جاء به حيا وميتا ، ففي حياته كان هو الحاكم بينهم بالوحي وبعد وفاته نوابه وخلفاؤه يوضح ذلك انه قال : « لا تجعلوا قبري عيدا » ولو كان يشرع لكل مذنب ان يأتي الى قبره ليستغفر له لكان القبر اعظم اعياد المذنبين ، وهذا مضادة صريحة لدينه وما جاء به ، انتهى . فأي دليل يدل على ما ذهب اليه هؤلاء الغلاة الملاحدة من دعائه والاستغاثة به الى غير ذلك من انواع الطلبات التي هي مختصة بفاطر الارض والسموات لو كان اهل الشرك يعلمون ولكنهم في غمرتهم وفي ريبهم يترددون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

فصل

ثم ذكر الملحد توسل العدني ابي بكر ابن عبد الله العيدروس في قصيدته التي قال فيها :

بسم الله مولانا ابتدأنا ... ونحمده على نعماه فينا
توسلنا به في كل أمر ... غياث الخلق رب العالمينا

وقد أجبته بما نصه :

ألا أيها الانسان سَمْعاً ... وعذ بالله رب العالمينا
توسُّل مشرك غالٍ جهول ... ويُدعي القطبُ قطب الكافرينا
وذاك العيدروس وذو المخازي ... وذو الاشراك بالمتوَسّلينا
توَسّلْ اولا بصفات ربي ... وبالاسماء وهي له يقينا
نقربها ونثبتها وندعو ... بها الرحمن لا متأوَلينا

وبالقرآن قال وكتب ربي ... وما في الغيب مخزونا مصونا
من الاسماء للرحمن هـذا ... جميعا كله قد كان دينا
ولكن قد توسـل بعد هذا ... فقال مُجاهراً لا مستكينا
وبالهـادي توسلنا ولُذنا ... وكل الانبيـا والمرسلينا
وآلِهِموا مع الاصحاب جَمْعاً ... توسـلنا بكل التابعينا
بكل طوائف الاملاك ندعو ... بمـا في غيب ربي أجمعينا
وبالعلمـاء بأمر الله طرا ... بكل الاوليـا والصالحينا
اخص به الامام القطبي حقا ... وجيه الدين تاج العارفينـا
وهـذا كله لا نصّ فيـه ... عن المعصوم أزكى العالمينـا
ولا عن صحبه والآل طراً ... بلا شـك ولا عن تابعينـا
وحاشاهم من الاشراك بل ذا ... غلوٌ من طغـاة معتدينـا
وان مـلاذنا الرحمن ربي ... ومن يشرك به كالكافرينـا
فمأواه السعير غدا ويلقا ... هنالك ما يسـوء المشركينا
وأن دعاءنا لله حقـاً ... باخلاص له منّا ودينـا
ومن يدعـو إلهـاً غير ربي ... منَ الاملاك أو من مرسلينا
ومن صحب وآل أو ولي ... وغير الاوليـاء كالصالحينـا
فـذا كفر واشراك مبين ... فتبـاً للغواة الظالمينـا
ولو كان المراد بما عناه ... توسـله بكل اجمعينـا
بذات المصطفى وذوات صحب ... وآل المصطفي والتابعينـا
لكان توسلا لا خـير فيه ... ومكروهاً وبدعيًّا يقينـا
ولكنّ الغويّ أراد ما قد ... أراد المشركون الأولونا
يريدون الشفـاعة والترقي ... إلى الزلفى بجـاه المرسلينـا
فيدعون الملائكة العـوالى ... كما يدعون رب العالمينـا
ويدعون النبي وكل مولىً ... لهم يدعـونه والصالحينـا

لكشف ملمــة وزوال هم ... وغم قــد امض السّائلينا
ويرجون الغياث إذا دَعوْهمْ ... بكل الأوليـا متوسلينـا
فكيف العيدروس ولست ادري ... اذاالك مسـلمْ كالعابدينا
أم المدعو هــذا كان خِبا ... لئيا كالغــلاة الزائغينـا
وسيّان النبي إذا دَعَـوْهُ ... وطالح من دعوه والصالحينا
ولكنى رأيت لهم عـلواً ... به مستقبحاً عقلا وديـنـا
فان رمت النجاة غدا وترجو ... بدار الخلد دار المتقينـا
نعيا لا يبيـد وليس يفنى ... جـوار المصطفى والمرسلينـا
فلا تشرك بربك قط شيئا ... وسر في أثر أزكى العالمينـا
وفي آثار أصحاب كرام ... وسر في أثر كل التابعينـا
ودع عنك الغلاة ذوى المخازي ... وأهــل الغي والمتحذلقينـا
كهذا الناظم المفتون أو من ... نحـا نحـو الغـلاة الزائغينـا
وكالحــداد والحب المسمى ... بدحلان وكل المشركينا

فصل

ثم ذكر أناساً من الغلاة غير من تقدم ممن توسل واستغاث بالنبي وبآ له في قصائد ذكر فيها من غلوهم واشراكهم ما يمج سماعه ولا حاجة بنا إلى رد جميع سقطاتهم وورطاتهم ، ثم قال : وقال ابن حجر في الخيرات الحسان في مناقب ابى حنيفة النعمان في الفصل الخامس والعشرين ان الامام الشافعي ايام هو ببغداد يتوسل بالامام ابي حنيفة يجيء الى قبته فيركع ركعتين ثم يقصد ضريح النعمان يتوسل به في قضاء حاجته ، وقد ثبت توســل الامام احمد بالشافعي رضي الله عنهما حتي تعجب ابنه عبد الله من ذلك ، فقال له الامام احمد ان الشافعي كالشمس للناس وكالعافية للبدن .

فالجواب أن يقال : لهذا الجاهل كيف يثبت دين الله تعالى بمثل هذه الاقوال الكاسدة ، والشبهات الفاسدة ، التي لا تروج ولا تنفق لدي كل ذي عقل سليم ، ولا يشبه بها إلا كل خب لئيم ؛ ومن لا معرفة لديه بالعلوم النافعة الشرعية ، والاحاديث الصحيحة الصريحة النبوية ، وكلام العلماء الاعلام ، من أئمة الاسلام .

ثم أن هذه الحكاية من الكذب المعلوم كذبه بالاضطرار ، عند من له معرفة بالنقل والاثار ، فان الشافعي لما قدم بغداد لم يكن ببغداد قبر ينتاب للدعاء عنده البتة بل ولم يكن هذا على عهد الشافعي معروفا وقد رآى الشافعي بالحجاز واليمن والشام والعراق ومصر وقبور الانبياء والصحابة والتابعين من كان أصحابها عنده وعند المسلمين أفضل من أبي حنيفة وأمثاله من العلماء فما باله لم يتوخ الدعاء إلا عنده ، ثم ان أصحاب أبي حنيفة الذين أدركوه مثل أبي يوسف ومحمد بن الحسن وزفر والحسن بن زياد وطبقتهم لم يكونوا يتحرون الدعاء عند قبر أبي حنيفة ولا غيره ، ثم ان الشافعي قد صرح في بعض كتبه بكراهة تعظيم قبور المخلوقين خشية الفتنة بها ، وانما يضع هذه الحكايات من يقل علمه ودينه ، واما أن يكون المنقول من هذه الحكايات عن مجهول لا يعرف ونحن لو روي لنا بمثل هذه المسببة أحاديث عمن لا ينطق عن الهوى ، لما جاز التمسك بها حتى تثبت ، فكيف بالمنقول عن غيره ؟ ثم هذه الحجج دائرة بين نقل لا يجوز اثبات الشرع به أو قياس لا يجوز استحباب العبادات بمثله ، مع العلم بأن الرسول لم يشرعها وتركه مع قيام المقتضى بمنزلة فعله وانما يثبت العبادات بمثل هذه الحكايات والمقاييس من غير نقل عن الانبياء والنصارى وأمثالهم وانما المتبع في اثبات أحكام الله كتاب وسنة رسوله ﷺ وسبيل السابقين الاولين لا يجوز اثبات حكم شرعي بدون هذه الاصول الثلاثة نصاً واستنباطاً بحال .

وأما قوله وقد ثبت توسل الامام أحمد بالشافعي فهو من نمط ماقبله مما يعلم

كل عاقل فضلا عن العالم بالضرورة أنه من الكذب بل لابد من رفع هذه الامور الى أصحابها بسند يعتمد عليه ودونه لا يسمع ثم لو ثبت ذلك فأفعالهم وتقريراتهم ليست من الحجة في شيء وحاشاهم من ذلك فهم أجل قدراً وأعظم خطرا من أن تجري منهم هـذه الامور ، وهي لم يفعلها أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ، وشيخ الاسلام بن تيمية قدس الله روحه أجاب في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم عن مثل شبه هذا الملحد بوجهين مجمل ومفصل ، وقد جاد فيها وافادا ، نذكر المجمل من كلامه طلبا للأختصار ، قال رحمه الله تعالى:

أما المجمل فالنقض فان اليهود والنصارى عندهم من الحكايات والقياسات من هذا النمط كثير بل المشركون الذين بعث اليهم رسول الله ﷺ كانوا يدعون عند أوثانهم فيستجاب لهم احيانا كما قد يستجاب لهؤلاء احيانا وفي وقتنا هذا عند النصارى من هذا طائفة ، فان كان هذا وحده دليلا على أن الله يرضى ذلك ويحبه ، فليطرد الدليل ، وذلك كفر متناقض ثم انك تجد كثيرا من هؤلاء الذين يستغيثون عند نبي أو غيره كل منهم قد اتخذ وثنا احسن به الظن وساء الظن بآخر ، وكل منهم يزعم أن قرينه يستجاب عنده ولا يستجاب عند غيره ، فمن المحال اصابتهم جميعا وموافقة بعضهم دون بعض ، تحكم وترجيح بلا مرجح ، والتدين بدينهم جميعا جمع بين الاضداد ، فان اكثر هؤلاء انما يكون تأثيرهم فيما يزعمون بقـــدر اقبالهم على وثنهم وانصرافهم عن غيره وموافقتهم جميعا فيما يثبتونه دون ما ينفقونه يضعف التأثير على زعمهم ، فان الواحد اذا أحسن الظن بالاجابة عند هذا وهذا لم يكن تأثير مثل تأثير الحسن الظن بواحد دون آخر ، وهذه كلها من خصائص الاوثان ثم إنه قد استجيب لبلعام ابن باعورا في قوم موسى المؤمنين ، وسلبه الله تعالى الأيمان ، والمشركون قد يستسقون فيسقون ويستنصرون ، انتهى . وفيه كفاية لمن كشف الله عن بصيرته حجب الغفلة والله الهادي الى السواء ثم ذكر حكايات واستغاثات لبعض الغلاة في الصالحين جوابها ما تقدم .

فصل

ثم قال : والآن في الدرعيـة أعلمني من حضر في صلاتهم يوم الجمعة شهراً يصلي معهم كل جمعة والخطيب ابن محمد ابن عبد الاهاب حسين الأعمى يقول في خطبته الثانية ومن توسل بالنبي فقد كفر .

والجواب ان يقال :هذا التفات من هذا الملحد بعـد فراغه من الخرافات والحـكايات والخزعبلات الى الاكاذيب المزورة الموضوعات ، وهذه الحكاية التي نقلها عن الشيخ حسين ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب مكذوبة موضوعة ليس لها أصلٌ بل هي من نمط ما تقـــدم من الزور والبهتان ومن جنس ما يذكره بعد من الهذيان .

وأما قوله عن أخي الشيخ سليمان انه قال له يوما كم أركان الاسـلام يامحمد بن عبد الوهاب ؟ فقال له خمسة فقال له بل أنت جعلتها ستة السادس من لم يتبعك ليس بمسلم هذا ركن سادس عندك للاسلام .

فالجواب أن يقال : قد علم أهل العلم والايمان براءة الشيخ من هذا ، وان دعوته الى طاعة الله ورسوله يأمر بتوحيده وينهى عن الشرك به وعن معصيته ومعصية رسوله ويصرح بأن من عرف الاسلام ودان به فهو المسلم في أي زمان وأي مكان ويشهد الله كثيراً في رسائله ويشهد أولى العلم من خلقه أن أحداً من أعدائه ان جاءه عن الله او عن رسـوله بدليل يرد شيئاً من قوله ويحكم بخطائه ليقبلنه على الرأس والعين ويترك ما خالفه أو عارضه ، وهـذا معروف بحمد الله وانما يرميـــه بمثل هذا البهت وينسبه اليه من جعل زوره وقدحه في أهل العلم والايمان جسرا يتوصل منه ويعبر الى ما انطوى عليه ، وزين له الشيطان من عبادة الصالحين والتوسل بهم وعدم الدخول تحت أمر أولى العلم ، وترك القبول منهم والاستغناء بما نشأ عليه أهل الضلال واعتادوه من العقائد الضـالة والمذاهب الجائرة قال تعالى حاكيا عن فرعون وقومه

فيما رموا به كليمه موسى ونبيه هارون عليهما السلام من قصد العلوّ والدعوة الى انفسهما (قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض وما نحن لكما بمؤمنين) وقال (لقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون فكذبوهما فكانوا من المهلكين) فانظر الى ما افادته اللام ان كنت من ذوي الالباب والافهام ، وقال تعالى عن قوم نوح انهم قالوا لنبيهم (ما هذا إلا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين) وانظر يا من نور الله قلبه ما زعم هذا المعترض ونزله على هذه الآيات الكريمات تعرف أن آل فرعون وقوم نوح لهم ورثة واتباع وعصابة واشياع يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا ، ويتكبرون على ورثة الرسل وأعلام الهدى تعاظما وحرجا ، ولا بد من الحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين ، وقد رأيت رسالة لشيخنا رحمه الله تعالى تشهد لما قررناه ونصها : من محمد بن عبد الوهاب إلى الاخ أحمد التويجري ألهمه الله رشده وبعد وصل الخط أوصلك الله الى ما يرضيه ، واشرفنا على الرسالة المذكورة وصاحبها ينتسب الى مذهب الامام احمد رحمه الله تعالى وما تضمنته من الشبه الباطلة في تهوين أمر الشرك بل في إباحته فمن أبين الامور بطلانا لمن سلم من الهوى والتعصب وكذلك تمويهه على الطغام بأن ابن عبد الوهاب يقول الذي مايدخل تحت طاعتي كافر ، ونقول سبحانك هذا بهتان عظيم ، بل نشهد الله على ما يعلمه من قلوبنا بأن من عمل بالتوحيد وتبرأ من الشرك وأهله فهو المسلم في أي زمان وأي مكان وانا نكفر من أشرك بالله في الالهية بعد ماتبين له الحجة على بطلان الشرك ، كذلك نكفر من حسنه للناس او اقام الشبه الباطلة على إباحته وكذلك من قام بسيفه دون هذه المشاهد التي يشرك بالله عندها وقاتل من انكرها وسعي في إزالتها والله المستعان ، انتهى المقصود منه . اوما نسبته ذلك إلى اخيه سليمان فلا مانع من ذلك لولا وجوب رد خبر هذا

الفاسق وعدم قبوله إلا بعد التبين ثم لو فرضت صحته فمن سليمان وما سليمان ؟ هذه دلائل السنة والقرآن تدفع في صدره وتدرأ في نحره وقد اشتهر ضلاله ومخالفته لأخيه مع جهله وعدم ادراكه لشيء من فنون العلم ، انتهى من كلام شيخنا رحمه الله من رده على جلاء الغمة . ثم قال رحمه الله تعالى : وقد رأيت له رسالة يعترض على الشيخ وتأملتها فاذا هي رسالة جاهل بالعلم والصناعه مزجى التحصيل والبضاعة لا يدري ما طحاها ولا يحسن الاستدلال بذلك على من فطرها وسواها ، وقد منّ الله وقت تسويد هذا بالوقوف على رسالة لسليمان ، فيها البشارة برجوعه عن مذهبه الاول وانه قد استبان له التوحيد والايمان وندم على مافرط من الضلال والطغيان ، فذكرها رحمه الله وجوابها ممن ارسلها اليه فمن اراد الوقوف عليها فهي مذكورة في رده مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الامام : ونسب اليه تكفير اهل الايمان والاسلام ، وذكرها ايضا الشيخ المحقق محمد بشير في صيانة الانسان وهذا بعض ألفاظ سليمان في رسالته إلى احمد بن محمد التويجري واخوانه قال ولكن يا اخواني معلومكم ما جرى منا من مخالفة الحق واتباعنا سبيل الشيطان ، ومجاهدتنا في الصد عن اتباع سبيل الهدى ، والآن معلومكم لم يبق من أعمارنا إلا اليسير والايام معدودة والانفاس محسوبة ، والمأمول منا ان نقوم لله ونفعل مع الهدى اكثر مما فعلناه مع الضلال ، وان يكون ذلك لله وحده لا شريك له لا لسواه ، لعل الله ان يمحو عنا سيئات ما بقي ، والمطلوب منكم اكثر مما تفعلون الآن ، وان تقوموا لله قيام صدق ، وان تبينوا للناس الحق على وجهه وان تصرحوا لهم تصريحا بينا بما أنتم عليه أولاً من الغي والضلال فيا اخواني الله الله فالامر اعظم من ذلك ، فلو خرجنا نجأر الى الله في الفلوات وعدّنا الناس من السفهاء والمجانين في ذلك لما كان ذلك بكثير منا الى ان قال : ومع هذا فلاعذر لكم عن التبين الكامل الذي لم يبق معه لبس وان تذاكروا دائما في مجالسكم ما جرى منا ومنكم أولا وان تقوموا

مع الحق اكثر من قيامكم مع الباطل فلا احق من ذلك الى آخر كلامه رحمه الله .

وأما قول هذا الملحد: وقال لابن عبد الوهاب رجل آخر ، كم يعتق الله كل ليلة في رمضان ؟ فقال مائة ألف في كل ليلة وفي آخر ليلة مثل ما في الشهر جميعه ، فلما اعلمه بذلك قال لم يبلغ من تبعك عشر عشير ماذكرت من هؤلاء المسلمين الذين يعتقهم الله ، وقد حصرت المسلمين فيك ومن تبعك .

فالجواب ان نقول : قد اجاب على هذا بعض العلماء المحققين فقال اقول : جوابه من وجوه : الاول عدم الاعتماد على خبر الفاسق الكاذب المفتري إلا بعد التبين ، والثاني ان في نفس هذا الخبر والحكاية ما يقضي كذبه من ان محمد بن عبد الوهاب قال له يعتق في كل ليلة مائة ألف وفي اخر ليلة يعتق مثل ما أعتق في الشهر كله فان هذا العـــدد لم يقع في حديث صحيح ولا حسن ، انما وقع في رواية ضعيفة شديدة الضعف أو موضوعة ، ومحمد ابن عبد الوهاب بحمد الله تعالى كان من نقاد أهل الحديث ، فكيف يتصور ان يجيب بهذا الجواب السخيف الساقط ؟ نعم جاء في حديث ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة وفي حديث أنه يغفر لامته في اخر ليلة من رمضان ، وعلى هذا فليس فيه اشكال على ان هذين الحديثين أنهما فيهما مقال ، أما الأول: فلان الترمذي قال في جامعه بعد ذكر هذا الحديث وحديث ابي هريرة الذي رواه ابو بكر بن عياش حديث غريب لا نعرفه من رواية ابي بكر بن عياش عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة إلا من حديث ابي بكر وسألت محمد ابن إسماعيل عن هذا الحديث فقال حدثنا الحسن بن الربيع حدثنا أبو الاحوص عن الاعمش عن مجاهد قوله قال اذا كان أول ليلة من شهر رمضان وذكر الحديث قال محمد : وهذا اصح عندي من حديث ابي بكر بن عياش وأما الثاني: فلأن في سنده هشام بن زيادا المقدام ضعفه احمد وغيره قال النسائي : متروك ، وقال بن حبان يروي الموضوعات عن الثقات ، وقال أبو داود كان غير ثقة ، وقال البخاري يتكلمون فيه كذا في الميزان والثالث : أن عدد المعتقين الواقع في

الرواية المذكورة في هذه الحكاية ان كان في كل زمان فهذا في غاية السقوط فأنه لا يصدق في زمان بداية الاسلام حين كان المسلمون قليلين لم يبلغوا هذا العدد ، وان كان في بعض الزمان فقد بلغ اتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بعض الزمان اضعاف اضعاف العدد المذكور ، على انه لو فرض عدم بلوغ اتباع الشيخ هذا العدد فايّ محذور على هذا التقدير ؟ اذ وجود المسلمين قبل الشيخ أو بعده موافق لهذا العدد كاف في صدق هذه الرواية ، الرابع : ان صدقه في كل زمان من أوضح الاباطيل ، اذ يجيء في قرب الساعة زمان يقبض فيه روح كل مؤمن فكيف يصدق هذا الحديث فهو اما باطل أو مؤول بأن يحمل على زمان يبلغ فيه عدد المسلمين هذا المبلغ أو يزيد وهذا التأويل كما يمكن من جانب من ليس من ليباع الشيخ كذلك ، يمكن من جانب اتباعه من غير فرق والخامس : ان بناء هذا التشنيع على ان يكون الشيخ قائلا بحصر المسلمين في نفسه واتباعه وقد علم فيما تقدم ان هذا افتراء على الشيخ صريح ، انتهى .

وأما قوله : وقال له اخر لم جعلت من نادى ولياً في قبره مشركا ، قل مجنون ؟ كأنه نادى جداراً لا يففعه ، فان المشرك الذي يجعل لله ندا وهذا انما نادى من لا ينفعه في عقيدتك وفي اعتقاد المنادي انه نافع له ، وقد جاء « لو اعتقد احدكم في حجر لنفعه »

فالجواب ان يقال : أولا هذه الحكاية لا أصل لها بل هي من التزويرات المصنوعات ، الموضوعات على الشيخ ان هذا قيل له وحاشا وكلا ، والشيخ اجل قدراً واعظم خطراً من ان يخاطب بهذه المجونات ، وعلى تقدير ثبوت هذه الحكاية وحاشا وكلا ، يقال من نادي ولياً في قبره فهو مشرك لانه لا ينفع ولا يضر ، ومن نادى جداراً أوحجراً أوشجراً كان المنادي أو غير ذلك ، فناداه واستغاث به في كشف كربة أو ازالة شدة أو قضاء حاجة سواء اعتقد فيه أنه ينفعه ويضره أو لم يعتقد فهو كافر مشرك ، وكفره أعظم من

كفر من اعتقد في ولي أو نبي ، وقد كفر الله من اعتقد في الاشجار كالعزى وفي الاحجار كمناة واللات ، وعلى هذا فليسوا بكفار عند هـذا الملحد ، فسبحان من طبـع على قلوب اعدائه الى ان بلغوا الى هذه الغاية .

وأما قوله : وقد جاء لو اعتقد احدكم في حجر لنفعه ، فهذا الحديث موضع مكذوب على رسول الله ﷺ وضعه سلف هؤلاء الملاحدة الغلاة من عباد القبور المعظمين لها ، فهم على اثارهم يهرعون وفي مهامه الغى يعمهون .

وأما قوله : وقال له رئيس قبيلة اخر ما تقول اذا اخـــبرك رجل ديّن صادق تعرفه بالصدق بأن قوماً عظيمة قاصدتك وراء الجبل ولم يجدوا للقوم أثراً ولا واحداً ولا جاءوا تلك الارض أصلا اتصدق الألف أم الواحد الصادق ؟ عندك قال : اصدق الألف قال له : اذا جميـع المسلمين من العلماء الأحياء كلهم والاموات في كتبهم يكذبون ما أتيت به ويزيفونه فنصدقهم ونكذبك .

فالجوب ان نقول : هذه الحـكاية الـكاذبة الخاطئة ، قد اجاب عليها بعض المحققين فقال اقول : الجواب عليه من وجوه : الأول عـدم الاعتماد على هذا النقل ، والثاني : ان ما حكاه عن الشيخ في جواب الصورة المفروضة من انه قال اصدق الألف لا يتصور ان يكون جواباً صحيحاً عموماً بل اذا كان الألف ذوي صـدق ودين وأمانة ممن لا يخافون في الحق لومة لائم وأما من ليس بذي صدق أو دين أو أمانة أو يخاف الناس كخشية الله فليكن الجواب على عكس ما حكي عن الشيخ وحين حكي الجواب عموما فهذا أول دليل على كذب هذه الحـكاية ، والثالث : أن هذا المثل ليس في محله فان ما عليه الشيخ ليس خبر رجل صادق ذي دين وأمانة بل هو قول رسول كريم ذي قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين ، فلا اعتداد بقول من خالفه وان كانوا الوفا . اذ الشيـخ لم يدع الى رأيه والى رأي أحد من الصحابة والتابعين أو تابـع التابعين أو رأي غيرهم من العلماء انما دعا الي اخـلاص التوحيد الذي

هو منطوق صريح بغير واحدة من الايات ، والرابع : ان قول السائل ان جميع المسلمين من العلماء الاحياء والاموات في كتبهم يكذبونك فيما أتيت به ويزيفونه كذب صريح هذا شيخ الاسلام ابن تيمية وبن القيم وابن كثير وابن عبد الهادي وغيرهم من أهل التوحيد ممن قبل الشيخ يصدقون الشيخ فيما اتي به بل لو ادعى ان جميع المسلمين من العلماء الاحياء والاموات موافقون للشيخ لكان له وجه فان كلهم يقولون إن الدعاء عبادة وعبادة غير الله شرك ، انتهى .

وأما قوله وقال له رجل آخر : الدين الذي جئت به متصل او منفصل فقال له : حتي مشائخي ومشائخهم الى ستمائة سنة كلهم مشركون فقال له الرجل دينك منفصل لا متصل فعمن أخذته قال وحي الهام كالخضر : قال له ليس محصورا فيك كل يدعي وحي الالهام .

فالجواب ان يقال : وهذا ايضا من نمط ما قبله من الأكاذيب المفتريات والحكايات الموضوعات فان هذا ما قيل للشيخ أصلا ولا أجاب على هذا أبدا ، والشيخ أجل قدرا وورعا وعلما ودراية من ان يجيب بمثل هذا الجواب الساقط ، ولم يقل الشيخ قط ان مشائخه ومشائخهم الى ستمائة سنة كلهم مشركون ، وان ديني وحي الهام ، ومعاذ الله من ذلك وذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار .

وأما قوله : ثم قال له ان التوسل مجمع عليه عند أهل السنة بالنبي ﷺ حتى ابن تيمية ذكر فيه وجهين وذكر كلام محمد بن عبد السلام الشافعي وحتى الافارض والخوارج والمبتدعة قائلون بصحة التوسل به ﷺ ولا حجة لك بالتكفير أصلا .

فالجواب ان يقال : وهذه ايضا من الكذب والبهتان فان الشيخ قد قال في الرسالة التي كتبها الى عبد الله بن سحيم في جواب هذا الطعن سبحانك هذا بهتان عظيم ، والشيخ رحمه الله يعلم ان التوسل بالنبي ﷺ التوسل الشرعى في

حياته حق كما كانوا يتوسلون به عند القحط وغيره ، وقد قدمنا معني التوسل بالنبي وانه طلب الدعاء منـه والاستشفاع وهذا لا ينكره أحد وليس النزاع فيه ، وانما النزاع في التوسل بالاصطلاح الحادث الذي انكره شيخ الاسلام بن تيمية وابن القيم وكافة أهل العلم والدين ، فهذا اجماع عباد القبور واهل السنة مخالفون لهم في ذلك وشيخ الاسلام لم يحك فيه وجهين بل ذلك الاقسام على الله بنبيه فأجازه بن عبد السلام بالنبي خاصـــة ومنعه عن غيره عموما ولم يتابعه على ذلك شيخ الاسـلام بل ذكر انه لا يعلم قائلا به غير بن عبد السلام واما الارفاض والخوارج والمبتدعة فنعم هم سلفك في هذا وبئس السلف ونحن نبرأ الى الله منك ومنهم وممن تبعك على اعتقاد صحة هذا التوسل بهذا الاصطلاح المحدث . واما قوله فقال له عمر : استسقى بالعباس لم لا استسقى بالنبي ﷺ ؟ فقال له : حجة عليك استسقاؤه بالعباس بأنه يصح التوسل بغيره ، فأقول : هذا الدعاء بلا دليل بل يرده لفظ الحديث فان فيه ان عمر رضي الله عنه قال : اللهم انا كنا نتوسل اليك بعم نبينا ﷺ فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا ، هذا لفظ البخاري وهو عند الاسماعيلي من رواية محمد بن المثنى عن الانصاري باسناد البخاري الى أنس قال : كانوا اذا قحطوا على عهد النبي ﷺ استسقوا به فيستسقي لهم فيسقون فلما كان في امارة عمر فذكر الحديث هكذا في الفتح ، فلو كان يصح بميت غيره لما عدل الفاروق الى العباس ، وهم في حال شدة وحاجة الى الغوث ، فكان هذا دليلا على انه لا يجوز بميت لا به ولا غيره .

واما قوله : وحجتك بحديث عمر فعمر روي حديث توسل آدم بمحمد لما اكل من الشجرة وعصي ربه فتاب عليه بتوسله بمحمد ﷺ فسكت ولم يرد جوابا وبقي على عمايته .

فالجواب ان يقال : قد بينا ان هذه الحكاية لا اصل لها والشيخ يعلم ان هذا الحديث كذب على رسول الله ﷺ فكيف يسكت عن الجواب ؟ فهذا مما يبين كذب هذه الحكاية وانها مفتعلة ، وسيأتي الكلام على هذا الحديث في محله .

واما قوله لما صح فيه وفي اتباعه كما جاء في الحديث الذي في البخاري وذكر حديث الخوارج ، فالجواب ان نقول : ليس هذا الحديث في الشيخ واتباعه ، وانما هو في الخوارج الذين مرقوا ، والشيخ بريء منهم ومما يعتقدون بل هو من اهل السنة والجماعة المخالفين للخوارج ولعباد القبور وقد تقدم الكلام على ذلك فيما مضى .

فصل

ثم قال الملحد : وينبغي اليوم في هذا الوقت من الحوادث التى حدثت في الثلم في الدين باعتقاد العلماء قول البدعي ان الاستغاثة شرك ، فالعالم والمقتدي به ينبغي له ان يظهر الاستغاثة ليقتدي به .

والجواب ان يقال : ما كان الشيخ بدعيا بل كان حنفيا مسلما وما كان من المشركين ، وقد سبق كلام الشيخ على ان الاستغاثة بغير الله شرك شيخ الاسلام بن تيمية وتلميذه ابن القيم وكافة علماء المسلمين ، قال شيخ الاسلام رحمه الله في الرسالة السنية : فاذا كان على عهد النبي ﷺ ممن ينتسب الى الاسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة ، فليعلم المنتسب الى الاسلام والسنة في هذه الازمان قد يمرق ايضا من الاسلام لأسباب منها : الغلو في بعض المشائخ بل الغلو في علي بن أبي طالب بل الغلو في المسيح عليه السلام فكل من غلا في نبي او رجل صالح ، وجعل فيه نوعا من الالهية مثل ان يقول ياسيدي فلان انصرني او اغثني او ارزقني او انا في حسبك ونحو هذه الاقوال ، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فان تاب وإلا قتل الى آخر كلامه ، وقد تقدم والمقصود انه جعل الاستغاثة شركا وضلالا ، وقال بن القيم رحمه الله ومن انواعه يعني الشرك طلب الحوائج من الموتي والاستغاثة بهم والتوجه اليهم وهذا أصل الشرك العالم ، فان الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ضلاعمن استغاث به او سأله ان يشفع له الى الله ، وهذا من جهله بالشافع

والمشفوع عنه الى آخر كلامه ، قال هذا الملحد يزعم ان القول بأني الاستغاثة بغير الله شرك من الحوادث التى حدثت من الثلم في الدين ، فينبغي للعلماء ان يظهروا الاستغاثة ليقتدى بهم في ذلك ، ثم قال : فقـــد نقل عن الامام محمد ابن ادريس الشافعي عالم قريش رضي الله عنه يقال عنه انه قال : اني اخالف حفصا الفرد حتي في قول لا إله إلا الله او كما قال من نحو هذا ، ومقصود هذا الملحد ان مخالفة شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب في كل شيء مطلوبة ، لأنه في زعمه مبتدع ، ثم ذكر اجماع العلماء من اهل المذاهب الاربعـة بأن ابن عبد الوهاب واتباعه زنادقة وانهم لم ينتحلوا دينا يعتمد عليه ، وليس هذا بمستنكر ولا ببدع من تجازف هذا الملحد وعداوته لمن قام بتوحيـــد الله واخلاص العبادة له والدعوة الى ذلك فالله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل .
واما دعوى اجماع العلماء من اهل المذاهب الاربعـة على ان الشيخ واتباعه زنادقة الى آخر كلامه ، فهذه الدعوى من ابين الكذب وابطل الباطل واحل المحال فان هذا مما لا يمكن وقوعه ومن الذي قال ذلك ممن يعتد بقوله اللهم إلا من كان من دجاجلة عباد القبور مع تعمده للكذب والفجور وقول الزور .

واما قولة : وما معهم من الحق كمن معه زباد فخلطه بعـذرة ، فانظر كلام هذا الملحد وما اراد بالحق الذي هو كالزباد وما اراد بالعذرة التي خالطت الحق ثم احكم ايها المسلم بما اراك الله من الحق والله المستعان .

ثم قال ولله در الشيخ محمد بن عبد الله بن فيروز الحنبلي لمـا قام مجتهدا ابتغاء مرضاة الله في اطفاء بدعة هذا الخبيث كلما رآى وجها لبعض اهل المذاهب الأربعة تبـع ذلك الوجه اذا كان مخالفا لمـا يعمله او يقوله ابن عبد الوهاب البدعي واتباعه وذلك لأجل اظهار المخالفة .

والجواب ان يقال : قد كان من المعلوم ان محمد ابن فيروز من أئمة الضلال وممن شرق بهـذا الدين واظهر عداوة المسلمين وبالغ في عداوة اهل التوحيد بكل ممكن ولا يبعد ان يصدر منه ذلك ، وقد كتب وصية يستغيث فيها بوالى

البصرة سليمان باشا ويستجيشه على اهل الاسلام وقد وصلت منظومته الى الشيخ حسين بن غنام رحمه الله فإجاب عليها فأفاد وأجاد فقال رحمه الله تعالى :

على وجهها المسوم بالشوم قد خطا ... عروس هوىً ممقوتة زارت الشطّا
تخطت فاخطت في المساعي مرامها ... ومرسلها عن نيل مقصوده أخطا
وثارت لنار الشرك تذكي ضرامها ... وسارت فبارت والاله لها قطا
لقد شوهت مازخرفته بزورها ... كما انها بالمين قد أحكمت ربطا
وقد جاء منشيها بزور ومنكر ... وفحش وبهتان يَمُطّ به عطا
وحان به داعي العناد لمهيع ... تنكب عن سبل الهداية واشتطا
فضلّ عن الارشاد للحق واعتدى ... وغطّ اناساً في طريقته غطا
وجاوز منهاج الهداية راضياً ... عن الدين وبالدنيا فما نالها بسطا
يحاول تشييداً ورفعاً لما وهت ... قواعده فوق البسيطة وانحطا
ويسعى بتحريض وتهييج فتنة ... تصير اذا شبت لحاء العدى شمطا
وربك بالمرصاد ممن يريد أن ... يؤسس ركن الشرك من بعد ان حطا
فلا عجباً من يعش عن ذكر ربه ... يقيّض له الشيطان ينشطه نشطا
لقد خاب مسعى من غدا طول عمره ... يصد عن التوحيد من دان او شطا
ولا كابن فيروز يروم سفاهة ... دفاعاً لِحَقٍ في البرية قد وطّا
وصار يذود الناس عما أتى به ... أجل شفيع في الورى لِلّوا يعطا
ويدعو الى نهج الضلالة معلناً ... ومنهاج أهل الزيغ جهراً به أطا
يغالب أمر الله والله غالبٌ ... ويندب من لا يملك الرفع والحطا
ويرجو من المخلوق غوثاً ونصرة ... يناديه من بعدٍ اغثنا بلا ابطا
وذاك من الاقدار ما فك نفسه ... ولم يغن عنه المال اذ بذل الشرطا
لئن كان يدعوه لتفريج كربة ... فليس سوى الرحمن ندعو بلااستبطا
فبشراه بالخسران والذل ان سعى ... بهدم لهذا الدين أو وافق الضغطا
ومن جرب الاشياء يكفيه ماجرى ... ويلقي اباطيلا عن الاهتدى شحطا

وينظر في عقبى الخيانة والردى ... فكل امرىء خان العهود غدا سقطا
وللشهم في تلك القضايا مواعظ ... يرد بها عنه الغواية والهمطا
وكم دولة كادت وقادت جموعها ... فبادت ومافادت وما ادركت مسطا
يريدون اخفاءً لما الله مظهر ... واتمام نور الله بالحفظ قد حيطا
رويداً فوعد الله لا بد واقع ... وقد وعد التمكين من عمل القسطا
ومن عارض الاقدار أو سخط القضا ... فربّك قهّار له المنع والا عطا
وما ذاك الا معتد ذو حماقة ... توغل في الابلاس واغتر وانغطا
فويل له يوم القصاص وحيث لا ... مناص وأهل النار تسرطهم سرطا
سمت عصبة التوحيد عما يشينهم ... وعن وصفهم بالكفر لكنه الاخطا
أيوصف بالطاغوت من جدد الهدى ... وأحيا أصول الدين والسنة الوسطا
وأعلن بالأسلام والدعوة التي ... لها كشط المختار رؤس العدى كشطا
وقام بأمر الحق في جاهلية ... وأهل الردى والشرك تحسبه خلطا
وأطلع مولاه نجوم سعوده ... بآل سعود حين صاروا له سبطا
فسبحان من عم العباد بحلمه ... وفي هذه الدنيا بامهاله غطا
يكفر قوماً بالكتاب تمسكوا ... وبالهدي والاجماع ما خالفو الشرطا
وما عمموا بالكفر بل خصصوا به ... أناسا من الاشراك اعمالهم حبطا
أفي محكم التنزيل تكفير من دعا ... الى الله والتقوى واسلام من شطا
أهل الهوى والزيغ والفرق التى ... تحرف وحي الله حازوا الهدى خرطا
وهل جاء في التنزيل والوحي شاهد ... بتحقيق اسلام الروافض قد خطا
ومن قد نحا في الدين سنة صحبه ... ينادي عليهم انهم خبطوا خبطا
فتباً وسحقاً يا لها من مقالة ... من الافك والبهتان قد سحبت مرطا
ابا عُمَرٍ هُنِيتَ بل هَنِيَّ الورى ... بما نلت والتوحيد حاز بك البسطا
اليك القرى والمدن ترنو عيونها ... تمناك ترعاها فتملؤها قسطا
وترتاح من عليا سعود ونصره ... وتغبط نجدا والحسا الآن والخطا

فجهز لها المنصور بالبشر تلقه — وتفرش اكراما لاقدامه بُسط
فقد طرّز الاقبال آيات فوزه — براياته والنصر والفتح قد خُطا
ودم شاربا كأس المسرة والهنا — بأطيب عيش والعدا تأكل الخمطا
وازكى صلاة يفضح المسك عُرفها — تعم رسولا في الورود لنا فرطا
كذا الآل والاصحاب ماخط كاتب — ونمّق في مرسومه الشكل والنقطا

والمقصود ان هذا الرجل اعني بن فيروز من أئمة أهل الضلال الداعين الى الشرك بالله بالافك الزور والمحال فأبادهم الله تعالى ومزقهم ايدي سبا وأعلى الله كلمته ونصر جنده فكانوا هم الغالبين ، وجعل الله العاقبة للاسلام وأهله ومحق الشرك ومن قام معهم في عداوة أهل التوحيد ، فكأن لم يغنوا بالامس فلله الحمد وله المنه .

فصل

ثم قال الملحد : وسنزيدكم بياناً في التوسل والاستغاثة بالانبياء والصالحين والاولياء ، قال الامام الرملي في شرحه في ايضاح الامام النووي : وأعلم ان مما يدل لطلب التوسل به ﷺ ، وان ذلك هو سيرة السلف الصالح من الانبياء والاولياء وغيرهم ما أخرجه الحاكم وصححه أنه ﷺ قال : « لما اقترف آدم عليه السلام الخطيئة قال يارب أسألك بمحمد رسول الله ﷺ الا ماغفرت لي فقال تعالى ياآدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه قال يارب انك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله الاّ الله محمد رسول الله ﷺ فعلمت انك لم تضف الى اسمك الاّ أحب الخلق اليك فقال الله تعالى صدقت ياآدم انه لأحب الخلق اليّ واذا سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك » وأطال .

والجواب ان يقال : هذا الحديث موضوع مكذوب باتفاق أهل العلم بالحديث كما جزم به شيخ الاسلام في كتاب الاستغاثة في الرد على ابن البكري

وأهل العلم بينوا ذلك قال الذهبي في الميزان : روى عبدالله بن مسلم ابو الحارث الفهري عن اسماعيل بن مسلمة ابن قعنب عن عبد الرحمن بن زيد ابن اسلم خبرا باطلا فيه « يا آدم لولا محمد ماخلقتك » رواه البيهقي في دلائل النبوة قال في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الاوسط والصغير ، وفيه من لا اعرفهم ، انتهى : وذكر الحافظ بن عبد الهادي عن الامام مالك رضي الله عنه انه قال فيه : اذهب الى عبد الرحمن بن زيد بن اسلم يحدثك عن أبيه عن نوح وقال الربيع بن سليمان : سمعت الشافعي يقول : سأل رجل عبد الرحمن ابن زيد بن اسلم حدثك أبوك عن أبيه عن جده ان سفينة نوح طافت بالبيت وصلت ركعتين قال : نعم ، وقال ابن خزيمة : عبد الرحمن بن زيد ليس ممن يحتج أهل العلم بحديثه ، وقال الحافظ أبو نعيم الاصبهاني : حدث عن ابيه لا شيء ، وقال في الصارم المنكي أيضاً : واني لاتعجب منه كيف قلد الحاكم فياصححه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن اسلم الذي رواه في التوسل وفيه قول : الله لآدم « ولولا محمد ماخلقتك » مع انه حديث غير صحيح ولاثابت بل هو حديث ضعيف الاسناد جداً وقد حكم عليه بعض الائمة بالوضع ، وليس اسناده من الحاكم الى عبد الرحمن بن زيد صحيحاً بل هومفتعل على عبدالرحمن كما سنبينه ولو كان صحيحاً الى عبد الرحمن لكان ضعيفاً غير محتج به ، لأن عبدالرحمن في طريقه ، وقد اخطأ الحاكم في تصحيحه ، وتناقض تناقضا فاحشا كما عرف له ذلك في غير موضع ، فانه قال في كتاب الضعفاء بعد ان ذكر عبد الرحمن منهم وقال ما حكيت عنه فيما تقدم انه روى عن ابيه احاديث موضوعة لا تخفي على من تأملها من أهل الصنعة ان الحمل فيها عليه قال في آخر الكتاب فهؤلاء الذين قدمت ذكرهم قد ظهر عندي جرحهم لأن الجرح لا يثبتُ إلا ببينة فهم الذين ابين جرحهم لمن طالبني به ، فان الجرح لااستحله تقليداً ، والذي اختاره لصاحب هذا الشأن لا يكتب حديث واحد من هؤلاء الذين سميتهم ، فالراوي لحديثهم داخل في قوله ﷺ « من حدّث عني

بحديث وهو يري أنه كذب فهو احد الكاذبين » هذا كله كلام الحاكم ابي عبد الله صاحب المستدرك وهو متضمن ان عبد الرحمن بن زيد قد ظهر له جرحه بالدليل ، وان الراوي لحديثه داخل في قوله ﷺ : « من حدث عني بحديث وهو يرى انه كذب فهو احد الكاذبين » انتهى .

فتبين من كلام العلماء حملة السنة وأهل الجرح والتعديل الذين حفظ الله بهم الدين عن تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الزائفين ، ان هذا الحديث موضوع مكذوب لايعتمد عليه ، وأقل أحواله ان يكون ضعيفاً ، ولا نقول على رسول الله حديثا لا نجزم بصحته وثبوته وان كان قد صححه الحاكم ، فالجرح مقدم على التعديل مع انه قد قال في عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ما قال فنأخذ بقوله مع أقوال أئمة هذا الشأن ولا نأخذ بغلطه وخطائه فيما اخطأ فيه .

ثم ذكر الملحد في التوسل كلاما طويلا نحو ما مرّ عن من لا يعتمد على قوله ولا يعول عليه كالسبكي وغيره بمن لا يحتج بقوله ، ومما يبين لك ايها المسلم شدة غباوتهم وسخافة عقولهم ما ذكره بقوله وكذلك التوسل بالانبياء والصحابة والتابعين والعلماء والصالحين والاستغاثة بهم أحياء وأمواتا لانهم يعرفون الله اكثر منا ، ومن كان هذا غاية علمه ودينه ويقينه ومعرفته فحقيق ان لا يكترث باسهابه واطنابه بما هذا محصله اذ كله عجعجة بلا طحن ، فلنقتصر على ما ذكرنا من ايضاح بطلان ماموّ هوابه من الخرافات والهذيان ، ومما يزيد المسلم بصيرة فيما يحكيه هؤلاء الغلاة الملاحدة قوله : فاذا كان الشرع واردا بالتوسل بالانبياء والملائكة أحياء وأمواتا ، فهل نتوسل بالظلمة ؟ بأن نقول اللهم رب فرعون وقارون ونمرود وهامان اغفر لي مع أنه ربهم أم نقول كما ثبت ؟ اللهم رب الكعبة وبانيها وفاطمة وأبيها وبعلها وبنيها نوّر بصري وبصيرتي وسري وسريرتي ، وقد جرب هذا الدعاء بنور البصر عند الاكتحال .

وهذا الدعاء من الاوضاع المكذوبة فانه لم يذكر له سند ولاعزاه الى

كتاب ولا الى عالم من العلماء المقتدي بهم ، وما كان هذا سبيله فهو مطرح ساقط . ثم ذكر بعد هذا قوله : فالعجب من النجدي كيف ساغ له ان ينكر على الاكابر بل يسميهم مشركين لما استغاثوا بالاموات وتوجهوا بهم مستشفعين بهم الى باريهم مع تضافر النصوص المتقدمة على جواز التوسل والاستغاثة ومع ذلك انكر الاحاديث وخرق الاجماع واظهر الابتداع .

فنقول : هذا كله كذب إلا إنكار الاحاديث وخرق إجماع عباد القبور فان الشيخ لاينكر على الاكابر من أهل العلم وانما انكر الكذب على العلماء ونسبة فعل الشرك اليهم وحاشا أهل العلم واكابر السلف والخلف ان يكونوا بهذه المثابة والنصوص المتقدمة إما موضوعة أومصروفة مؤلة عما وضعت له والشيخ رحمه الله ما خرق الاجماع ولاأظهر الابتداع بل وافق الاجماع واظهر الاتباع ونفي الابتداع وأما اجماع عباد القبور فخرقه واجب على كل مسلم .

وأما قوله : وقد ورد اللهم اني اسألك بحق السائلين عليك الى آخره .

فأقول : هذا الحديث فيه عطية العوفي وهوضعيف وعلى تقدير ثبوته وصحته هو من هذا الباب فان حق السائلين عليه سبحانه ان يجيبهم وحق المطيعين له ان يثيبهم فالسؤال له والطاعة له سبب لحصول اجابته واثابته فهو من التوسل به والتوجه والتسبب به ولو قدر انه قسم لكان قسما بما هو من صفاته فان اجابته واثابته من افعاله وأقواله فصار هذا كقوله ﷺ في الحديث الصحيح «اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك لااحصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك » والاستعاذة لا تصح بمخلوق كما نص عليه الامام احمد وغيره من الائمة ، انتهى من كلام شيخ الاسلام بن تيمية رحمه الله وقد تقدم الكلام على قوله اسألك بحقي وحق النبيين من قبلي وانه موضوع مكذوب وكذلك الكلام على حديث الاعمى ، وأما ما ذكره في صحيح البخاري ومسلم من دعاء الانسان بصالح عمله كما في حديث أهل الغار ، فهذا هو المشروع المسنون المأثور في الاحاديث الصحيحة ، وأما قياس من

قاس الذوات بالأعمال الصالحة فهو قياس فاسد مردود كما ذكره أهل العلم واوضحه صاحب صيانة الانسان فافاد واجاد .

وأما قوله : قال الشيخ عيسى بن مطلق المالكي في الرد في رسالته على انكار النجدي على البوصري وذكر في كلامه البيت الذي أنشده الاعرابي ، الذي أتي النبي ﷺ وانه أتي فيه بأداة الحصر التي هي قوله إلا اليك فرارنا ، وقوله الا الى الرسل فهو اعظم وابلغ من قول البوصيري ، فأقول : قد تقدم الكلام على ذلك وان في سنده الملائي وهو واه فلا اعتماد عليه والشيخ محمد رحمه الله اعلم بحديث رسول الله ﷺ منكم ، فلا يعتمد على الموضوعات ولا على مالا يصح سنده بالروات والثقات ، فما عمي عن هذا الحديث فصار انتصار هذا المكي للبوصيري لما صدر منه من الاقوال الشركية بهذا الحديث الذي لا يصح ولا يعتمد على مثله ، فالحمد لله الذي جعلهم بهذه المثابة ، وكذلك الحديث الذي ذكر عن بن عباس رضى الله عباس رضي الله عنهما . انه قال : « أوحى الله الى عيسى عليه السلام ان آمن بمحمد ومر من أدركه من أمتك ان يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن » ذكره بن حجر في كتابه الدر المنظم ، وهذا الحديث لا يصح بل هو من الموضوعات ولم يذكر له سند ولا عزاه الى شيء من الكتب المعتمدة ، فلابد من ذكر رواته وتوثيقهم والا فلا يسمح ، وان ذكره بن حجر فهو كغيره مما ذكره من المكذوبات الموضوعات .

ثم ذكر كلاما لا حاصل في الجواب عنه ، وقد تقدم الكلام على جنسه ، ثم قال : ومنه ما روى البيهقي وابن أبي شيبة بسند صحيح عن مالك الدار وكان خازن عمر قال : أصاب الناس قحط في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجاء رجل الى قبر النبي ﷺ فقال : يارسول الله استسق لأمتك فانهم قد هلكوا ، فأتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال : إئت عمر فاقرئه السلام واخبره

أنهم مسقون وقل له عليك الكيس الكيس أي الفعل ، فأتي الرجل عمر فأخبره فبكي عمر ، ثم قال : يارب ما آلوا إلا ما عجزت عنه وبيّن سيف في الفتوح ، ان الذي رآي هذا في المنام بلال ابن الحارث أحد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

والجواب ان نقول : ليس في هذا الحديث دلالة على جواز دعاء النبي ﷺ والتوسل به والاستغاثة به بل هو من جنس المنامات التي لا يعتمد عليها في الأحكام ولا يثبت بها حكم شرعي ، وأيضا ففي هذا الحديث مقال مشهور ، قال الحافظ في الفتح : وروي ابن أبي شيبة باسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الداري وكان خازن عمر رضي الله عنه ، قال : أصاب الناس قحط في زمن عمر رضي الله عنه فجاء رجل الى قبر النبي ﷺ في المنام « فقيل له إئت عمله » الحديث ، وقد روى سيف في الفتوح ان الذي رآى في المنام المذكور هو بلال ابن الحارث المزني أحد الصحابة ، انتهى . فعلم أن ماروي باسناد صحيح ليس فيه ان الجائي أحد الصحابة ضعيف غاية الضعف قال الذهبي في الميزان سيف ابن عمر الضبيعي الأسدي ويقال التميمي البرجمي ويقال السعدي الكوفي مصنف الفتوح والرواة وغير ذلك هو كالواقدي يروي عن هشام ابن عروة وعبيد الله بن عمر وجابر الجعفي وخلق كثير من المجهولين كان ايخبار ياعارفا روي عنه عبادة بن المفلس وابو معمر القطيعي والنضر ابن حماد العتكي وجماعة قال عباس عن يحي ضعيف وروي مطين عن يحى فلس خير منه قال أبو داود ليس شيء وقال أبو حاتم متروك قال الحافظ في التقريب سيف ابن عمر التميمي صاحب الردة ويقال له الضي ويقال غير ذلك الكوفي ضعيف في الحديث عمدة في الاخبار افحش ابن حبان القول فيه انتهى وقال الذهبي في الكاشف قال بن معين وغيره ضعيف فهذا بعض ما قيل في حديث بلال بن الحارث الذي رواه البيهقي وابن أبي شيبة وعلى تقدير ثبوت صحته فغاية ما فيه انه رآى رسول الله ﷺ في المنام وهو يأمره ان يأتي عمر

فيأمره ان يخرج يستسقي بالناس وهذا ليس من هذا الباب الذي نحن بصدد الكلام فيه فان هذا قد يقع كثيرا لمن هو دون النبي ﷺ وهذا لا يدل على جواز التوسل بالأموات والاستغاثة بهم بوجه من الوجوه لما بينا فيما مضى .

وأما قوله في تفسير تفسير قوله : وعليك الكيس الكيس ، أي الفعل فهو تصحيف منه ، قال في القاموس : الكيس خلاف الحمق والجماع والطب والجود والعقل والغلبة بالكياسة ، قال : والكيس الجيد الظريف ، فأين الأمر بالفعل ؟ واظنه سمع ان العقل من معاني هذه الكلمة ، فحسب انه الفعل ، ولا عجب من قلة معرفته .

ثم ذكر جملة ممن صنف في التوسل ورد على الشيخ محمد رحمه الله تعالى وكل من ذكر ليسوا من أهل العلم المحققين ، بل من الغلاة المفترين والدعاة إلى غير سبيل المؤمنين ، ثم ذكر جملاً من المفتريات التي تقدم ذكرها في أول كتابه ، وقد ذكر الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالته لما دخلوا مكة المشرفة نصف النهار من شهر محرم سنة ١٢١٨ واجتمع بعلماء مكة واشرافها وفاوضهم فيما يدعون في رسالته اليه من التوحيد لله وحده والنهي عن الشرك مما كانوا عليه فوافقوا على ذلك جملة وتفصيلا وبايعوا على ذلك ، وفيما ذكر لعلماء مكة ، قال : واما ما يكذب علينا ستراً للحق وتلبيساً على الخلق بأنا نفسر القرآن برأينا ونأخذ من الحديث ما وفق فهمنا من دون مراجعة شرح ولا معوّل على الشيخ وانا نضع من رتبة نبينا محمد ﷺ بقولنا النبي رمة في قبره وعصا أحدنا انفع له منه وليس له شفاعة وان زيارته غير مندوبة وانه كان لا يعرف معنى لا إله إلا الله حتى أنزل الله عليه ، فاعلم انه لا إله إلا الله مع كون الآية مدنية وانا لا نعتمد أقوال ونتلف مؤلفات أهل المذاهب لكون فيها الحق والباطل وانا مجسمة وانا نكفر الناس على الاطلاق أهل زماننا ، ومن بعد الستمائة إلا من هو على ما نحن عليه ، ومن فروع ذلك انا لا نقبل بيعة أحد حتى يقرر على نفسه بأنه

كان مشركاً وان أبويه ماتا على الاشراك بالله وانا ننهي عن الصلاة على النبي ﷺ ونحرم زيارة القبور المشروعة مطلقا وان من دان بما نحن عليه سقط عنه جميع التبعات حتى الديون ، وانا لا نرى حقا لأهل البيت رضوان الله عليهم ، وانا نجبر على تزويج غير الكفو لهم وانا نجبر بعض الشيوخ على فراق زوجته الشابة لتنكح شابا اذا ترافعوا الينا فجميع هذه الخرافات وأشباهها لما استفهمنا عنها من ذكرا ولا كان جوابنا على كل مسألة من ذلك سبحانك هذا بهتان عظيم فمن روى عنا شيئا من ذلك او نسبه الينا فقد كذب علينا وافترى ومن شاهد حالنا ورأى مجلسنا وتحقق ماعندنا علم قطعا ان جميع ذلك وضعه علينا جماهير أعداء الدين واخوان الشياطين تنفيراً للناس عن الاذعان لإخلاص التوحيد لله بالعبادة وانا نعتقد ان من فعل أنواعاً من الكبائر كالقتل للمسلم بغير حق ، والزنا والربا وشرب الخمر وتكرر ذلك منه لا يخرج بفعل ذلك عن دائرة الاسلام ولا يخلد به في دار الانتقام إذا كان موحداً لله في جميع أنواع العبادة ، انتهى .

وبهذا تعلم انما ذكره هذا الملحدههنا وفيما مضى ، انهمن الكذبوالعدوان والزور والبهتان فالله المستعان .

فصل

ثم ذكر الملحد الفصل الخامس عشر وذكر فيه أنموذجاً من المفتريات المتقدم ذكرها وحاصله في الصلاة على النبي ﷺ بعد الاذان على المنابر ليلة الجمعة وانه غير بدعة ، وذكر رد محمد بشير قاضي رأس الخيمة من بلدان عمان وفيه أي رد محمد بشير راعي رأس الخيمة في الصواعق والرعود ان الربابة في بيت الخاطئة أقل اثما ممن يناجي ويذكر بالصلاة على النبي ﷺ على المنابر وينهى عن الدعاء بعد الصلاة . زعم هؤلاء المفترون ان الشيخ يقول ذلك .

ونقول سبحانك هذا بهتان عظيم ، واذا تأمله المنصف وجده كله خرافات وتلفيقات وتمويهات لا يذكرها من له المام بالعلوم الشرعية ومعرفة بالاحكام الفرعية وقد تقدم الكلام عليها ، وذكرنا أول من أحدثها وما سبب ذلك ، وذكر أهل العلم انها من البدع المحدثة في الاسلام ، بخلاف ما ذكره قاضي رأس الخيمة من انه إن تكن الصلاة على النبي على المنابر بعد الآذان من ليلة الجمعة بدعة ، فتأليف الكتب ، وتدوين الحديث ، وترتيب مسائل الفقـــه ، والتراويح والجرح والتعديل ، وتدوين اللغة والتفسير ، كل ذلك بدعة على زعمه . واذا لم تكن بدعة فالصلاة المحدثة على المنابر ليلة الجمعة بعد القرون المفضلة أولى أن لا يكون بدعة على تأصيله وتفصيله والعـــاقل يسير فينظر ما الجامع بينهما وما الفارق ، وكذلك ذكر ما احدثه الناس من رفع اليدين بالدعاء بعد الصلاة المكتوبة ، وقد تقدم الكلام على ذلك كما هو معروف في الهدي النبوي لابن القيم ، وفي اجوبة شيخ الاسلام ابن تيمية ، واما الادعية المأثورة دبر الصلاة فالشيخ يأمر بها ويذكر سنتها وما يترتب عليها من الفضل وقد طوينا الكلام على ما في هذا الفصل لانه قد تكرر الجواب عنه واكثره مما لا طائل في الجواب عنه لعدم الفائدة المترتبة على ذلك .

فصل

ثم ذكر الفصل السادس عشر ، وذكر فيه أن الشيخ محمد رحمه الله يقول : في مذهب الامام ابي حنيفة انه ليس بشيء .

فالجواب أن نقول : جميع ما في هذا الفصل مما ذكره عن الشيخ في الطعن على الامام أبي حنيفة كذبٌ وزورٌ وفجور ، والشيخ لا يقول هذا فيمن هو دون ابي حنيفة رحمه الله ، فكيف بالامام المعظم والكبير المفهّم ، رابع الأئمة الاربعة المشهود لهم بالعلم والدراية والتقدم ، والفضل والفقه ، والورع والزهد ، وغير ذلك . وأما رد عبد الوهاب بن احمد بركات المكي فهو رد على

لا شيء انما أصَّلَ وفصَّلَ واجاب نفسه بنفسه ، فهو الذي اخترع الكذب والافك من عند نفسه ، والجواب عليه او تلقّى أكاذيب اعداء الله ورسوله ولم يثبت ويتبين في ذلك بل صدق ما يعتـــاده من توَهمٌ ، وهكذا حال كل مبطل .

وأما ماذكره الحداد فيمن ابتدع بدعة وما ذكر في ذلك من الاحاديث والاخبار من الوعيد ، فهو الصق به وبأصـــحابه إذهم أهل البدع والمحدثات في الدين ، والبدع منهم خرجت واليهم تعود ، ثم قال بعد ذلك : وفيما تقدم كفاية وافهم ما أمليناه عليك اذا رأيتهم واجتمعت بهم أن تحكم عليهم بحكم الأئمة الاربعة ولا تقبل منه ما يخالف كلامهم ، وان استدل بحديث وغيره لأن داود الظاهري يأخذ بظاهر الحديث مع انه مجتهد لم يعد وأخلافه بخرق الاجماع ، لانهم لا يعدون خلافـــه خلافاً معتبراً كما ذكره في الاذكار الامام النووي .

فالجواب أن نقول : هـذا ليس بصحيح بل يقبـل الحق ممن قال به ، ولا نرد قوله اذا وافق الحق وقال بالدليل . قال حبر الامة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما لمن خالفه في متعة الحج : يوشك ان تنزل عليكم حجارة من السماء ، اقول : قال رسول الله ﷺ ، وتقولون قال أبو بكر وعمر . وقال الامام احمد عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون الى رأي سفيان والله يقول : (فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) اتدري ما الفتنة ؟ الفتنة : الشرك ، لعـله اذا رد بعض قوله ان يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك ، وقال الامام مالك : مامنا إلا راد ومردود عليه ، إلا رسول الله ﷺ ، وقال الشافعي : إذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط . وقال ابو حنيفة : هذا رأي ، فمن جاءنا برأي خير منه قبلناه او كلاما نحو هذا .

هذه أقوال الائمة الاربعة ، وهـذا الملحد يقول : وان استدل بحديث

فسحقا للقوم الظالمين ، واما داود بن عليّ فقد اعتد اهل العلم بخلافه إلا فيما خالف النص وهو يظن انه ظاهر الحديث ولا يقبل قول النووي فيه ، وقد خالفه اهل العلم والدين . واما دعواه ان الشيخ محمد يدعى الاجتهاد ، فهو من الكذب والزور والالحاد ، واما اذا وضح النص واستبان الدليل فهو لايعدل بقول رسول الله ﷺ قول احد من الخلق كائنا من كان ، قال الامام الشافعي رحمه الله أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ ، فليس له ان يدعها لقول احد كائنا من كان . واما من رد على الشيخ محمد رحمه الله من علماء السوء كعبد اللطيف صاحب تجريد سيف الجهاد ومحمد ابن عفالق صاحب الشبكة ، فانما ردوا عليه في تجريد توحيد الالهية ، وتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ ، وانكاره للشرك اصغره واكبره ، وهؤلاء واضرابهم ليسوا من اهل العلم المقتدى بهم ، بل هم أئمة ضلال ودعاة إلى النار ، فاهون بهم وبما قالوا ، واكثر ما طعنوا به على الشيخ ، انما هي تزويرات واكاذيب ملفقة .

واما قوله : واكثر في الرد عليه علماء الحنابلة ردا بليغاً في كتب ورسائل كثيرة اظهار للحق الى آخره .

فأقول : جوابه من وجوه الاول : ان كثيرا من العلماء المحققين اجابوا على تلك الرسائل وانتصروا للشيخ . والثاني : ان رد كثير من العلماء على الشيخ لايقتضي بطلان ما عليه الشيخ وحقيقية ما عليه خصومه انما معيار الحقية شهادة الكتاب العزيز والسنة المطهرة واذا كان قوله وعمله موافقا للنقلين الكتاب والسنة فلا مبالاة بمخالفة احد كائنا من كان . والثالث : ان غير واحد من علماء الصحابة والتابعين وتابع التابعين قد خالفه كثير من العلماء . فهذا مما لايشارك الشيخ فيه غيره ، فلا وجه للطعن ، ولله در الشيخ الامام احمد ابن علي بن مشرف الاحسائي المالكي رحمه الله حيث قال : فيمن طعن على الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وحفيده الامام الشيخ عبد الرحمن

ابن حسن بن الشيخ محمد رحمه الله تعالى :

من ذا يعيب أئمة الاسلام ... اهل النهى والفضل والاحلام
او من يعاديهم سوى ذي ريبة ... في الدين ليس بثابت الاقدام
فهمو النجوم هدًى لأصحاب السرى ... وهمو لدين الله كالاعلام
انصار سنة احمد كم اسسّوا ... للمسلمين قواعد الاحكام
منهم بنجدٍ عالم ومجدّدٌ ... للدين ذو علم وذو اقدام
نصر الهدى ونفي الردى ورمي العدى ... بثواقبٍ من علمه وسهام
وحمى حمي التوحيد من شبه العدى ... وضلالهم اكرم به من حام
وادلة التوحيد الف شملها ... فأزاح ليل الشك والاوهام
ومشاهد الاشراك هدّ بناءَها ... بدليل وحي قاطع وحسام
من بعد ان عكفت عليها فرقة ... نبذوا الهدى وشرائع الاسلام
طافوا بأرجاء القبور وقرّبوا ... نسكا لها كعبادة الاصنام
فاتاهموا بالنور من صبح الهدى ... فجلى به قِطعاً من الاظلام
فجزاه رب العرش خير جزائه ... وحَباه بالاحسان والانعام
ونحا طريقته الامام حفيده ... اكرم به من عالم وامام
اعني بذلك شيخنا عَلَم الهدى ... زَيْنٌ لاهل العلم والحكام
قد رد من كل العلوم شواردا ... نَدّتْ وقاد صعابها بزمام
فلقد كفى وشفى بتصنيفاته ... واذل مَن أضحى الدّ خصام
فهمو دعاة الدين بل انصاره ... كم يقضوا من معشر نوّام
قل للسفيه ومن سعى في ثلبهم ... اني تضر شوامخ الاعلام
لو كنت من اهل الوغى ابصرتنا ... ولقيت كل سَمَيدع مِقدام
لكن اراك من البهائم راتعا ... فكرهت نظم الدر للانعام
فاسمع هداك الله نظما رائقا ... ازهاره فُتحت من الاكمام
وخريدة زفت اليك بدلّها ... تسقي الضجيع ببارد بسام
وعلى النبي محمد وصحابه ... والآل خير تحية وسلام

واما قوله وتبرياً ان يدعي من لامعرفة له بمذهب الامام احمد بن حنبل ان النجدي محمد بن عبد الوهاب حيث كان اولاً حنبلياً ثم ضل وابتدع الى آخره .

فأقول : قد كان الشيخ محمد رحمه الله على مذهب احمد أولا وآخراً ، ولم يعب عليه اعداء الله ورسوله اخلاص العبادة لله بجميع انواعها وانكار الشرك في العبادة ، واما الفروع فهو اسعد بمذهب الامام احمد من غيره ممن يدعى انه حنبلي والله المستعان ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فصل

ثم قال الملحد : الفصل السابع عشر ويه نختم الكتاب اعلم ان من هفوات النجدي منعه الرحلة لزيارة سيد المرسلين وخاتم النبيين وحبيب رب العالمين محمد ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين .

والجواب أن نقول هذا كذب وزور وبهتان وقد تقدم الجواب عن هذا مراراً بما اغني عن اعادته وتقدم الجواب على قوله بل زار ناس من الاحساء فلما وصلوا الى الدرعية حلق لحاهم واركبهم مقلوبين من الدرعية الى الاحساء الى آخره وبينا ان هذا لا أصل له .

وأما قوله مع ان ابن تيمية شيخ الاسلام ما يمنع الزيارة وان قال بعدم استحباب الرحلة وأبا محمد قال لا تستحب الرحلة الا لزيارته ﷺ لما قدمناه في خاتمة الفصل الثالث عشر ، فأقول وكذلك الشيخ محمد ابن عبد الوهاب لا يمنع من الزيارة كما قال شيخ الاسلام ويمنع من شد الرحال الا الى ثلاثة المساجد كما منع شيخ الاسلام بن تيمية ويرى ان المنع للنهي لا للنفي وقال بالمنع مطلقا ، وقوله : وقد رد عليه الامام الغزالى في الاحياء .

فأقول فيه غلط من وجهين : الأول ان الغزالى كان في القرن الخامس وكان مولده سنة خمسين واربعمائة وتوفي في سنة خمس وخمسمائة فكيف يرد

على شيخ الاسلام ابن تيمية وشيخ الاسلام ابن تيمية انما ولد في القرن السابع سنة احدى وستين وستمائة وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة فكان بين وفاة الغزالي وبين مولد شيخ الاسلام قريبا من مائتي سـنة وهذا مما يدلك على كذب هؤلاء وعدم معرفتهم فلو كان لهذا معرفة لما قال : ورد عليه الامام الغزالي في الاحياء وهو لم يوجد بعد بل كان بينهما مدد مديدة ، وأعوام عديدة ، بل الذي رد على الغزالي وعلى غيره شيخ الاسلام وبيّن الحق وأوضحه بأدلته كما قدمناه . الوجه الثاني : ان كلام الغزالى مخالف لنص رسول الله ﷺ مع مخالفته لما أفهمه اصحاب رسول الله ﷺ من النهي عن شد الرحال إلا الى المساجد الثلاثة كما قال أبو بصرة لأبي هريرة لما رحل الى الطور وهناك مسجد وكذلك بن عمر وابو سعيد الخدري وغيره مما تقدم بيانه فلا معول على كلام الغزالي ورده بغير دليل بل بعموم الامر بالزيارة ثم ان ما حكاه الغزالي رحمه الله ومن وافقه من متأخري الفقهاء من زيارة القبر فمراده السفر المجرد عن فعل العبادة من الصلاة والدعاء عنده بل يصلى ويسلم عليه ويسأل له الوسيلة ثم يسلم على أبي بكر ثم عمر ولا يقصد الصلاة عند القبر للعنة ﷺ المتخذين قبور أنبيائهم مساجد واللعنـة في كلام الله ورسوله لا تجامع إلا الحرمة والاثم لا مجرد الكراهة ولقوله ﷺ « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وأما زعمه ان الشيخ مخالف لشيخ الاسلام فمن الكذب والبهتان بل هو موافق له غير مخالف .

وأما قوله ولله رد العلامة المحقق راشد ابن خنين الحنفي حيث رد على النجدي بقوله :

وكن قاصدا بالسير منك زيارة	لمن حلهـا رغما لانف المماذق
فمن قال لا تشدُدْ رِحالك نحوه	على القصد بل في ضمن شيء مطابق
فقد خالف الاجماع منـه ضلالة	فسحقا لمن يتبع ضـلالة مارق

فزر قبره ان الزيارة سنة ... على كل مشتاق اليه وشائق
ونافس بها أيام عمرك كلها ... تفقها وفاقا عند أهل التوافق
توجه الى وجه الوجيه مقابلا ... وشاهد لانوار الحبيب البوارق
وقف من بعيد مطرقا متادبا ... ولا تتفكر في نقوش السرادق
وسلم بلا صوت رفيع على الذي ... تلوذ به من كل خطب مضائق
محمد الخالى عن القلب رينه ... ومن فاق حقا في العلي كل فائق

والجواب ومن الله استمد الصواب :

الاقل لذي جهل بكل الحقائق ... واقوم منهاج لاهل السوابق
ومن سلكوا نهجا من الدين واضحا ... وكان لعمر اهدى الطرائق
أولئك اصحاب النبي محمد ... ذوو العلم والتحقيق ازكي الخلائق
اذا ما اتي نحو المدينة قاصدا ... من الصحب ذو اشواق اليه وشائق
يصلى به اعني التحية أوّلا ... ومن بعدها يأتي بذلة وامق
ويأتي بتسليم على خير مرسل ... كما هو في منصوص اهل الحقائق
اهل انت اهدى ام صحابة احمد ... وتابعهم اهل النهي والسوابق
كذبت لعمر والله فيما ادعيته ... وجئت به من منكرات المخارق
وجازفت فيما قلته متشدقا ... وكنت بقول الزور احذق ماذق
وخالفت نص المصطفى ونبذته ... وراءك ظهرياً ولما توافق
فمن قال لا تشدد رحالك نحوه ... على القصد بل ضمن شيء مطابق
فقد وافق النص الشريف ولم يجد ... على المنهج الاسني ورب المشارق
ووافق اصحاب النبي محمد ... وخالف ما قد قاله كل ماذق
وما خالف الاجماع يافدم فاتئد ... ولا تتبع اقوال طاغ ومارق
غلى واعتدى في الدين وهو يظنه ... بذلك في اهدى طريق موافق
وقد حاد عن نهج الشريعة وارتضي ... مقالة غالٍ جاهل ذي مخارق
وقال عناداً للهداة الذينهم ... احق واهدى من غوي منافق

وكن قاصداً بالسير منك زيارة لمن حلّها رغماً لأنف المماذق
ووالله مامنا لذلك منكرٌ ولكننا ندعو لاهدى الطرائق
وذلك ان الشد للرحل انما لمسجده قد كان قولاً لصادق
ينال به الانسان فضلا محققاً لقاصده ليست بأقوال ماذق
ومن بعد ذا فاقصد الى القبر زائرا وسلم على المعصوم أزكى الخلائق
وسر نحوه في ذلّة وتواضع وتوقير مشتاق اليه وشائق
وسلم على الصديق بعد نبينا ومن بعده الفاروق غيظ المنافق
واياك ان تأخذ بأقوال مارق تلوذ به من كل خطب مضائق
وكن لائذا بالله جلّ جلاله لتنجو في يوم البكا والتشاهق
فحق نبي الله طاعة أمره وتصديقه والانتها عن مشاقق
وتوقيره والاتبـاع لهديه فاما الذي لله رب الخلائق
فذلك مختص به دون عبده فدع عنك ماقد أحدثوا من شقاشق
وصل على المعصوم رب وآله وأصحابه أهل العلى والسوابق

فصل

واما قوله : ومما كفرت به العلماء الحجاج قوله إذا رأى الناس يطوفون بقبر رسول الله ﷺ انهم يطوفون بأعواد ورمه ذكر بعض العلماء فيمن زعم ان الحجاج كان كافراً وبسط في ذلك حتى ذكر ما تقدم .

فالجوالله : انه لا يصح هذا القول عن الحجاج مع فجوره وظلمـه وعتوه وعدوانه ، وانه لوجوه منها ، انه لم يكن في وقت الحجاج أحد يطوف قبره الشريف ولا أحد يتمكن من ذلك ولم يحدث هذا الغلوّ الى بعد القرون المفضلة ومنها ان الطواف بالقـبر لا يجوز بل الطواف انما يكون لبيت الله ، فمن طاف بقبر رسول الله ﷺ فقد ضاها به بيت الله والطواف بالبيت عبادة لله فمن طاف بقبر رسوله فقد اشركه في عبـادة الله ، ومنها الكذب على العلماء

انهم كفروا الحجاج بنهي الناس عن الطواف بقبر رسول الله ﷺ وهذا من الكذب على العلماء ، قال ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية .

يا من له عقل ونور قد غدا ... يمشي به في الناس كل زمان
لكننا قلنا مقالة صارخ ... في كل وقت بينكم باذان
الرب ربٌ والرسول فعبده ... حقاً وليس لنا إله ثان
فلذلك لم نعبده مثل عبادة الرحمن فعل المشرك النصراني
كلا ولم نغلوا الغلو كما نهي ... عنه الرسول مخافة الكفران
لله حق لا يكون لعبده ... ولعبده حق هما حقان
لا تجعلوا الحقين حقاً واحداً ... من غير تمييز ولا فرقان
فالحج للرحمن دون رسوله ... وكذا الصلاة وذبح ذي القربان
وكذا السجود ونذرنا ويميننا ... وكذا متاب العبد من عصيان
وكذا التوكل والانابة والتقى ... وكذا الرجاء وخشية الرحمن
وكذا العبادة واستعانتنا به ... اياك نعبد ذان توحيدان
وعليهما قام الوجود بأسره ... دنيا وأخرى حبذا الركنان
وكذلك التسبيح والتكبير والتهليل حق إلهنا الديان
لكنما التعزير والتوقير حق للرسول بمقتضى القرآن
والحب والايمان والتصديق لا ... تختص به حقان مشتركان
هذي تفاصيل الحقوق ثلاثة ... لا تجهلوها يا أولي العدوان
حق الاله عبادة بالامر لا ... بهوى النفوس فذاك للشيطان
من غير اشراك به شيئا هما ... سبب النجاة فحبذا السببان
ورسوله فهو المطاع وقوله المقبول إذ هو صاحب البرهان

الى ان قال

ولقد نهى ذا الخلق عن اطرائه ... فعل النصارى عابد الصلبان

ولقد نهانا ان نصّير قبره عيدا حذار الشرك بالرحمن
ودعا بأن لا يجعل القبر الذي قد ضمّه وثناً من الاوثان
فأجاب رب العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدران
حتى اغتدت أرجاؤه بدعائه في عزة وحماية وصيان
ولقد غدا عند الوفاة مصرحا باللعن يصرخ فيهمو بأذان
وعنى الاولى جعلوا القبور مساجدا وهم اليهود وعابدو الصلبان
والله لولا ذاك أبرز قبره لكنهم حجبوه بالحيطان
قصدوا إلى تسنيم حجرته ليمـ ـنع السجود له على الأذقان
يا فرقة جهلت نصوص نبيهم وقصوده وحقيقة الايمان
فسطوا على أتباعه وجنوده بالبغي والعدوان والبهتان
لا تعجلوا وتبينوا وتثبتوا فمصابكم ما فيه من جبران
قلنا الذي قال الائمة قبلنا وبه النصوص أتت على التبيان
القصد حج البيت وهو فريضة الرحمـ ـن واجبة على الاعيان
ورحالنا شدت اليه من بقا ع الارض قاصيها كذاك الداني
من لم يزر بيت الآله فما له من حجة سهم ولا سهمان
وكذا نشد رحالنا للمسجد النبـ ـوي خير مساجد البلدان
من بعد مكة أو على الاطلاق فيـ ـه الخلف منذ زمان
ونراه عند النذر فرضا لكن النعمـ ـان يأبى ذا وللنعمان
أصل هو النافي الوجوب فانه ما جنسه فرضا على الانسان
ولنا براهين تدل بأنه بالنذر مفترض على الانسان
أمر الرسول لكل ناذر طاعة بوفائه بالنذر بالاحسان
وصلاتنا فيه بألف في سوا ه ما خلا ذا الحجر والاركان
وكذا صلاة في قبا فكعمرة في أجرها والفضل للمنان
فإذا أتينا المسجد النبوي صلينا التحية اولا ثنتان

بتمام أركان لها وخشوعها　　وحضور قلب فعل ذي الاحسان
ثم انثنينا للزيارة نقصد القبر الشريف ولو على الاجفان
فتقوم دون القبر وقفة خاضع　　متذلل في السرّ والاعلان
فكأنه في القبر حي ناطقٌ　　فالواقفون نواكس الادقان
ملكتهموا تلك المهابة فاعترت　　تلك القوائم كثرة الرّجفان
وتفجرت تلك العيون بمائها　　ولطال ما غاضت على الازمان
واتى المسلم بالسلام بهيبة　　ووقار ذي علم وذي إيمان
لم يرفع الاصوات حول ضريحه　　كلا ولم يسجد على الاذقان
كلا ولم يُرَ طائفا بالقبر أسبوعا كأن القبر بيت ثان
ثم انثنى بدعائه متوجها　　لله نحو البيت ذي الاركان
هذي زيارة من غدا متمسكا　　بشريعة الاسلام والايمان
من أفضل الأعمال هاتيك الزيا　　رة وهي يوم الحشر في الميزان
لا تلبسوا الحق الذي جاءت به　　سنن الرسول بأعظم البطلان
هذي زيارتنا ولم ننكر البدع المضلة يا أولي العدوان
وحديث شد الرحل نص ثابت　　يجب المصير اليه بالبرهان

فتأمل رحمك الله كلام ابن القيم من أن شد الرحال انما هو إلى المساجد الثلاثة وان الزائر انما يقصد بشد الرحل المسجد النبوي ، فإذا أتى المسجد صلى فيه أولا تحية المسجد ، ثم ينثني للزيارة من الروضة الشريفة الى الحضرة المنيفة فيقوم دون القبر وقفة خاضع متذلل منكس الرأس كأنه في قبره حي ناطق ثم يسلم على النبي ﷺ وعلى صاحبيه كما ورد، ثم ان اراد الدعاء انصرف الى البيت بوجهه ودعا ولا يتوجه إلى وجه الوجيه كما زعمه من اعمى الله بصيرة قلبه ولا يسجد على الاعتاب كما يفعله الغلاة ولا يطوف بالقبر أسبوعاً كأنه بيت الله الحرام كما ذكره هذا الملحد والله الهادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم .

فصل

قال الملحد: فنلخص لك من كتاب خلاصة الوفا في اخبار داو المصطفى ، ثم ذكر أحاديثا في الزيارة كقوله : من زار قبري وجبت له شفاعتي ، وقوله: « من زار قبري حلت له شفاعتي » وقــوله « من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني » وقوله « من زارني إلى المدينة كنت له شفيعاً أو شهيداً » وقوله «من زارني متعمداً كان في جواري يوم القيمة ومن مات مات في أحد الحرمين بعثه الله عز وجل من الآمنين يوم القيامة » وقوله « من حج حجة الاسلام وزار قبري وغزى غزوة وصلى في بيت المقدس لم يسأله الله فيما افترض عليه » وذكر غيرهذه الاحاديث أحاديث أخر ، وهذه الاحاديث كلها ضعيفة منكرة بل موضوعة لا يعتمد عليها ولايحتج بها ، ومن أراد تحقيق الكلام عليها وعلى أسانيدها وما ذكره أهل العلم من أهل الجرح والتعديل فذلك مبسوط في الجواب الباهر لشيخ الاسلام بن تيمية وفي الصارم المنكي في الرد على السبكي للامام الحافظ بن عبد الهادي ، وفي صيانة الانسان لمحمد بشير .

واما ما ذكره بعد ذلك من الاحاديث كقوله ﷺ فيما رواه أبو داود عن أبي هريرة مرفوعا « ما من أحد يسلم علي الا رد الله على روحي حتى أرد عليه السلام » وغير ذلك من الاحاديث الواردة في المعنى .

فأقول هذه الاحاديث لا ننكرها ونثبتها كما أثبتها أهل العلم ، ولكن لا تقتضي جواز شد الرحال اليها ، فإذا مر المسلم على مقابر المسلمين أو زارهم من غير شد رحل اليها الزيارة الشرعية ، وقال الادعية المروية فحق لا مرية فيه والذي يقتضيه منطوق هذه الاحاديث عدم حياتهم في قبورهم لأنه صرح فيها ان الله تعالى يرد عليه روحه حتى يرد السلام على المسلم .

وأما ما ذكر من الاحاديث في ذكر حياتهم في قبورهم ، فقال ابن القيم

رحمه الله تعالى في الكافية الشافية فصل في الكلام في حياة الانبياء في قبورهم :

ولأجل هذا رام ناصر قولكم ترقيعه يا كثرة الخلقان
قال الرسول بقبره حي كما قد كان فوق الارض والرجمان
من فوقه أطباق ذاك التراب واللبنات قد عرضت على الجدران
لو كان حيا في الضريح حياته قبل الممات بغير ما فرقان
ما كان تحت الارض بل من فوقها والله هذي سنة الرحمان
أتراه تحت الارض حيا ثم لا يفتيهموا بشرائع الايمان
ويريح أمته من الآراء والخلف العظيم وسائر البهتان
أم كان حيا عاجزاً عن نطقه وعن الجواب لسائل لهفان
وعن الحراك فما الحياة اللاء قد اثبتموها اوضحوا ببيان
هذا ولم لا جاءه أصحابه يشكون بأس الفاجر الفتان
إذ كان ذلك دأبهم ونبيهم حي يشاهدهم شهود عيان
هل جاءكم اثر بأن صحابه سألوه فتياً وهو في الاكفان
فأجابهم بجواب حي ناطق فأتوا إذا بالحق والبرهان
هلا أجابهمو جواباً شافياً ان كان حياً ناطقاً بلسان
هذا وما شدت ركائبه عن الحجرات للقاصي من البلدان
مع شدة الحرص العظيم له على ارشادهم بطرائق التبيان
أتراه يشهد رأيهم وخلافهم ويكون للتبيان ذا كتمان
ان قلتمو سبق البيان صدقتموا قد كان بالتكرار ذا احسان
هذا وكم من امر أشكل بعده اعني على العلماء كل زمان
أو ما ترى الفاروق ودّ بأنّه قد كان منه العهد ذا تبيان
بالجد في ميراثه وكلالة وببعض أبواب الرّبا الفتان
قد قصر الفاروق عند فريقكم إذ لم يسله وهو في الاكفان
اتراهمو يأتون حول ضريحه لسؤال هم أمهمو اعزّ حصان

ونبيهم حيّ يشاهدهم ويسـمعهم ولا يأتي لهم ببيان
افكان يعجزان يجيب بقوله ان كان حيا داخل البنيان
ياقومنا استحيوا من العقلاء والمبعـوث بالقرآن والرحمان
والله لا قدر الرسول عرفتمو كلا ولا للنفس والانسان
من كان هذا القدر مبلغ علمه فليستتر بالصمت والكتمان
ولقد أبان الله ان رسوله ميت كما قد جاء في القرآن
افجاء ان الله باعثه لنا في القبر قبل قيامة الأبدان
اثلاث موتات تكون لرسله ولغيرهم من خلقه موتان
اذ عند نفخ الصور لا يبق امرء في الارض حيا قط بالبرهان
افهل يموت الرسل ام يبقو اذا مات الورى ام هل لكم قولان
فتكلمو بالعلم لا الدعوى وجيئـوا بالدليل فنحن ذو اذهان
أو لم يقل من قبلكم للرافع الأ صوات حول القبر بالنكران
لا ترفعوا الاصوات حرمة عبده ميتا كحرمته لدى الحيوان
قد كان يمكنهم يقولوا انه حيّ فغضوا الصوت بالاحسان
لكنهم بالله اعـلم منكموا ورسوله وحقائق الايمان
ولقد أتوا يوما الى العباس يستـسقون من قحط وجدب زمان
هذا وبينهموا وبين نبيهم عرض الجدار وحجرة النسوان
فنبيهم حيّ ويستسقون غـير نبيهم حاشا أولى الايمان

فصل

فيما احتجوا به على حياة الرسل والانبياء في القبور :

فان احتججتم بالشهيد بانه حيّ كما قد جاء في القرآن
والرسل اكمل حالة منه بلا شك وهـذا اظاهر التبيان

فلذلك كانوا بالحياة احق من ... شهدائنا بالعقل والايمان
وبأن عقد نسائه لم ينفسخ ... فنساؤه في عصمة وصيان
ولاجل هذا لم يحل لغيره ... منهنّ واحدة على الازمان
افليس في هذا دليل انه ... حيّ لمن كانت له أذنان
أو لم ير المختار موسى قائما ... في قبره لصلاة ذي القربان
افميّت يأتي الصلاة وان ذا ... عين المحال وواضح البُطلان
أو لم يقل اني اردّ على الذي ... يأتي بتسليم مع الاحسان
ايرد ميت السلام على الذي ... يأتي به هذا من البهتان
هذا وقد جاء الحديث بأنهم ... أحياء في الاجداث ذا تبيان
وبأن اعمال العباد عليه تعـ ... ـرض دائما في جمعةٍ يومان
يوم الخميس ويوم الاثنين الذي ... قد خصّ بالفضل العظيم الشأن

فصل

في الجواب عما احتجوا به في هذه المسألة : فقال أصل دليلكم في ذلك حجتنا عليكم وهي ذات بيان :

ان الشهيد حياته منصوصة ... لا بالقياس القائم الاركان
هذا مع النهي المؤكد اننا ... ندعوه ميتا ذاك في القرآن
ونساؤه حل لنا من بعده ... والمال مقسوم على السهمان
هذا وان الارض تأكل لحمه ... وسباعها مع أمّة الدّيدان
لـكنه مع ذلك حي فارح ... مستبشر بكرامة الرحمان
فالرسل أولى بالحياة لديه مع ... موت الجسوم وهذه الابدان
وهي الطرية في التراب واكلها ... فهو الحرام عليه بالبرهان
ولبعض اتباع الرسول يكون ذا ... أيضاً وقد وجدوه رأي عيان
فانظر الى قلب الدليل عليهمو ... حرفا بحرف ظاهر التبيان

لكن رسول الله خُصّ نساؤه   بخَصِيْصَةٍ عن سائر النسوان

خُيّرن بين رسوله وسواه فاخـ   ـترن الرسول لصحة الايمان

شكر الاله لهن ذلك وربنا   سبحانه للعبد ذو شكران

قصر الرسول على أولئك رحمة   منه بهنّ وشكر ذي الاحسان

وكذلك أيضاً قصرهُنّ عليه مع   لوم بلا شك ولا حسبان

زوجاته في هذه الدنيا وفي الا   خرى يقينا واضح البرهان

فلذا حرمن على سواه بعده   اذ ذلك صون عن فراش ثان

لكن اتين بعدة شرعية   فيها الحداد وملزم الاوطان

هذا ورؤيته الكليم مصليا   في قبره أثر عظيم الشأن

في القلب منه حسيكة هل قاله   فالحق ما قد قال ذو البرهان

ولذاك اعرض في الصحيح محمد   عنه على عمد بلا نسيان

والدّارقطني الامام أعـله   برواية معلومة التبيان

انس يقول رأى الكليم مصليا   في قبره فاعجب لذى العرفان

بين السياق الى السياق تفاوتا   لا تطرحـه فما هما سيان

لكن تقلدمسلم وسواه مـ   ـن صح هذا عنده ببيان

فرواته الاثبات اعلام الهدى   حفاظ هذا الدين في الازمان

لكن هذا ليس مختصا به   والله ذو فضل وذو احسان

فروي بن حبان الصدوق وغيره   خبرا صحيحا عنده ذا شأن

فيه صلاة العصر في قبر الذي   قد مات وهو محقق الايمان

فتمثل الشمس الذي قد كان يرْ   عاها للأجل صلاة ذى القربان

عند الغروب يخاف فوت صلاته   فيقول للملكين هل تدعان

حتى أصل العصر قبل فواتها   قالا ستفعل ذلك بعد الآن

هذا مع الموت المحقق لا الذي   حكيت لنا بثبوته القولان

هذا وثابت البناني قد دعا الر   حمان دعوة صادق الايقان

ان لا يزال مصليا في قبره   ان كان اعطا ذاك من انسان

لـكن رؤيته لموسي ليلة الـ ... معراج فوق جميع ذي الاكوان

يرويه اصحاب الصحاح جميعهم ... والقطع موجبه بلا نـكران

ولذلك ظن معارضا لصـلاته ... في قبره اذ ليس يجتمعان

واجيب عنه بأنه اسرى به ... لـيراه ثم مشاهـدا بعيان

فرآه ثم وفي الضريـح وليس ذا ... بتناقض اذ امكن الوقتان

هـذا ورد نبينا لسـلام من ... يأتي بتسليم مع الاحسـان

ما ذلك مختصاً به أيضاً كما ... قـد قاله المبعوث بالقرآن

من زار قبر اخ له فأتى بتسـ ... ليم عليه وهو ذو ايمان

ردّ الاله عليه حقا روحـه ... حتى يرد عليه ردَ بيان

وحديث ذكر حياتهم بقبورهم ... لما يصح وظاهر النـكران

فانظر الى الاسناد تعرف حاله ... ان كنت ذا علم بهذا الشأن

هذا ونحن نقول هم احيا لـ ... ـكن عندنا كحياة ذي الابدان

والترب تحتهمو وفوق رؤوسهم ... وعن الشمائل ثم عن ايمان

مثل الذي قد قلتموه معاذنا ... بالله من افك ومن بهتان

بل عند ربهمو تعـالى مثلما ... قد قال في الشهداء في القرآن

لكن حياتهمو اجل وحالهم ... اعلى واكمل عند ذي الاحسان

هـذا واما عرض أعمال العبا ... د عليه فهو الحق ذو إمكان

واتى به أثر فان صح الحديث ... به فحق ليس ذا نكران

لـكن هذا ليس مختصاً به ... أيضاً بآثار روين حسان

فعلى ابي الانسان يعرض سعيه ... وعلى اقاربه مع الاخوان

ان كان سعيا صالحا فرحوا به ... واستبشروا باللذة الفرحان

أو كان سعيا سيئا حزنوا وقا ... لوا رب راجعه الى الاحسان

ولذا استعاذ من الصحابة من روى ... هذا الحـديث عقيبه بلسان

يارب انى عائذ من خزية ... أخزى بها عند القريب الدّان

ذلك الشهيد المرتضى بن رواحة — المحبو بالغفران والرضوان
لكنّ هذا ذوا اختصاص والذي — للمصطفي ما يعمد الثقلان
هذي نهايات لاقدام الوري — في ذا المقام الضنك صعب الشأن
والحق فيـه ليس تحمله عقو — ل بنى الزمان لغلظة الاذهان
ولجهلهم بالروح مع احكامها — وصفاتها للالف بالابدان
فارض الذي رضي الاله لهم به — اتريد تنقض حـكمة الديان
هل في عقولهم بان الروح في — اعلى الرفيق مقيمة بجنان
وترد اوقات السلام عليه من — اتبـاعه في سائر الازمان
وكذاك ان زرت القبور مسلما — ردّت لهم ارواحهم للآن
فهموا يردون السلام عليك — لكن لست تسمعه بذي الآذان
هذا واجواف الطيور الخضر — مسكنها لدي الجنات والرضوان
من ليس يحمل عقله هـــذا فلا — تظلمه واعذره على النكران
للروح شأن غير ذي الاجسام لا — تهمله شأن الروح اعجب شان
وهو الذي حار الورى فيه فـلم — يعرفه إلا الفرد في الازمان
هـــذا وامر فوق ذا لو قلته — بادرت بالانـكار والعدوان
فلذاك امسكت العنان ولو أرى — ذاك الرفيق جريت في الميدان
هذا وقولي انهـــا ليست كما — قد قال اهل الافك والبهتان
لا داخل فينا ولا هي خارج — عنا كما قالوه في الدّيان
والله لا الرحمن اثبتم ولا — ارواحكم يا مدّعي العرفان
عطلتمو الابدان عن ارواحها — والعرش عطلتم من الرحمن

وقال ايضا في كتاب الروح بعد كلام سبق وقد بينا ان عرض مقعد الميت عليه من الجنة او النار ، لا يدل على ان الروح في القبر ولا على فنائه دائما من جميع الوجوه ، بل لها اشراف واتصال بالقبر وفنائه وذلك القدر منها يعرض عليه مقعده ، فان للروح شأنا آخر تكون في الرفيق الاعلى في أعلا عليين ،

ولها اتصال بالبدن بحيث اذا سلم المسلم على الميت رد الله عليه روحه فيرد عليه السلام وهي في الملاء الاعلى ، وانما يغلط اكثر الناس في هـذا الموضع حيث يعتقد ان الروح من جنس ما يعهد من الاجسام إذا شغلت مكاناً لم يمكن ان تكون في غيره ، وهذا غلط محض بل الروح تكون فوق السموات في اعلا عليين فترد الى القبر وترد السلام وتعلم بالمسلم وهي في مكانها وروح رسول الله ﷺ في الرفيق الاعلى دائما ويردها الله سبحانه وتعالى الى القبر فيرد السلام على من يسلم عليه ويسمع كلامه . وقد رأى رسول الله ﷺ موسى قائما يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة او السابعة ، فاما ان تكون سريع الحركة والانتقال كلمح البصر ، واما ان يكون متصل منها بالقبر وفنائه بمنزلة شعاع الشمس وجرمها في السماء ، انتهى . وجميع ما ذكره الحافظ شمس الدين ابن القيم هو مقتضى الكتاب والسنة وعليه سلف الامة وائمتها وهو الحق الذي ندين الله به ، وبه الكفاية في جواب هؤلاء الغلاة الملاحدة .

فصل

وأما ما ذكره بقوله . وروى ابن عساكر بسند جيد عن ابي الدرداء رضي الله عنه قصة نزول بلال بن رباح رضي الله عنه بداريا بعد فتح عمر رضي الله عنه لبيت المقدس ، ثم قال ان بلالا رأى النبي ﷺ وهو يقول « ما هذه الجفوة يا بلال اما آن لك ان تزورنا » الى آخره . وقوله : وفي فتوح الشام ان عمر رضي الله عنه قال لكعب الاحبار بعد فتح بيت المقـدس : هل لك ان تسير معي الى المدينة وتزور قبر النبي ﷺ فقال : نعم يأمير المؤمنين ، الى آخره .

فالجواب ان يقال : هذا الاثر المذكور عن بلال ليس بصحيح عنه ولو كان صحيحاً عنه لم يكن فيه دليل على محل النزاع . وقوله بسند جيد خطأ منه ، وقد ذكر هذا الاثر الحاكم ابو احمد محمد بن احمد بن اسحاق النيسابوري الحافظ في الجزء الخامس من فوائده ، ومن طريقه ذكره ابن عساكر في ترجمة بلال

وهو أثر غريب منكر واسناده مجهول وفيه انقطاع ، وقد تفرد به محمد ابن الفيض الغساني عن ابراهيم بن محمد بن سليمان بن بلال عن ابيه عن جده وابراهيم بن محمد هذا شيخ لم يعرف بثقة وامانة ولا ضبط ولا عدالة ، بل هو مجهول غير معروف بالنقل ، ولا مشهور بالرواية ، ولم يرو عنه غير محمد ابن الفيض ، روى عنه هذا الاثر المنكر ذكره الحافظ ابن عبد الهادى في الرد على السبكي واطال الكلام فيه . قال : والحاصل ان مثل هذا الاسناد لا يصلح الاعتماد عليه ولا يرجع عند التنازع اليه عند احد من أئمة هذا الشأن انتهي . وقال رحمه الله على قوله : وقد استفاض عن امير المؤمنين عمر ابن عبد العزيز رحمه الله انه كان يرسل البريد من الشام يقول : سلم على رسول الله ﷺ ، قال : والجواب من وجوه احدها المطالبة بصحة الاسناد الى عمر بن عبد العزيز ولم يذكر المعترض الاسناد في ذلك الى عمر لينظر فيه هل هو صحيح ام لا ؟ وكأنه لم يظفر به ، فانه لو ظفر به ووقف عليه لبادر الى ذكره ، ولو كان اسناد ضعيفا كما هي عادته وكما ذكر اسناد الاثر المروى عن بلال ، وان كان غير صحيح الوجه الثاني ان ما نقل عن عمر بن عبدالعزيز من ابراده البريد من الشام قاصداً الى المدينة لمجرد الزيارة ليس بصحيح عنه ، بل في اسناده عنه ضعف وانقطاع ، وذكر كلاما طويلا ، فليراجع هناك ، وقال على قوله : وفي فتوح الشام ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال لكعب الاحبار الى آخره . قال وهو مطالب اولا ببيان صحته . وثانياً ببيان دلالته على مطلوبه ، ولا سبيل له الى واحد من الامرين ، ومن المعلوم ان هذا من الاكاذيب والموضوعات على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وفتوح الشام فيه كذب كثير ، وهذا لا يخفى على احاد طلبة العلم ، ولكن شأن هذا المعترض الاحتجاج دائما بما يظنه موافقاً لهواه ولو كان من المنخنقة والموقوذة والمتردية وليس هذا شأن العلماء ، بل المستدل بحديث أو أثر عليه ان يبين صحته ودلالته على مطلوبه ، وهذا المنقول عن عمر رضي الله عنه لو كان ثابتا عنه لم

يكن فيه دليل على محل النزاع ، وقد عرف ان شيخ الاسلام لاينكر الزيارة على الوجه المشروع ولا يكرهها بل يحضها ويندب الى فعلها ، والله الموفق للصواب ، انتهى . من الصارم المنكي .

فصل

ثم ذكر بعد ذلك الحكاية المنسوبة الى الاعرابي الذي رواها العتبي ، قال وروى ابو سعيد السمعاني عن عليّ كرم الله وجهه ورضي عنه ، قال : قدم علينا اعرابي . الى آخره .

والجواب أن يقال : هذه القصة ذكرها طائفة من متأخرى الفقهاء ولم يذكرها غيرهم ممن يعتد به ويقتدي به كالأئمة المتبوعين واكابر أصحابهم واهل الوجوه في مذاهبهم كأشهب وابن القاسم وسحنون وابن وهب وعبد الملك وابنه والقاضى اسماعيل من المالكية ولا من الشافعية كالمزني والبويطي وابن عبد الحكم ومن بعدهم كابن خزيمة وابن سريج وأمثالهم ونظرائهم من أهل الوجوه وكأبي يوسف من أصحاب أبي حنيفة ومحمد بن الحسن اللؤلؤي وزفر ابن الهذيل ومن بعدهم كالطحاوي حامل لواء المذهب وكذلك اصحاب احمد واصحاب الوجوه في مذهبه لم يذكرها أحد منهم كعبد الله وصالح والخلال والاثرم وأبي عبد العزيز والمروذي وأبي بكر الخطاب ومن بعدهم كابن عقيل وابن بطة وبعض من ذكر هذه الحكاية يرويها بلا اسناد وبعضهم عن محمد بن حرب الهلالي وبعضهم يرويها عن محمد ابن حرب عن أبي الحسن الزعفراني عن الاعرابي . وقد ذكرها البيهقي باسناد مظلم عن محمد بن روح ابن يزيد البصري ، حدثني أبو حرب الهلالي قال : حج اعرابي فذكر نحو ما تقدم ووضع لها بعض الكذابين اسنادا الى علي ابن أبي طالب كما روي أبو الحسن علي بن علي ابن ابراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن الكرخي عن علي بن محمد ابن علي حدثنا احمد بن محمد بن الهيثم الطائي ، قال : حدثنا أبي عن أبيه سلمة

ابن كهيل عن أبي صادق عن علي ابن أبي طالب فذكر نحو ما تقدم ، قال الحافظ بن عبد الهادي. هذا الخبر منكر موضوع لايصلح الاعتماد عليه ولا يحسن المصير اليه واسناده ظلمات بعضها فوق بعض ، والهيثم جد احمد بن محمد ابن الهيثم اظنه ابن عدي الطائي فان يكن هو فكذاب متروك وإلا فمجهول وقال ابن عباس الدوري : سمعت يحي بن معين يقول الهيثم ابن عدي كوفي ليس بثقة كان يكذب وقال العجلي وأبو داود كذاب ، وقال أبو حاتم الرازي النسائي الدولابي والازدي متروك الحديث ، وقال السعدي ساقط قد كشف قناعه وقال أبو زرعة : ليس بشيء وقال ابن عدي ما اقل ماله من المسند وانما هو صاحب اخبار واسمار ونسب واشعار ، وقال الحاكم ابو عبد الله : الهيثم ابن عدي الطائي في علمه ومحله حدث عن جماعة من الثقاة احاديث منكرة وقال العباس بن محمد سمعت بعض اصحابنا يقول قالت جارية الهيثم كان مولاي يقوم عامة الليل يصلي فاذا اصبح جلس يكذب . فاذا كانت هذه الحكاية عند أهل العلم بهذه المثابة لم تثبت بسند يعول عليه ويحتج به فكيف يقول هذا الملحد فنودي من القبر قد غفر لك وقد تقدم عن اهل العلم ان بعض الكذابين وضع لها اسنادا الى علي كما ترى وقد علمت ان حملة الشريعة المطهرة ونقادها جزموا بأن هذه الحكاية لم تثبت وانها من الموضوعات .

وأما قوله : واذا ثبت ان الزيارة قربة فالسفر اليها قربة .

فالجواب ان يقال : لا نسلم ان مطلق زيارة قبر النبي ﷺ قربة بل القربة هي الزيارة التي لا يقع فيها شد رحل بدليل حديث لا تشد الرحال الحديث ، وأما خروجه ﷺ من المدينة لزيارة الشهداء فالثابت بالحديث المذكور انما هو مشروعية الانتقال الذي هو دون السفر للزيارة ولا ينكره أحد ، والانتقال الذي ننكر مشروعيته هو السفر ، وهو ليس بثابت قال الحافظ بن عبدالهادي رحمه الله على قول السبكي ان الزيارة قربة ، قال : الكلام عليه من وجوه الاول مطالبته بتصحيح دعواه والا كانت مجردة عما يثبتها ، الثاني ان القربة

هي ما جعله الله ورسوله قربة اما بأمره واما باخباره انها قربة واما بالثناء على فاعلها واما بجعل الفعل سببا لثواب يتعلق عليه أو تكفير سيئات أو غير ذلك من الوجوه التي يستدل بها على كون الفعل محبوبا لله مقربا اليه ، الثالث انه لا يكفي مجرد كون الفعل محبوبا له في كونه قربة وانما يكون قربة اذا لم يستلزم امرا مبغوضا مكروها له ، أو تفويت امر هو أحب اليه من ذلك الفعل وأما إذا استلزم ذلك فلا يكون قربة وهذا كما ان اعطاء غير المؤلفة من فقراء المسلمين وذوي الحاجات منهم وان كان محبوبا لله فانه لا يكون قربة اذا تضمن فوات ما هو أحب اليه من اعطاء من يحصل بعطيته قوة في الاسلام وأهله ، وان كان قويا غنيا غير مستحق ، وكذلك التخلي لنوافل العبادات انما يكون قربة إذا لم يستلزم تعطيل الجهاد الذي هو احب الى الله سبحانه من ترك النوافل وحينئذ فلا يكون قربة في تلك الحـــال وان كانت قربة في غيرها وكذلك الصلاة في وقت النهي انما لم تكن قربة لاستلزامها ما يبغضه الله سبحانه ويكرهه من التشبه ظاهراً باعدائه الذين يسجدون للشمس في ذلك الوقت فها هنا أمران يمنعان كون الفعل قربة استلزامه لأمر مكروه مبغوض ، وتفويته لمحبوب هو أحب الى الله من ذلك الفعل ومن تأمل هذا الموضع حق التأمل أطلعه على سر الشريعة ومراتب الاعمال وتفاوتها في الحب والبغض والضر والنفـع ، بحسب قوة فهمه وإدراكه ، ومواد توفيق الله له بل مبنى الشريعة على هذه القاعدة وهي تحصيل خير الخيرين ، وتفويت ادناهما ، وتفويت شر الشرين باحتمال ادناهما بل مصالح الدنيا كلها قائمة على هذا الاصل ومن تأمل نهى النبي ﷺ أولاً عن زيارة القبور سد الذريعة الشرك ، وان فاتت مصلحة الزيارة ثم لما استقر التوحيد في قلوبهم وتمكن منها غاية التمكن أذن في القدر النافع من الزيارة وحرم ما هو داع الى غيره فحرم اتخاذ المساجد عليها وايقـــاد السرج عليها والصلاة اليها فحرم جعلها قبلة ومسجدا ، ونهى عن اتخاذ قبره الكريم عيداً وسأل ربه تعالى ان لا يجعل قبره وثناً يعبد ، وقد استجاب له ربه تعالى بأن

حال بين قبره وبين المشركين بما لم يبق معهم وصول الى عبادة قبره وأمر الامة بالصلاة عليه حيث كانوا ، عقيب قوله : «لا تتخـــذوا قبري عيداً ،فقال وصلّوا عليّ حيثما كنتم فان صلاتكم تبلغني» فهو ﷺ احرص الناس على تحصيل القرب لامته وقطع اسباب أضدادها عنهم ، وانما دخل الداخل على من ضعفت بصيرته في الدين وكانت بضاعته في العلم مزجاة ،فلم يتسع صـــدره للجمع بين الامرين ولم يتفطن لارتباط احدهما بالآخرة ،وهذا القدر بعينه هو الذي ضاقت عنه عقول الخوارج وقصرت عنه افهامهم ،حتى قال له قائلهم في قسمته إعـــدل فإنك لم تعدل فانه لما لاحظ مصلحة التسوية ولم يلتفت الي مصـــلحة الايثار وما يترتب على فواته من المفاسد . قال ما قال فهؤلاء سلف كل متمعقل متمعلم على ما جاء به الرسول بعقله أو رأيه أو قياسه أوذوقه ، والمقصود ان كون الفعل قربة ملحوظ فيه هذان الامران .

الوجه الرابع :انه كيف يتقرب الى الرسول صلوات الله وسلامه عليه بعين ما نهى عنه وحذّر منه الامة بقوله : « لا تتخذوا قبري عيداً » ومعلوم أن جعل الزيارة من أفضل القرب مستلزم لجعل القبر من أجل الاعياد ، وهـذا ضد ما حذّر عنه الامة ونهاهم عنه وتقرب اليه بما يسخطه ويبغضه انتهى .

فصل

ثم ذكر الملحد : بعد هذا ما تقدم من الاحاديث في التوسل وكلام من يعتضد بهم في جواز الاستغاثة بالاموات والغائبين ودعائهم اما قد، تقـــدم الكلام عليه ومراده بذلك تكبير حجم كتابه ، ثم ذكر بعد ختم الكتاب قوله قال : العبد الراجي عفوا لله المؤلف السيد علوي ابن احمد ابن حسن ابن القطب الغوث الى آخره .

فأقول تأمل ايها الموحد كلام هذا الجاهل الملحد ، حيث اعتقد انّ جدّه

عبد الله الحداد باعلوي هو القطب الغوث . وقد قال شيخ الاسلام رحمه الله : في المنهاج الوجه الثالث ان يقال . القائلون بهذه الامور منهم من ينسب الى أحدهؤلاء مالا يجوز نسبته الى احدمن البشر مثل دعوى بعضهم ، ان الغوث أو القطب هو الذي يمد اهل الارض في هــداهم ونصرهم ورزقهم وان هذا لا يصل الى احد الا بواسطة نزوله على ذلك الشخص ، وهذا باطل باجماع المسلمين وهو من جنس قول النصارى في الباب وكذا ما يدعيه بعضهم من ان الواحد من هؤلاء يعلم كل ولي لله كان أو يكون أسمه واسم أبيه ومنزلته من الله ، ونحو ذلك من المقالات الباطلة التى تتضمن ان الواحد من البشر شارك الله في بعض خصائصه . مثل انه كان بكل شيء عليم أو على كل شيء قدير ، ونحو ذلك كما يقول بعضهم في النبي ﷺ وفي شيوخه ، ان علم أحدهم ينطبق على علم الله ، وقدرته منطبقة على قدرة الله فيعلم ما يعلمه الله ويقدر على ما يقدر الله عليه فهذه المقالات وما يشبهها من جنس قول النصارى والغالية في علي وهي باطلة باجماع المسلمين ، ومنهم من ينسب إلى الواحد من هؤلاء ما تجوز نسبته الى الانبياء أو صالحي المؤمنين من الكرامات كدعوة مجابة ومكاشفات من مكاشفات الصالحين فهذا القدر يقع كثيراً من الاشخاص الموجودين المعاينين إلى آخر كلامه ، وقد نسب هذا الملحد إلى جده عبد الله الحداد اعظم مما تنسبه الرافضة وغلاة المشركين ، بل هـذا من رؤوس الغلاة الملحدين وأعيانهم ، وإذا أردت الوقوف على كفره وضلاله فراجع ما ذكره في الفصل السابع وخاتمته مما ذكر في الأولياء وكراماتهم مما هو من خصائص الالهية ، وكذلك اعتقاده في جده انه القطب الغوث ، والقطب الغوث اعتقادهم هو الذي يمد اهل لارض في هداهم ونصرهم ورزقهم ، ويكفيك هذا القدر من اعتقاده في كفره وعتوه وعناده ، والله المستعان .

فصل

واما ما ذكره من ردّ محمد بن سليمان الكردي الذي جعله خاتمة لكتابه وزعم انه رد بليغ عظيم النفع جليل القدر ، وانه ليس كغيره من العلماء ، إذ هو في ذلك الوقت عمدة اهل الحرمين وامام الشافعية في وقته ، فلما وقفت على كلامه لم اجد شيئاً مما ذكره في حقه ، ومن لهذا الرد بالبلاغة والقدر العظيم والنفع العام إلا كما قال الله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنـــده فوفاه حسابه) إذ لا فكرة ثاقبة ، ولا روية كاسبة ، ولا طريقة صائبة ، لكن على تقدير تعظيمهم له وشهرته عندهم ننبه على غلطه وبهتانه ، وعلى تعمده للزور وعدوانه ، وانه إنما اعتمد في رده على أكاذيب مزوّرة ، وأقاويل ملفقة ، لاحقيقة لها عند التحقيق ، ولاثبات لها على قدم التصديق والتوفيق . وهذا نص كلامه :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله وحده ، لاشبهة في ان العلم إنما يدرك بالاخذ عن المشائخ ، فمن كان شيخه الكتاب فان خطأه اكثر من الصواب ودعوى الاجتهاد اليوم في غاية البعد . وقد قال الامام الرافعي والنووي وسبقهما إليه الفخر الرازي ، النـاس كالمجمعين اليوم على انه لا مجتهد . قال الشيخ ابن حجر في فتاويه ، بل قال بعض الاصوليين منا ، لم يوجد بعد عصر الشافعي مجتهد مستقل ، أي من كل الوجوه ، انتهى . وقال ابن الصلاح : ومن دهر طويل يزيد على ثلاثمائة سنة عدم المجتهد والمستقبل ، انتهى . وهذا الامام السيوطي مع سعة اطلاعه وباعه في العلوم وابتكاره عدة من العلـوم ولم يسبق إليها ، ادّعى الاجتهاد النسبي لا الاستقلال كما صرح به السيوطي نفسه في بعض تآليفه ، ومع ذلك انكروه عليه ولم يسلموه له مع ان تآليفه نافت على خمسمائة مؤلف ، وقد ادعى الاجتهاد جماعة من الائمة غير السيوطي ، كالسبكي والبلقيني وابن دقيق العيد وغيرهم ، لكن قال الشيخ ابن حجر : التحقيق

انهم إنما ثبت لهم نوع اجتهاد لا الاستقلال ، فدعوى الاجتهاد لمن لم يقرب منهم باطلة ، وإذا اطرح مؤلفات اهل الشرع فبماذا يتمسك ذلك الرجل ؟ فانه لم يدرك النبي ﷺ ولا أحداً من أصحابه ، فان كان عنده شيء من العلم فهو من مؤلفات اهل الشرع وحيث كانت على ضلال ، فعمن أخذ الهدى فليبينه لنا ؟ فان كتب الائمة الاربعة ومقلديهم جُلّ مأخذها من الكتاب والسنة فكيف أخذ هو ما يخالفها ؟ وهو كما علمت لم يبلغ رتبة الاجتهاد وحكم من لم يبلغها إذا رأى حديثاً صحيحاً ولم تسمح نفسه بمخالفته ان يفتش من أخذ به من المجتهدين فليقلده فيه كما نبه عليه النووي في الروضة ، وإلا فلا يجوز الاستنباط من الكتاب والسنة إلا لمن بلغ رتبة الاجتهاد المستقل ، فيجب على هذا الرجل الرجوع إلى الحق ورفض الدعاوي الباطلة ، إلى آخر كلامه .

والجواب عليه من وجوه : الوجه الاول : ان الشيخ رحمه الله اخذ العلم عن الاشياخ والعلماء الذين كانوا في وقته ، فرحل إلى البصرة ، وإلى المدينة المنورة ، وإلى الاحساء ، وهي إذ ذاك آهلة بالعلماء ، ومنحه الله الفهم في كتابه وسنة رسوله فاقتفى اثر الصالحين من العلماء المجتهدين ، ونظر في الكتب المدونة لأهل السنة والجماعة أصولا وفروعاً ، ولم يكن اعتماده على الكتب من غير فهم لما فيها وتعقّل لمعانيها ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ولم تزل الامة تعمل بالكتاب قديما وحديثاً ، وأجمع الصحابة على العمل بالكتاب ، وكذلك الخلفاء بعدهم ، وليس اعتماد الناس في العلم الاعلى الكتب ، فان لم يعملوا بما فيها انقطعت الشريعة ، وقد كان رسول ﷺ يكتب كتبه إلى الآفاق والنواحي فيعمل بها من تصل إليه ، ولا يقول هذا كتاب ، وكذلك خلفاؤه بعده ، والناس إلى اليوم فَرَدُّ السنن بهذا الخيال البارد والفاسد من أبطل الباطل والحفظ يخون والكتاب لا يخون ، وبهذا تعلم قصور هذا الكردي في العلم والدين وانه مزجى البضاعة منها . الوجه الثاني : ان هذه الدعوى ، اعني دعوى الاجتهاد من الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الكذب ومن الزور والبهتان ، فان الشيخ رحمه الله على ما أعطاه الله تعالى من المعرفة

والعلم والاطلاع لا يدعي الاجتهاد المطلق لا هو ولا احد من اتباعه المشهورين المعروفين بالعلم والمعرفة ، ولا نقل ذلك عنهم من يعتد بنقله ، وإنما افتراه عليهم وحكاه عنهم أشباه هؤلاء الذين اتباع كل ناعق الذين لم يستضئوا بنور العلم ولم يلجؤا إلى ركن وثيق الفهم . قال الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في رسالته التي كتبها بعد دخول مكة المشرفة ونحن في الفروع على مذهب الامام احمد بن حنبل ، ولا ننكر على من قلد أحد الائمة الاربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة والزيدية والامامية ونحوهم لا نقرهم ظاهراً على شيء من مذاهبهم الفاسدة ، بل نجبرهم على تقليد أحد الائمة الاربعة ، ولا نستحق بمرتبة الاجتهاد المطلق ولا أحد منا يدّعيها إلا انا في بعض المسائل إذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوي منه ، وقال به احد الائمة الاربعة أخذنا به وتركنا المذهب كأرث الجدّ والاخوة ، فانا نقدم الجد بالارث وان خالفه مذهب الحنابلة ، انتهى . فاذا تحققت ان هذا كلام الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد ، وأنه نفي هذه الدعوى وانهم لا يستحقون بمرتبة الاجتهاد المطلق ولا أحد منهم يدّعيها تبين لك كذب هؤلاء على الشيخ وانهم إنما يردون عليه ويصنفون بمجرد الاكاذيب والدعاوي الباطلة التي لا حقيقة لها عند التحقيق

الوجه الثاني : ان دعواه ان الاجتهاد قد انقطع والناس كالمجمعين على ذلك كما حكاه عن الرازي وعن النووي والرافعي وغيرهم دعوى مجردة فان هؤلاء ومن عداهم من جميع المقلدين ليس قولهم حجة على غيرهم ممن يرى ان الاجتهاد لم ينقطع وانه لا تخلو الارض من قائم لله بحججه كيلا تبطل حجج الله وبيناته قال ابن القيم رحمه الله تعالى : في أعلام الموقعين الوجه الحادي والثمانون ان المقلدين حكموا على الله قدراً وشرعاً بالحكم الباطل جهار المخالف لما أخبر الله به رسوله ، فأخلوا الارض من القائمين لله بحججه وقالوا لم يبق في الارض عالم منذ الاعصار المتقدمة ، فقالت طائفة ليس لأحد أن يختار بعد أبي حنيفة وابي

يوسف وزفر بن الهذيل ومحمد بن الحسن والحسن بن زياد اللؤلؤى ، وهذا قول كثير من الحنيفة ، وقال بكر بن العلاء القشيري المالكي ، ليس لأحد أن يختار بعد المائتين من الهجرة . وقال آخرون ، ليس لأحد أن يختار بعد الاوزاعي وسفيان الثوري ووكيع بن الجراح وعبد الله بن المبارك . وقالت طائفة ، ليس لأحد أن يختار بعد الشافعي . واختلف المقلدون من أتباعه فيمن يؤخذ بقوله من المنتسبين اليه ويكون له وجه يفتي ويحكم به ، من ليس كذلك وجعلوهم ثلاث مراتب ، طائفة أصحاب وجوه كابن سريج والقفال وابن حامد وطائفة أصحاب احتمالات لأصحاب وجوه ، كأبي المعالي . وطائفة ليسوا أصحاب وجوه ولا احتمالات ، كأبي حامد وغيره ، واختلفوا متى انسد باب الاجتهاد على أقوال كثيرة ما أنزل الله بها من سلطان ؟ وعند هؤلاء ، أن الارض قد خلت من قائم لله بحججه ولم يبق فيها من يتكلم بالعلم . ولم يحل لاحد أن ينظر في كتاب الله ولاسنة رسوله ، لأخذ الاحكام منها ، ولا يقضي ويفتي بما فيها ، حتى يعرضه على قول مقلده ومتبوعه ، فإن وافقه حكم به وأفتى به ، وإلا ردّه ولم يقبله . وهذه أقوال كما ترى قد بلغت من الفساد والبطلان والتناقض ، والقول على الله بلا علم وابطال حججه والزهد في كتابه وسنة رسوله ، وتلقي الاحكام منها مبلغها ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ويصدق قول رسوله . انه لا تخلو الارض من قائم لله بحججه ، ولن تزال طائفة من أمته على محض الحق الذي بعثه به وانه لا يزال يبعث على رأس كل مائة سنة لهذه الامة من يجدد لها دينها ، ويكفي في فساد هذه الاقوال ان يقال لاربابها . فاذا لم يكن لاحد أن يختار بعد من ذكرتم ، فمن أين وقع لكم اختيار تقليدهم دون غيرهم؟ وكيف حرمتم على الرجل أن يختار ما يؤديه اليه اجتهاده من القول الموافق لكتاب الله وسنة رسوله ؟ وأبحتم لانفسكم إختيار قول من قلدتموه وأوجبتم على الامة تقليده ، وحرمتم تقليد من سواه ، ورجحتموه على تقليد من سواه ، فما الذي سوّغ لكم هذا الاختيار الذي لا دليل عليه من كتاب

ولا سنة ولا إجماع ولا قياس ولا قول صاحب؟ وحرمتم اختيار ما عليه الدليل الكتاب والسنة وأقوال الصحابة ، ويقـــال لـكم فاذا كان لا يجوز الاختيار الا" بعد المائتين عندك ولا عند غيرك ، فمن أين ساغ لك وأنت لم تولد الا بعد المائتين بنحو ستين سنة" ان تختار قول مالك دون من هو أفضل منه من الصحابة والتابعين ؟ أو من هو مثله من فقهاء الامصار أو من جاء بعده . وموجب هذا القول . أن أشهب وابن الماجشون ومطرف بن عبـــد الله واصبغ بن الفرج وسحنون بن سعيد واحمد بن المعدل ومن في طبقتهم من الفقهاء كان لهم ان يختار الى الانسلاخ ذي الحجة من سنة مائتين ، فلما إستهل هلال المحرم من سنة احدى ومائتين ، وغابت الشمس من تلك الليلة حرم عليهم في الوقت بلا مهلة ما كان مطلقاً لهم من الاختيار . ويقال للآخرين : اليس من المصائب وعجائب الدنيا تجويزهم الاختيار والاجتهاد ، والقول في دين الله بالرأي والقياس لمن ذكرتم من أئمتكم ؟ ثم لا تجوزون الاجتهاد والاختيار لحفاظ الاسلام واعلم الامة بكتاب الله وسنة رسوله واقوال الصحابة وفتاواهم ، كاحمد بن حنبل والشافعي واسحق بن راهوية ومحمد بن اسماعيل البخاري وداود بن علي ونظرائهم على سعة علمهم بالسنن ، ووقوفهم على الصحيح منها والسقيم وتحريهم في معرفة أقوال الصحابة والتابعين ودقة نظرهم ولطف استخراجهم للدلائل ، ومن قال منهم بالقياس فقياسه من أقرب القياس الى الصواب وابعده عن الفساد وأقربه الى النصوص من شدة ورعهم وما منحهم الله من محبة المؤمنين لهم وتعظيمهم للمسلمين ، علمائهم وعامتهم لهم فان احتج كل فريق منهم بترجيح متبوعه بوجه من وجوه الترجيح في تقدم زمان أو زهد أو ورع أو لقاء شيوخ وأئمة لم يلقهم من بعده أو كثرة أتباع لم يكونوا لغيره امكن الفريق الآخر ان يبدوا لمتبوعهم من الترجيح بذلك أو غيره ما هو مثل هذا أو فوقه ، وأمكن غير هؤلاء كلهم ان يقولوا لهم جميعا نفوذ قولكم هذا ان لم يأنفوا من التناقض يوجب عليكم ان تتركوا قول متبوعكم لقول من هو أقدم منه من الصحابة

والتابعين . وأعلم وأورع وأزهد وأكثر اتباعاً واجل فإن اتباع ابن عباس وابن مسعود وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل ، بل اتباع عمر وعلي من اتباع الائمة الآخرين في الكثرة والجلالة . وهذا ابو هريرة قال البخاري . حمل العلم عنه ثمانمائة رجل ما بين صاحب وتابع ، وهذا زيد بن ثابت من جملة اصحابه عبد الله بن عباس وأين في اتباع الائمة مثل عطا وطاوس ومجاهد وعكرمة وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وجابر بن زيد . واين في اتباعهم مثل السعيدين والشعبي ومسروق وعلقمة والاسود وشريح ؟ واين في اتباعهم مثل نافع وسالم والقاسم وعروة وخارجة بن زيد وسليمان بن يسار وابي بكر بن عبد الرحمن ؟ فما الذي جعل الائمة باتباعهم أسعد من هؤلاء باتباعهم ؟ ولكن اولئك واتباعهم على قدر عصرهم لعظمهم وجلالتهم وكبرهم منع المتأخرين من الاقتداء بهم

وقالوا بلسان قالهم وحالهم هؤلاء كبار علينا لسنا من زبونهم كما صرحوا وشهدوا على أنفسهم فإن اقدارهم تتقاصر عن تلقي العلم من القرآن والسنة ، وقالوا : لسنا اهــلاً لذلك لا لقصور الكتاب والسنة ولكن لعجزنا نحن وقصورنا فاكتفينا بمن هو اعلم بهما منا ، فيقال لهم فلم تنكرون على من اقتدى بهما وحكمهما وتحاكم اليهما وعرض اقوال العلماء عليهما ، فما وافقهما قبله وما خالفهما رده فهب انكم لم تصلوا إلى هذا العنقود ، فلم تنكرون على من وصل إليه وذاق حلاوته ، وكيف تحجرتم الواسع من فضل الله الذي ليس على قياس عقول العالمين ولا على اقتراحاتهم ، وهم وان كانوا في عصركم ونشأوا معكم وبينكم وبينهم نسب قريب فالله يمن على من يشاء من عباده ،وقد أنكر الله سبحانه وتعالى على من رد النبوة بأن الله صرفها عن عظماء القرى ، وعن رؤسائها وأعطاها لمن ليس كذلك بقوله (اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون) وقد قال النبي ﷺ « مثل أمتي كالمطر لا يدرى أوله خير ام آخره »؟ وقد أخبر الله سبحانه عن السابقين

بأنهم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين ، وأخبر سبحانه انه بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ، قال (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم) ثم أخبر ان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم انتهى. وهذا تمام الحادي والثمانين وجهاً في ذم التقليد وذكر ما احتجوا به ،وجوابهم بنقض أدلتهم وحججهم ومن أراد الوقوف على ذلك فهو مبسوط في اعلام الموقعين ، وقال رحمه الله : وقد اطلنا الكلام في القياس والتقليد وذكرنا من مآخذهما وحجج أصحابهما ومالهم وماعليهم من المنقول والمعقول مالايجده الناظر في كتاب من كتب القوم من اولها إلى آخرها ولا يظفر في غير هذا الكتاب ابدا ، وذلك بحول الله وقوته ومعونته وفتحه فلله الحمد والمنة ، وما كان فيه من صواب فمن الله وهو المان به ، وما كان فيه من خطاء فمني ومن الشيطان وليس الله ورسوله ودينه في شيء منه وبالله التوفيق .

الوجه الرابع : ان الشيخ رحمه الله واتباعه مع عدم ادعائهم للاجتهاد المطلق لا يقدمون على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قول أحد كائناً من كان لاجماع العلماء على ذلك ، قال الامام الشافعي رحمه الله اجمع العلماء على ان من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد كائنا من كان فاذا تبين هذا ، فقد قال الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد في رسالته التي كتبها بعد دخول مكة فاذا قوى الدليل ارشدناهم بالنص وان خالف المذهب ، وذلك يكون نادراً جداً ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض ولا مناقضة لعدم الاجتهاد المطلق ، وقد سبق جمع من أئمة المذاهب الأربعة لاختيارات لهم في بعض المسائل مخالفة لمذهب الملتزمين تقليد صاحبه ، انتهى . فإذا أخذ الشيخ واتباعه بما صح عن رسول الله ﷺ ولم يكن منسوخاً ولا مخصصاً ولا معارضاً بأقوى منه وقال به احد الائمة فلا عتب عليه ولا لوم يلحقه في ذلك ، وقد تبع في ذلك سلف الامة وأئمتها ، قال ابن عباس رضي

الله عنهما لمن ناظره في متعة الحج يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله ﷺ ، وتقولون قال أبو بكر وعمر ، وقال الامام احمد ابن حنبل رحمه الله عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان ، والله تعالى يقول (فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) اتدري ما الفتنة ؟ الفتنة : الشرك ، لعله إذا رد بعض قوله : ان يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك ، وقال الامام مالك : كل يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله ﷺ ، وفي لفظ ما منّا الا راد أو مردود عليه الا صاحب هذا القبر ، وقال الامام الشافعي رحمه الله أجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له ان يدعها لقول أحد من الناس وتواتر عنه ، قال اذا صح الحديث فاضربوا بقولي عرض الحائط ، وصح عنه انه قال : إذا رويت عن رسول الله ﷺ حديثاً ولم أخذ به فاعلموا ان عقلي قد ذهب ، وصح عنه انه قال لا قول لاحد مع سنة سنها رسول الله ﷺ ، وقال احمد بن حنبل بن علي بن عيسى بن ماهان الرازي سمعت الربيع يقول سمعت الشافعي يقول كل مسألة تكلمت فيها صح الخبر فيها عن رسول الله ﷺ عند أهل النقل بخلاف ما قلت فأنا راجع عنها في حياتي وبعد موتي ، وقال حرملة بن يحيى ، قال الشافعي ما قلت وقد كان رسول الله ﷺ قد قال بخلاف قولي مما يصح فحديث النبي ﷺ اولى « لا تقلدوني » وقال الحاكم سمعت الاصم يقول سمعت الربيع يقول سمعت الشافعي يقول وروى حديثاً فقال له رجل تأخذ بهذا يا أبا عبد الله ، فقال متى رويت عن رسول الله ﷺ حديثاً صحيحاً فلم آخذ به فاشهدكم ان عقلي قد ذهب وأشار بيده الى رؤسهم وقال الحميدي سأل رجل الشافعي عن مسألة فأفتاه ، وقال : قال النبي ﷺ كذا ، فقال الرجل اتقول بهذا قال أرأيت في وسطي زنارا أتراني خرجت من الكنيسة أقول : قال النبي ﷺ وتقول لي اتقول بهذا اروي عن النبي ﷺ ولا أقول به ، وقال الحاكم انبأني أبو عمر والسماك مشافهة : ان ابا سعيد

الخصاص حدثهم قال : سمعت الربيع بن سليمان يقـول : سمعت الشافعي يقول : وسأله رجل عن مسألة ، فقال روي عن النبي ﷺ انه قال كذا وكذا فقال له السائل ياأبا عبد الله اتقول بهذا؟ فارتعد الشافعي واصفر وحال لونه ، وقال ويحك اي ارض تقلني واي سماء تظلني اذا رويت عن رسول الله ﷺ شيئاً فلم اقل به نعم على الرأس والعينين ، نعم على الرأس والعينين .

الوجه الخامس : ان الاجتهاد حالة تقبل التجزي والانقسام كما قال ابن القيم رحمه الله الفائدة الثانية والثلاثون ان الاجتهاد حالة تقبل التجزي والانقسام فيكون الرجل مجتهدا في نوع من العلم مقلداً في غيره أو في باب من أبوابه كمن استفرغ وسعه في نوع العلم بالفرائض وادلتهـا واستنباطها من الكتاب والسنة دون غيرها من العلوم او في باب الجهاد الحج او غير ذلك فهـذا ليس له الفتوى فيما لم يجتهد فيه ولا تكون معرفته بمـا اجتهد فيه مسوغة له الافتاء بما لا يعلم في غيره وهل له ان يفتي في النوع الذي اجتهد فيه ، فيه ثلاثة أوجه اصحهما الجواز بل هو الصواب المقطوع به والثاني المنع والثالث الجواز في الفرائض دون غيرها فحجة الجواز انه قد عرف الحق بدليـله وقد بذل جهده في معرفة الصواب فحكمه في ذلك حـكم المجتهد المطلق في سائر الانواع وحجة المنع تعلق ابواب الشرع واحكامه بعضها ببعض فالجهل ببعضهما مظنة للتقصير في الباب والنوع الذي عرفه لايخفي الارتباط بين كتاب النكاح والطلاق والعدة وكتاب الجهاد وما يتعلق به وكتاب الحدود والأقضية والاحكام وكذلك عامة ابواب الفقه ومن فرق الفرائض وغيرها رآى انقطاع احكام قسمة المواريث ومعرفة الفروض ومعرفة مستحقها عن كتاب البيوع والاجارات والرهون وغيرها وعدم تعلقاتها . وايضا فانعامة احكام المواريث قطعية وهي منصوص عليها في كتاب الله ، فان قيل فماتقولون فيمن بذل جهده في معرفة مسألة أو مسألتين ؟هل له ان يفتى بهما قيل ؟ نعم يجوز في اصح القولين وهما وجهان لاصحاب الامام احمد وهل هذا الامن التبليغ عن الله وعن رسوله

وجزى الله من أعان الاسلام ولو بشطر كلمة خيرا ، ومنع هذا من الافتاء بما علم خطأ محض وبالله التوفيق ، انتهى. فاذا كان هذا كلام أئمة الاسلام فماذا على الشيخ واتباعه من العيب واللوم اذا تكلموا في مسألة من مسائل العلم بما صح عندهم فيها من كتاب الله وسنة رسوله وكلام العلماء وان خالفت بعض مذاهب الأئمة المقلدين مع ان هذا لا يقع ان وجد إلا نادراً ولكن اعداء الله ورسوله يريدون ان ينفروا الناس بهذه الأمور عن الدخول فيما دعاهم اليه الشيخ من اخلاص التوحيد لله تعالى وسلوك طريقة السلف الصالح فالله المستعان .

واما قوله : واذا اطرح مؤلفات اهل الشرع فبماذا يتمسك ذلك الرجل الى آخره ؟

فأقول : ما اطرح الشيخ مؤلفات اهل الشرع حاشا وكلا بل هذا من الكذب والعدوان والزور والبهتان فان هذا لا اصل له بل قد قال الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد رحمه الله ثم انا نستعين على فهم كتاب الله بالتفاسير المتداولة المعتبرة ومن اجلها لدينا تفسير ابن جرير ومختصره لابن كثير الشافعي وكذلك البغوي والبيضاوي والخازن والحداد والجلالين وغيرهم ، وعلى فهم الحديث بشروح الأئمة المبرزين كالعسقلاني والقسطلاني على البخاري والنووي على مسلم والمناوي على جامع الصغير ونحرص على كتب الحديث خصوصا الامهات الست وشروحها ونعتنى بسائر الكتب في سائر الفنون أصولا وفروعا وقواعد وسيرا ونحوا وصرفا وجميع علوم الامة ولا نأمر باتلاف شيء من المؤلفات اصلا إلا ما اشتمل على ما يوقع الناس في الشرك كروض الرياحين وما يحصل بسببه خلل في العقائد كعلم المنطق فانه قد حرمه جمع من العلماء على انا لا نفحص عن مثل ذلك وكالدلائل إلا ان تظاهر به صاحبه معاندا اتلف عليه وما اتفق لبعض البدو ان في اتلاف بعض كتب اهل الطائف انما صدر من الجهلة وقد زجر هو وغيره عن مثل ذلك ، انتهى . فأين دعوى اطراح مؤلفات اهل الشرع ؟ بل هذا مما يكذب عليهم سترا للحق وتلبيسا على الخلق

في اشياء كثيرة قد ذكرها الشيخ في الرسالة وسنذكرها فيما بعد انشاء الله تعالى فتبين ان جواب هذا الكردي ليس على اصل صحيح بل على الأوضاع والاكاذيب المخترعة وبما ذكرنا يتبين لكل منصف ان الشيخ واتباعه انما يتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله وبكتب اهل الشرع وحيث كان هذا الحال صار ما يتمسك به الشيخ هو الحق والهدى وليس ولله الحمد على ضلال ولا بضلالة كما يزعمه اعداء الله ورسوله .

واما قوله : وهو كما علمت لم يبلغ رتبة الاجتهاد فأقول قد تقدم الجواب عن هذا .

واما قوله : وحكم من لم يبلغها اذا رأى حديثا صحيحا الى آخره .

فالجواب ان نقول قد تقدم قول بن عباس رضي الله عنه يوشك ان تنزل عليكم حجارة من السماء أقول : قال رسول الله ﷺ وتقولون قال ابو بكر وعمر ، وقول الامام احمد عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون الى رأي سفيان والله يقول (فليحذر الذين يخالفون عن امره) الآية . وقول الامام الشافعي ، اذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط وقوله ايضا ، اجمع الناس على ان من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له ان يدعها لقول أحد من الناس فتبين ان هذا الكردي ممن خرق الاجماع وخالف قول امامه الذي اتفق الناس على امامته ودرايته وعلمه واطلاعه لقول النووي وغيره ممن لا يداني الامام الشافعي ولا يقاربه في علمه وورعه واطلاعه وهذا خروج عما التزمه من التقليد وقد تقدم كلام شمس الدين ابن القيم في هذا المبحث وبه الكفاية وبه يعلم كل منصف عدول هؤلاء الملاحدة الغلاة عن طريقة السلف وعن سبيل المؤمنين .

واما قوله : واما تكفيره للمسلمين فقد صح عنه انه ﷺ قال : اذا قال الرجل لأخيه : يا كافر فقد باء بها أحدهما الى آخر كلامه .

فالجواب ان نقول : ما كفر الشيخ احدا من المسلمين ولم يكفر رحمه الله

إلا من نطق الكتاب والسنة بتكفيره واجمع على ذلك الائمة بعد بلوغ الحجة وقيامها وقد تقدم بيان ذلك مرارا عديدة بل كانت هذه الدعوى من الكذب والبهتان الذي لا يمترى فيه عاقل . وأما استدلاله بقول النبي ﷺ « أمرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم على الله تعالى » فكيف ساغ لهذا الرجل استحلال ما لم يحله ﷺ الى آخر كلامه ؟

فالجواب ان يقال : هذا حق والشيخ ما كفر ولا استحل دماءهم وأموالهم إلا بنقض شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فان من دعا غير الله واستغاث به وتوكل عليه ولجأ اليه وذبح له ونذر فقد نقض شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وان تلفظ بالشهادتين وصلى وزكى اما علم هذا الغبي ان المنافقين يشهدون ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويصلون ويزكون ويجاهدون مع رسول الله ﷺ وهم في الدرك الاسفل من النار واجمعت الأئمة على كفر بني عبيد القداح مع انهم يتكلمون بالشهادتين ويصلون ويبنون المساجد في قاهرة مصر وغيرها وصنف بن الجوزي كتابا في وجوب غزوهم وقتالهم سماه النصر على مصر والصحابة رضي الله عنهم كفروا من منع الزكاة وقاتلوهم مع اقرارهم بالشهادتين والاتيان بالصلاة والصوم والحج حتى ان بعض العلماء كفر من انكر فرعا مجمعا عليه كتوريث الجد والاخت وان صلى وصام فكيف بمن يدعو الصالحين ويصرف لهم خالص العبادة ولبها وهذا مذكور في المختصرات من كتب المذاهب الاربعة بل كفروا ببعض الألفاظ التي تجري على ألسن بعض الجهال وان صلى وصام من جرت على لسانه فاذا ثبت هذا فاستحلال دم من هذه حاله وماله حلال باجماع العلماء فلا يشك في ذلك إلا جاهل زائغ مفتون وهكذا يكون الجواب عن قوله تعالى (فان تابوا واقاموا الصلاة وآتو الزكاة) وقوله « وقوله ما امرت

ان اشق عن قلوب النـاس ولا مرائرهم » وقوله لاسامة حين قتل من قال لااله الا الله « هلا شققت عن قلبه » فمن صدر منه ناقض للشهادتين يخرجه عن الاسلام فهو كافر وان تلفظ بالشهادتين وصلى وزكا وصام وحج كما هو معروف مشهور عن اهل العلم في كل كتاب فلا يشك في ذلك الا جاهل مرتاب .

وأما قوله : ولا يجوز للمجتهد المستقل ان يحمل الناس على مذهبه ، نعم ان كان قاضيا ورفعت اليه قضية فانه انما يحكم فيها بما يظهر له من الادلة .

فأقول : نعم لا يجوز للمجتهد ان يحمل الناس على مذهبه والشيخ رحمه الله لا يدعي الاجتهاد المطلق ولا يحمل الناس إلا على ما ورد به النص الجلي الذي ليس منسوخا ولا مخصصا ولا معارضا باقوى .

وأما قوله : والنذر للاولياء فيه تفصيل عند أئمة الشافعية . فأقول قد تقدم الجواب عن هذا بما اغنى عن عادته ، وذكر بعد هذا أسئلة وأجوبة للشافعية في النذر ، قد تقدم الجواب عنهـــا ثم قال : وأما التمسح بالقبور وبترابها ، واختلف أئمتنا في ذلك فمنهم من اباح ذلك بل استحبه ومنهم من منع منه واطال الكلام فيه بما لا دليل على جوازه من كلام امام يعتمد على قوله ، قال شيخ الاسلام في اقتضاء الصراط المستقيم ولهذا كرهت الائمة استلام القبر وتقبيله وبنوه بناء منعوا الناس ان يصلوا اليه وكانت حجرة عائشة التي دفنوه فيها ملاصقة لمسجده وكانت ما بين منبره وبيته هو الروضة ومضى الامر على ذلك في عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم الى ان قال فمن أهل العـلم من كره ذلك كسعيد بن المسيب ومنهم من لم يكره ، قال أبو بكر الاثر قلت لأبي عبد الله احمد بن حنبل قبر النبي ﷺ يمس ويتمسح به ، فقال ما أعرف هذا ، قلت له فالمنبر فقال أما المنبر فنعم قد جاء فيه : قال أبو عبد الله شيء يرونه عن ابن ابي فديك عن ابن ابي ذئب عن ابن عمر انه مسح على المنبر ، قال ويرونه عن سعيد بن المسيب في الرّمانة الى ان قال ، قلت لابي عبد الله انهم يلصقون بطونهم بجدار القبر وقلت له رأيت أهل العـلم من أهل المدينة لا يمسونه

ويقومون ناحيته فيسلمون فقال أبو عبد الله نعم وهكذا كان ابن عمر يفعل ثم قال أبو عبد الله بابي هو وامي ﷺ فقد رخص احمد وغيره في التمسح بالمنبر والرمانة التي هي موضع مقعد النبي ﷺ ويده ولم يرخصوا في التمسح بقبره وقد حكي بعض اصحابنا رواية في مسح قبره لان احمد شيع بعض الموتى فوضع يده على قبره يدعو له والفرق بين الموضعين ظاهر وكره مالك التمسح بالمنبر كما كره التمسح بالقبر ، فاما اليوم فقد احترق المنبر وما بقيت الرمانة وانما بقي من المنبر خشبة صغيرة فقد زال مارخص فيه لأن الأثر المنقول عن ابن عمر وغيره انما هو التمسح بمقعده ، وروى الاثرم باسناده عن القعنبي عن مالك عن عبد الله ابن دينار ، قال رأيت ابن عمر يقف على قبر النبي ﷺ فيسلم عليه وعلى أبي بكر وعمر ، انتهى .

فهذا ماروي عن احمد رحمه الله وماذكره ابن حجر عن العز بن جماعة وغيره عن احمد فلا يصح وكذلك المحب الطبرى عن العلماء فلا يصح وكذلك ماذكر السبكي والحديث المروي عن ابي أيوب من الموضوعات وأقل مايكون فيه انه ضعيف لا يعمل به وأما ماذكره في الجوهر المنظم بسند جيد ان بلالا رضي الله عنه لما زار النبي ﷺ من الشام جعل يبـــكي ويمرغ وجهه على القبر الشريف فهو حديث موضوع مكذوب وسنده غير جيد ولا معروف بالصحة وكذلك ماذكره في الحلف بغير الله انه اذا لم يقصد التعظيم لا يكفر بذلك وهل يأثم بذلك أولا اختلفو فيه .

فأقول : ان كان قصد التعظيم فلا كلام وان لم يقصد التعظيم فهو كفر أصغر كما ثبت ذلك في الاحاديث ولا حاجة بنا الى أقوال هؤلاء مع ماورد في الحديث من انه شرك أو كفر اصغر واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل .

وأما قوله : وجعل الوسائط بين العبد وبين الله ان صار يدعوهم كما يدعو الاله في الامور أو يعتقد تأثيرهم في شيء دون الله فهو كفر وان كان المراد من جعلهم وسائط انه يتوسل بهم الى الله في قضاء مهماته مع اعتقاد ان الله هو

النافع الضار المؤثر في الامور دون غيره ، فالذي يظهر عدم كفره وان كان هذا اللفظ يتبادر منه الكفر ومن ثم اطلق صاحب الفروع ومن الحنابلة القول بكفره قال : قالوا اجماعا الى آخر كلامه .

فالجواب : أن نقول من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويستغيث بهم في مهماته ويلجأ اليهم في جميع حاجاته فهو كافر سواء اعتقد التأثير ممن يدعوه أو لم يعتقد التأثير فان هذا هو حال كفار العرب سواء بسواءهم مقرون ومعترفون ان الله هو الخالق النافع الضار المؤثر وان آلهتهم لا تفعل من ذلك شيئاً ولم يدخلهم ذلك في الاسلام ، قال شيخ الاسلام رحمه الله في مسألة الوساطة بعد ان ذكر كلاما وان اراد بالواسطة انه لا بد من واسطة يتخذها العباد بينهم وبين الله في جلب المنافع ودفع المضار مثل ان يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونهم ذلك ويرجونهم فيه فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء شفعاء يجلبون بهم المنافع ويدفعون بهم المضار، ثم ذكر آيات الى ان قال : ومن سوى الانبياء ومشايخ العلم والدين واثبتهم وسائط بين الرسول وامته يبلغونهم ويعلمونهم ويؤدبونهم ويقتدون بهم فقد أصاب في ذلك وهؤلاء اذا اجتمعوا فاجتماعهم حجة قاطعة لا يجتمعون على ضلالة الى ان قال وإن اثبتهم وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين بين الملك وبين رعيته بحيث يكونون هم يرفعون الى الله حوائج خلقه وان الله انما يهدي عباده ويرزقهم وينصرهم بتوسطهم بمعني ان الخلق يسألونهم وهم يسألون الله كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم والناس يسألونهم أدباً منهم ان يباشروا سؤال الملك أو لان طلبتهم من الوسائط انفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب الى الملك من الطالب فمن اثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب ان يستتاب فان تاب وإلا قتل وهؤلاء المشبهون شبهوا الخالق بالمخلوق وجعلوا لله انداداً وفي القرآن من الرد على هؤلاء ما لا تتسع

له هذه الفتوى فان الوسائط التي بين الملوك وبين الناس تكون على أحد وجوه ثلاثة،أما لاخبارهم من أحوال الناس مالا يعرفونه ومن قال ان الله لا يعرف أحوال العباد حتى يخبره بذلك بعض الملائكة والانبياء أو غيرهم فهو كافر بل هو سبحانه يعلم السر واخفى لا يخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء وهو السميع البصير ،يسمع ضجيج الاصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يتبرم بالحاح الملحين . الوجه الثاني : ان يكون الملك عاجزا عن تدبير رعيته ودفع اعاديهم إلا باعوان يعينونه فلا بد له من أعوان وأنصار لذله وعجزه ،والله سبحانه ليس له ظهير ولا ولي من الذل ، قال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير) وقال تعالى (الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولى من الذل) وكل مافي الوجود من الاسباب فهو سبحانه خالقه وربه ومليكه فهو الغني عن كل ما سواه فقير اليه بخلاف الملوك المحتاجين الى ظهرائهم وهم في الحقيقة شركاؤهم والله سبحانه ليس له شريك في الملك لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ،ولهذا لا يشفع عنده أحد الا باذنه لا ملك ولا نبي ولا غيرهما فان من يشفع عند غيره بغير اذنه فهو شريك في حصول المطلوب لانه أثر فيه بشفاعته حتى جعله يفعل ما يطلب منه والله سبحانه وتعالى لا شريك له بوجه من الوجوه وسمي الشفيع شفيعاً لانه يشفع غيره أي يصيرله شفعا ، قال تعالى : (من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها) وكل من اعان غيره على امر فقد شفعه فيه والله تعالى وتر لا يشفعه أحد بوجه من الوجوه .

الوجه الثالث : ان يكون الملك ليس مريد النفع لرعيته والاحسان اليهم ورحمتهم إلا بمحرك يحركه من خارج ، فاذا خاطب الملك من ينصحه ويعظه

أو من يدل عليه بحيث يكون يرجوه ويخافه تحركت إرادة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته ، إما لما يحصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير ، وإما لما يحصل من الرغبة والرهبة من كلام المدل عليه ، والله تعالى هو رب كل شيء ومليكه وهو ارحم بعباده من الوالدة بولدها ، وكل الاسباب إنما تكون بمشيئته فما شاء كان وما لم يشاء لم يكن ، وهو الذي أجرى نفع العباد بعضهم على أيدي بعض ، فجعل هذا يحسن الى هذا ويدعو له ويشفع فيه ، ونحو ذلك ، فهو الذي خلق ذلك كله ، وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن والداعي والشافع ارادة الاحسان ، والدعاء والشفاعة ، ولا يجوز ان يكون في الوجود من يُكرهه على خلاف مراده او يُعلمه ما لم يكن يعلمه او من يرجوه الرب ويخافه ، ولهذا قال النبي ﷺ : « لا يقولن احدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ، ولكن ليعزم المسألة ، فان الله لا مكره له» والشفعاء الذين عنده لا يشفعون إلا باذنه قال الله تعالى : (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) وقال تعالى : (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن اذن له) بخلاف الملوك فان الشافع عندهم قد يكون له ملك ، وقد يكون شريكا لهم في الملك ، وقد يكون مظاهراً لهم معاونا على ملكه ، وهؤلاء يشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك لهم ، والملك يقبل شفاعتهم تارة على انعامهم عليه حتى انه يقبل شفاعة ولده وزوجته ، لذلك فانه محتاج الى الزوجة والى الولد حتى لو اعرض عنه ولده وزوجته لتضرر بذلك ، ويقبل شفاعة مملوكه ، فانه ان لم يقبل شفاعته يخاف انه لا يطيعه أو ان يسعى في ضرره . وشفاعة العباد بعضهم عند بعض كلها من هذا الجنس ، فلا يقبل احد شفاعة احد إلا لرغبة أو رهبة ، والله تعالى لا يرجو أحداً ولا يخافه ولا يحتاج الى احد ، بل هو الغني وذكر آيات في هذا المعنى الى ان قال : والمقصود هنا ان من اثبت وسائط بين الله تعالى وبين خلقه كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك ، بل هذا دين المشركين عباد الاوثان ، كانوا يقولون انها تماثيل الانبياء والصالحين ، وانها وسائط

يتقربون بها الى الله تعالى. وهو من الشرك الذي انكره الله تعالى على النصارى ثم ذكر ايات في المغني انتهى .

فانظر الى كلام شيخ الاسلام رحمه الله ، ولم يقل كما قال هؤلاء الجهلة من جعلهم وسائط انه يتوسل بهم الى الله تعالى في قضاء مهماته مع اعتقاد ان الله هو النافع الضار المؤثر في الامور الى آخره . فانه رحمه الله يعلم ان هذا هو اعتقاد كفار العرب والله المستعان .

فصل

وأما ما نقله عن مفتي الحرمين عبد الوهاب المصري . من ان المراد من عبارة صاحب الفروع ان من جعلهم وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم كفر اجماعاً على انهم المعظمون والفاعلون ، فهذا القول من اسقط الاقوال وأسخفها وابعدها عن الصواب . وعن مقصود شيخ الاسلام ، فلا يعول على هذا المفهوم الفاسد ، ويلتفت اليه الا قليل معرفة وعلم ودين .

وأما ماذكره عن محمد بن عفالق في تهكم المقلدين بقوله : ومن العجب انه يستدل يعني محمد بن عبد الوهاب بقوله في الاقناع : ومن جعل بينه وبين الله وسائط الى آخر المسألة ، والاقناع نقله عن الشيخ ابن تيمية . وفي خطبة الاقناع وربما عزوت قولاً لقائله ، خروجا من تبعته ، فكيف يستدل بكلام عزاه في الاقناع الى الشيخ . وقد قدّم في الخطبة ان العزو للخروج من تبعته فقد تبرأ من تبعته لعزوه الى الشيخ لانها من المسائل التي انفرد بها ابن تيمية وامتحن لاجلها وحبس ، وقامت القيامة من علماء عصره ومن بعدهم الى ان قال : فانظر كيف ترك المجمع عليه عند الاربعة واتباعهم ، واستدل بما هو معزو لمن شذ به وانفرد ولم يعرف لاصطلاح صاحب الاقناع .

فالجواب عليه من وجوه : الاول : ان هذا النقل نقله صاحب الفروع ،

وصاحب الاقناع والانصاف مستدلين به مقررين له مختارين له ولم يذكروا له مخالفاً ، بل ذكروا له الاجماع عليه .

الوجه الثاني: ان هؤلاء الائمة ذكروا الاجماع عليه ، وهذا الجاهل المركب الذي هو اضل من حمار أهله يزعم ان هذا مما انفرد به شيخ الاسلام وشذ به وانها من المسائل التي امتحن لأجلها وحبس ، وقامت عليه القيامة من علماء عصره ، وهذا الكذب الذي لا يمتري فيه عاقل فضلا عن العالم ، فان هذه المسألة ليست من المسائل التي انفرد بها بل ذكر الاصحاب الاجماع عليها ولكن اعمى القلب ليس بمهتد ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

الوجه الثالث : ان شيخ الاسلام ليس داخلا فيمن عزا قوله خروجاً عن تبعة ما عزا له ، فإن شيخ الاسلام من سادات الحنابلة وممن يعتمد على قوله عندهم خصوصاً صاحب الاقناع والفروع والانصاف ، فإن هؤلاء لا يذكرون قول شيخ الاسلام الا للاستدلال به والاعتماد على قوله وهم اعلم بقول امامهم وشيخهم وقدوتهم من بن عفالق الجاهل الذي لا يدري ولا يدري انه لا يدري ، وحيث ذكر هذا الكلام انما يموه به على الطغام من أشباه الانعام ، واما الحنابلة واولوا العلم من غيرهم فهم يعلمون رتبة شيخ الاسلام في العلم والجلالة وإذا حكى الاجماع فهو عمدة فيما حكاه عندهم ، ثم أن الشيخ محمد رحمه الله اعلم بمذهب احمد وباصطلاح صاحب الاقناع من هذا الذي اعمى الله بصيرة قلبه .

الوجه الرابع : ان حكاية الاجماع عن جميع علماء الامة سلفاً وخلفاً ، واذا اجمعت الامة فاجماعهم حق ، ولا تجمع الامة على ضلالة ، وليس هو اجماع الحنابلة فقط فلا يخرج عن هذا الاجماع إلا ضال مضل ، ومن خرج عنه ، فقوله شاذ وان اعتمد على جواز الوسائط فهو كافر مشرك .

واما قوله : وقول السائل تجتمع فيه مادتان إلى آخره ، هذه العبارة غير مألوفة في كلام ائمتنا وبالجملة فمن استجمع شروط الاسلام ووجد منه مكفر

واحداً حكم بكفره وخروجه عن الاسلام نعم اطلق الشارع في بعض المعاصي إلى آخره

فأقول : نعم قد يجتمع فيه مادتان كفر وإسلام وايمان ونفاق ، قال الله تعالى (هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان) لكنه كفر دون كفر ونفاق دون نفاق ، فان الكفر أنواع والنفاق انواع ، وقد ذكر هذا شيخ الاسلام وابن القيم وذكر شيخ الاسلام أن هذا قول أهل السنة والجماعة ولم يخالف في ذلك إلا الخوارج فانهم لم يجعلوا الناس إلا مستحقاً للثواب فقط ومستحقاً للعقاب فقط .

وأما قوله : في جواب السـائل عن قوله ﷺ « لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم الى يوم القيامة » ولم يحضرني الآن حديث فيه موضع الطائفة المذكورة واظن اني رأيت في كلام بعضهم انهم بالشام والمراد بيوم القيامه في الحديث قيامتهم إلى آخره .

فالجواب : أن يقال قد اختلف العلماء في محل هذه الطائفة ، فقال ابن بطال انها تكون في بيت المقدس ، كما رواه الطبراني من حديث أبي أمامة ، قيل يارسول الله : وأين هم ؟ قال ببيت المقدس ، وقال معاذ ابن جبل رضي الله عنه هم بالشام . وفي كلام الطبراني ما يدل على أنه لايجب أن تكون في الشام أوفي بيت المقدس دائما ، بل قد تكون في موضع آخر في بعض الازمنة ، قال شيخنا في فتح المجيد : ويشهد له الواقع وحال اهل الشام واهل بيت المقدس من أزمنة طويلة لايعرف فيهم من قام بهذا الامر بعد شيخ الاسلام ابن تيمية رضي الله عنه وأصحابه في القرن السابع وأول الثامن ، فانهم في زمانهم على الحق يدعون اليه ويناظرون عليه ويجاهدون فيه ، وقد يجيء من أمثالهم بعد بالشام من يقوم مقامهم بالدعوة الى الحق والتمسك بالسنة ، والله على كل شيء قدير . ومما يؤيد هـذا ان اهل الحق والسنة في زمن الائمة الاربعة وتوافر العلماء في ذلك الزمان وقبله وبعده لم يكونوا في محل واحد بل في غالب

الامصار في الشام منهم أئمة وفي الحجاز وفي مصر وفي العراق واليمن وكلهم على الحق يناضلون ويجاهدون اهل البدع ، ولهم المصنفات التي صارت أعلاماً لأهل السنة ، وحجة على كل مبتدع فعلى هـذا ، فهذه الطائفة قد تجتمع وقد تفترق وقد تكون بالشام وقد تكون في غيره ، فان حديث أبي أمامة وقول معاذ لا يفيد حصرها بالشام ، وإنما يفيد انها تكون في الشام في بعض الازمان لا في كلها ، انتهى . وغالب ما في السؤالات المذكورة ، قد ذكرها هذا الملحد في كتابه هذا مُفرّقة ، وتقدم الجواب عليها ، وكذلك التقريظ إنما حاصله في ذكر أكاذيب وملفقات من ترهات هؤلاء الوضاعين المفترين ، وقد نبهنا على ذلك فيما مضى فلا نطيل باعادة الجواب عنها .

خاتمة : في ذكر شيء من معتقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى وأتباعه وما دعا اليه من التوحيد ونها عنه من الشرك ، وبيان ذلك بما كتبه الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد دخول مكة المشرفة ، قال رحمه الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد الامين ، وعلى آله وصحبه والتابعين . وبعد : فانا معاشر غزو الموحدين لما منّ الله علينا ، وله الحمد بدخول مكة المشرفة ، نصف النهار يوم السبت ثامن شهر محرم الحرام سنة ١٢١٨ بعد ان طلب اشراف مكة وعلماؤها وكافة العامة من أمير الغزو سعود حماه الله الامان ، وقد كانوا تواطئوا أمراء الحجيج وأمير مكة على قتال أو الاقامة في الحرم ليصدوه عن البيت ، فلما زحفت أجناد الموحدين ألقى الله الرعب في قلوبهم ، فتفرقوا شذر مذر كل واحد يعد الاياب غنيمة ، وبذل الامير حينئذ الامان لمن بالحرم الشريف ودخلنا شعارنا التلبية آمنين محلّقين رءوسنا ومقصّرين غير خائفين من أحد من المخلوقين ، بل من مالك يوم الدين ومن حين دخل الجند الحرم ، وهم على كثرتهم مضبطون متأدبون لم يعضدوا

به شجراً ولم ينفروا صيداً ولم يريقوا دماً إلا دم الهدى أو ما أحل الله من بهيمة الانعام على الوجه المشروع ، ولما تمت عمرتنا جمعنا الناس ضحوة الاحد وعرض الامير عافاه الله ، على العلماء ما نطلب من الناس ونقاتلهم عليه ، وهو اخلاص التوحيد لله تعالى وحده ، وعرّفهم انه لم يكن بيننا وبينهم خلاف له وَقْعٌ إلا في أمرين : أحدهما . اخلاص التوحيد لله تعالى ومعرفة أنواع العبادة وأن الدعاء من جملتها وتحقيق معنى الشرك الذي قاتل الناس علينا نبينا محمد ﷺ واستمر دعاؤه برهة من الزمان بعد النبوة الى ذلك التوحيد ، وترك الاشراك قبل أن تفرض عليه أركان الاسلام الاربعة .

والثاني الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي لم يبق عندهم الاّ اسمه وانمحى أثرة ورسمه فوافقونا على استحسان مانحن عليه جملةً وتفصيلا وبايعوا ذلك الامير على الكتاب والسنة وقبل منهم وعفا عنهم كافة فلم يحصل على احد منهم أدنى مشقة ولم يزل يرفق بهم غاية الرفق لا سيما العلماء ويقرر لهم حال اجتماعهم وحال انفرادهم ، لدينا أدلة ما نحن عليه ، ونطلب منهم المناصحة والمذاكرة وبيان الحق ، وعرفناهم بأن صرح لهم الامير حال اجتماعهم بأنّا قابلوا ماوضحوا برهانه من كتاب أوسنة ، أو أثر عن السلف الصالح ، كالخلفاء الراشدين المأمورين بأتباعهم بقوله ﷺ « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي » وعن الأئمة الاربعة المجتهدين ومن تلقى العلم عنهم ، الى آخر القرن الثالث لقوله ﷺ «خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » وعرّفناهم إنّا دائرون مع الحق أينما دار وتابعون للدليل الجلي الواضح ، ولا نبالي حينئذ بمخالفة ماسلف عليه من قبلنا ، فلم ينقموا علينا أمرا فلحّينا عليهم في مسألة طلب الحاجيات من الاموات ان بقي لديهم شبهة ، فذكر بعضهم شبهة أو شبهتين ، فرددناها بالدلائل القاطعة من الكتاب والسنة ، حتى أذعنوا ولم يبق عند احدمنهم شك ولا ارتياب ، إنما قاتلنا الناس عليه ، انه الحق الجلي الذي لا غبار عليه ، وحلفوا لنا الايمان المعقدة من دون استحلاف لهم على انشراح

صدورهم وجزم ضمائرهم ، انه لم يبق لديهم شك في أن من قال . يا رسول الله أو يا ابن عباس أو يا عبد القادر أو غيرهم من المخلوقين ، طالب بذلك دفع شر أو جلب خير . من كل ما يقدر عليه الا الله تعالى ، من شفاء المريض والنصر على العدوّ والحفظ من المكروه ، ونحو ذلك انه مشرك الشرك الاكبر يهدر دمه ويبيح ماله ، وان كان يعتقد أن الفاعل المؤثر في تصريف الكون هو الله وحده ، لكنه قصد المخلوقين بالدعاء مستشفعاً بهم ، ومتقرباً لهم لقضاء حاجته من الله بسرهم وبشفاعتهم له فيها أيام البرزخ ، وانّ ما وضع من البناء على قبور الصالحين ، صارت في هذه الازمان أصناماً تقصد لطلب الحاجات ، ويتضرع عندها ويهتف بأهلها في الشدائد كما كانت تفعله الجاهلية الاولى ، وكان من جملتهم مفتي الحنفية الشيخ عبد المالك القلعي ، وحسين المغربي مفتي المالكية وعقيل بن يحيى العلوي . فبعد ذلك أزلنا جميع ما كان يعبد بالتعظيم والاعتقاد فيه ويرجى النفع ودفع الضر بسببه من جميع البناء على القبور وغيرها ، حتى لم يبق في البقعة المطهرة طاغوت يعبد ، فالحمد لله على ذلك ، ثم رفعت المكوس والرسوم ، وكسرت آلات التنباك ونودي بتحريمه ، وأحرقت أماكن الحشاشين والمشهورين بالفجور ، ونودي بالمواظبة على الصلوات في الجماعات وعدم التفرق في ذلك ، بأن يجتمعوا في كل صلاة على امام واحد ، يكون ذلك الامام من احد المقلدين للاربعة رضوان الله عليهم ، واجتمعت الكلمة حينئذ وعبدوا الله وحده ، وحصلت الالفة وسقطت الكلفة ، وأمر عليهم واستتبت الامر من دون سفك دم ولا هتك عرض ولا مشقة على أحد ، والحمد لله رب العالمين . ثم دفعت لهم الرسائل المؤلفة للشيخ محمد رحمه الله . في التوحيد المتضمنة للبراهين وتقرير الادلة على ذلك بالآيات المحكمات والاحاديث المتواترة مما يثلج الصدر ، واختصر من ذلك رسالة مختصرة للعوام تنشر في مجالسهم وتدرس في محافلهم ، ويبين لهم العلماء معانيها ليعرفوا التوحيد فيتمسكون بعروته الوثيقة ، ويتضح لهم الشرك فينفروا عنه وهم على بصيرة آمنين ، وكان

فيمن حضر مع علماء مكة وشاهد غالب ماصار حسين بن محمد ابن الحسين الابريقي الحضرمي ، ثم الحياني ولم يزل يتردد علينا ويجتمع بسعود وخاصته من أهل المعرفة ، ويسأل عن غير مسألة الشفاعة الذي جرد السيف بسببها من دون حياء ولا خجل لعدم سابقة جرم له . فاخبرناه بأن مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة . وطريقتنا طريقة السلف التي هي الطريق الاسلم ، بل والاعلم والاحكم ، خلافاً لمن قال طريقة الخلف أعلم وهي انا نقر بآيات الصّفات واحاديثها على ظهرها ونكل علمها الى الله مع اعتقاد حقائقها فان مالكا هو من أجلّ علماء السلف لما سئل عن الاستواء في قوله تعالى : (الرحمن على العرش استوى قال الاستواء) معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ونعتقد أن الخير والشر كله بمشيئة الله تعالى ولا يكون في ملكه إلا ما أراد فان العبد لا يقدر على خلق أفعاله بل له كسب رتب عليه الثواب فضلا والعقاب عدلا لايجب على الله لعبده شيء وانه يراه المؤمنون في الآخرة بلا كيف ولا احاطة ونحن أيضا في الفروع على مذهب الامام احمد بن حنبل ولا ننكر على من قلد أحد الأئمة الأربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة والزيدية والامامية ونحوهم لا نقرهم ظاهراً على شيء من مذاهبهم الفاسدة بل نجبرهم على تقليد أحد الأئمة الأربعة ولا نستحق بمرتبة الاجتهاد المطلق ولاأحد منا يدّعيها إلا انا في بعض المسائل اذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الأئمة الأربعة أخذنا به وتركنا المذهب كارث الجد والاخوة فانا نقدم الجدّ بالارث وان خالفه مذهب الحنابلة ولا نفتش على أحد في مذهبه ولا نعترض عليه إلا اذا اطلعنا على نص جلي مخالف لمذهب أحد الأئمة وكانت المسألة مما يحصل بها شعائر ظاهرة كامام الصلاة فنأمر الحنفي والمالكي مثلا بالمحافظة على نحو الطمأنينة في الاعتدال والجلوس بين السجدتين لوضوح دليل ذلك بخلاف جهر الامام الشافعي بالبسملة فلا نأمره بالاسرار

وشتان ما بين المسألتين فاذا قوي الدليل أرشدناهم بالنص وان خالف المذهب وذلك يكون نادراً جدا ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض ولا مناقضة لعدم الاجتهاد المطلق وقد سبق جمع من أئمة المذاهب الأربعة لاختيارات لهم في بعض المسائل مخالفة لمذهب الملتزمين تقليـد صاحبه ثم انا نستعين على فهم كتاب الله بالتفاسير المتداولة المعتبرة ومن أجلّها لدينا تفسير ابن جرير ومختصره لابن كثير الشافعي وكذلك البغوي ونحوها .

وعلى فهم الحـديث بشروح الأئمة المبرزين كالعسقلاني والقسطلاني على البخاري والنووي على مسلم والمناوي على الجامع الصغير ونحرص على كتب الحديث خصوصا الامهات الست وشروحها ونعتني بسائر الـكتب في سائر الفنون أصولا وفروعا وقواعد وسـيراً ونحواً وصرفا وجميع علوم الأئمة ولا نأمر باتلاف شيء من المؤلفات أصلا إلا ما اشتمل على ما يوقع الناس في الشرك كروض الرياحين وما يحصل بسببه خلل في العقائد كعلم المنطق فانه قد حرمه جمع من العلماء على انا لا نفحص عن مثل ذلك وكالدلائل إلا إن تظاهر به صاحبه معاندا اتلف عليه وما اتفق لبعض البد وان في اتلاف بعض كتب أهل الطائف انما صدر من الجهلة وقد زجر هو وغيره عن مثل ذلك . ومما نحن عليه انا لا نرى سبي العرب ولم نفعله ولم نقاتل غيرهم ولا نرى قتل النسـاء والصبيان ، واما ما يكذب علينا ستراً للحق وتلبيسا على الخلق بانا نفسر القرآن برأينا ونأخذ من الحديث ما وافق فهمنا من دون مراجعة شرح ولا معول على شيخ وانا نضع من رتبـة نبينا محمد ﷺ بقولنا النبي رمة في قبره وعصا أحدنا انفع له منه وليس له شفاعة وان زيارته غير مندوبة وانه كان لا يعرف معني لا إله إلا الله حتى أنزل عليه فاعلم انه لا إله إلا الله مع كون الآية مدنية وانا لا نعتمد أقوال العلماء ونتلف مؤلفات أهل المذاهب لكون فيها الحق والباطل وانا مجسمة وانا نكفر الناس على الاطلاق أهل زماننا ومن بعد الستمائة إلا من هو على ما نحن عليه ومن فروع ذلك انا لا نقبل بيعة أحد

إلا بعد التقرير عليه بأنه كان مشركا وان أبويه ماتا على الشرك بالله وانا ننهى عن الصلاة على النبي ﷺ ونحرم زيارة القبور المشروعة مطلقا وأن من دان بما نحن عليه سقطت عنه جميع التبعات حتي الديون وانا لا نرى حق أهل البيت رضوان الله عليهم وانا نجبرهم على تزويج غير الكفو لهم وانا نجبر بعض الشيوخ على فراق زوجته الشابة لتنكح شابا اذا ترافعوا الينا فلا وجه لذلك فجميع هذه الخرافات واشباهها لما استفهمنا عنها من ذكر ، أولاً كان جوابنا في كل مسألة من ذلك سبحانك هذا بهتان عظيم فمن روى عنا شيئا من ذلك أو نسبه الينا فقد كذب علينا وافترى ومن شاهد حالنا وحضر مجالسنا وتحقق ما عندنا علم قطعا ان جميع ذلك وضعه علينــا وافتراه أعداء الدين واخوان الشياطين تنفيراً للناس عن الاذعان باخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة وترك أنواع الشرك الذي نص عليه بأنه لا يغفره ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فانا نعتقد ان من الكبائر كقتل المسلم بغير حق والزنا والربا وشرب الخمر وتكرر منه ذلك انه لا يخرج بفعله ذلك عن دائرة الاسلام ولا يخلد به في دار الانتقام اذا مات موحدا لله تعالى بجميع أنواع العبادة والذي نعتقده ان رتبة نبينا محمد ﷺ أعلى مراتب المخلوقين على الاطلاق وانه حي في قبره حياة برزخية أبلغ حياة الشهداء المنصوص عليها في التنزيل اذ هو افضل منهم بلا ريب وانه يسمع سلام المسلم عليه وتسن زيارته إلا انه لا يشد الرحل إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه واذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس ومن انفق نفيس أوقاته بالاشتغال بالصلاة عليه ، الصلاة الواردة عنه فقد فاز بسعادة الدارين وكفى همه وغمه كما جاء في الحديث عنه . ولا ننكر كرامات الاولياء ونعترف لهم بالحق وانهم على هدى من ربهم مهما ساروا على الطريقة الشرعية والقوانين المرعية إلا أنهم لا يستحقون شيئاً من أنواع العبادات لا حال الحياة ولا بعد الممات بل يطلب من أحدهم الدعاء في حال حياته بل ومن كل مسلم فقــد جاء في الحديث « دعاء المسلم مستجاب لأخيه » الحديث وأمر عمر وعلي بسؤال الاستغفار من اويس ففعلا

وتثبت الشفاعة لنبينا محمد ﷺ يوم القيامة حسب ما ورد وكذا نثبتها لسائر الانبياء والملائكة والاولياء والاطفال حسب ما ورد أيضا ونسألها من المالك والآذن فيها لمن يشاء من الموحدين الذينهم أسعد الناس بها كما ورد بأن يقول أحدنا متضرعاً الى الله تعالى اللهم شفع فينا عبادك الصالحين أو ملائكتك أو نحو ذلك مما يطلب من الله لامنهم فلا يقال يارسول الله او ياولي الله اسألك الشفاعة او غيرهما كادركني او اغنني او اشفع لي او انصرني على عدوي او نحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى فاذا طلبت ذلك عن ذكر ايام البرزخ كان من اقسام الشرك إذ لم يرو بذلك نص من كتاب او سنة ولا أثر عن السلف الصالح على ذلك بل ورد الكتاب والسنة واجماع السلف ان ذلك شرك اكبر قاتل عليه رسول الله ﷺ فان قلت ما تقول في الحلف بغير الله والتوسل به ؟ قلت ننظر الى حال المقسم ان قصد به التعظيم كتعظيم الله او اشد كما يقع لبعض غلاة المشركين من أهل زماننا اذا استحلفه بشيخه أي معبوده الذي يعتمد في جميع أموره عليه لا يرضى فهو كافر من أقبح المشركين وأجهلهم اجماعا وان لم يقصد التعظيم بل سبق لسانه اليه فهذا ليس بشرك اكبر فنهى عنه ويزجر ويؤمر صاحبه بالاستغفار عن تلك الهفوة .

واما التوسل : وهو ان يقول القائل : « اللهم اني أتوسل اليك بجاه نبيك محمد ﷺ أو بحق نبيك أو بجاه عبادك الصالحين أو بحق عبدك فلان فهذا من أقسام البدعة المذمومة » ولم يرد بذلك نص كرفع الصوت بالصلاة على النبي ﷺ عند الآذان ، وأما أهل البيت ، فقد ورد سؤال على الدرعية في مثل ذلك ، وعن جواز نكاح الفاطمين غير الفاطمي ، وكان الجواب عليه مما نصه أهل البيت رضوان الله عليهم ولا يشك في طلب حبهم ومودتهم لما ورد فيه كتاب أو سنة ، فيجب حبهم ومودتهم إلا أن الاسلام ساوى بين الخلق فلافضل لأحد إلابالتقوى ، ولهم مع ذلك التوقير والتكريم والاجلال ولسائر العلماء ، مثل ذلك كالجلوس في صدر المجالس والبداية بهم في التكريم والتقديم

في الطريق إلى موضع التكريم ، ونحو ذلك اذا تقارب أحدهم مع غيره في السن أو العلم ، وما اعتيد في بعض البلاد من تقديم صغيرهم وجاهلهم على من هو أمثل منه ، حتى انه إذا لم يقبل يده كلما صافحه عاتبه وصارمه أو ضاربه وخاصمه ، فهذا مما لم يرد به نص ولا دل عليه دليل بل منكر يجب إزالته ، ولو قبل يد أحدهم لقدوم من سفر أو لمشيخة علم ، أو في بعض الاوقات أو لطول غيبته ، فلا بأس به إلا أنه لما ألف في الجاهلية الاخرى ان التقبيل صار علماً لمن يعتقد فيه أو في اسلافه أو عادة المتكبرين من غيرهم نهينا عنه مطلقاً ، لا سيما لمن ذكر حسما لذرائع الشرك ما أمكن .

وأما هدمنا بيت السيدة خديجة وقبة المولد وبعض الزوايا المنسوبة لبعض الاولياء حسما لتلك المادة وتنفيراً من الاشراك بالله ما أمكن لعظم شأنه ، فانه لا يغفر ، وهو اقبح من نسبة الولد إلى الله تعالى ، إذ الولد كمال في حق المخلوق ، واما الشرك فنقص حتى في حق المخلوق لقوله تعالى (ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم) الآية . وأما نكاح الفاطمية غير الفاطمي فجائز إجماعاً ، بل ولا كراهة في ذلك قد زوّج عليّ عمر بن الخطاب ، وكفى بهما قدوة ، وتزوجت سكينة بنت الحسين ابن عليّ بأربعة ليس فيهم فاطمي ، بل ولا هاشمي ، ولم يزل عمل السلف على ذلك من دون انكار إلا أنا لا نجبر احداً على تزويج موليته ما لم تطلب هي وتمتنع من غير الكفؤ ، والعرب أكفاء بعضهم لبعض ، فما اعتيد في بعض البلاد من المنع دليل التكبر وطلب التعظيم ، وقد يحصل بسبب ذلك فساد كبير ، كما ورد ، بل يجوز الانكاح لغير الكفو ، وقد تزوج زيد وهو من الموالي ام المؤمنين وهي قرشية ، والمسألة معروفة النقول عند اهل المذهب ، انتهى .
فان قال قائل منفر عن قبول الحق والاذعان له يلزم من تقريركم وقطعكم في ان من قال يا رسول الله اسألك الشفاعة انه مشرك مهدر الدم ان يقال بكفر غالب الامة لا سيما المتأخرين لتصريح علمائهم المعتبرين ان ذلك مندوب وشن

الغارة على من خالف في ذلك . قلت : لا يلزم ذلك لان لازم المذهب ليس بمذهب كما هو مقرر ، ومثل ذلك لا يلزم ان نكون مجسمة ، وان قلنا بجهة العلو كما ورد الحديث بذلك ، ونحن نقول فيمن مات : تلك امة قد خلت ولا نكفر إلا لمن بلغته دعوتنا للحق ووضحت له الحجة وقامت عليه الحجة واصر مستكبراً معانداً كغالب من نقاتلهم اليوم يصرون على ذلك الاشراك ويمتنعون من فعل الواجبات ويتظاهرون بأفعال الكبائر المحرمات ، وغير الغالب إنما نقاتله لمناصرته لمن هذه حاله ورضى به ولتكثير سواد من ذكروا التغليب معه ،فله حينئذ حكمة في قتاله ، ونعتذر عن مُقرٍّ بأنهم مخطئون معذورون لعدم عصمتهم من الخطأ ، والاجماع في ذلك قطعياً من شن الغارة فقد غلط من هو خير منه ، كمثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فلما نبهته المرأة رجع في مسألة المهر ، وفي غير ذلك يعرف ذلك في سيرته ، بل غلط الصحابة وهم جمع ونبينا محمد ﷺ بين أظهرهم سارٍ فيهم نوره ، فقالوا : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات انواط ، فان قلت : هذا فيمن ذهل فلما نبه انتبه ، فما القول فيمن حرر الادلة واطلع على كلام الائمة القدوة ، واستمر مصراً على ذلك حتى مات ؟

قلت ولا مانع أن نعتذر لمن ذكر ولا نقول انه كافر ، ولا لما تقدم انه مخطيء وان استمر على خطئه لعدم من يناضل عن هذه المسألة في وقته ، بلسانه وسيفه وسنانه ، فلم تقم عليه الحجة ولا وضحت له المحجة ، بل الغالب على زمن المؤلفين المذكورين ، التواطي على هجر كلام أئمة السنة في ذلك رأساً ، ومن اطلع عليه أعرض عنه قبل ان يتمكن في قلبه ، ولم يزل أكابرهم تنهى اصاغرهم عن مطلق النظر في ذلك وصولة الملوك قاهرة لمن وقر في قلبه شيء من ذلك الا من شاء الله منهم ، هذا وقد رأى معاوية واصحابه رضي الله عنهم ، منابذة أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب رضي الله عنه ، بل وقتاله ومناجزته الحرب وهم في ذلك مخطئون بالاجماع ، واستمروا في ذلك الخطأ حتى ماتوا ولم

يشتهر عن أحد من السلف تكفير أحد منهم إجماعاً بل ولا تفسيقه بل اثبتوا لهم اجر الاجتهاد وان كانوا مخطئين ، كما ذلك مشهور عند اهل السنة ، ونحن كذلك لا نقول بكفر من صحة ديانته وشهر صلاحه وعلمه وورعه وزهده ، وحسنت سيرته وبلغ من نصحه الامة ببذل نفسه لتدريس العلوم النافعة والتأليف فيها ، وان كان مخطئاً في هذه المسألة أو غيرها ، كابن حجر الهيثمي فانّا نعلم كلامه في الدر المنظم ولا ننكر سعة علمه ، ولهذا نعتني بكتبه كشرح الاربعين والزواجر وغيرهما ، ونعتمد على نقله إذا نقل ، لأنه من جملة العلماء المسلمين . هذا مانحن عليه مخاطبين به من له عقل أو علم وهو متصف بالانصاف ، خال عن الميل الى التعصب والاعتساف ، ينظر الى ما يقال لا الى من قال . وأما من شأنه لزوم مألوفة وعادته سواء كان حقاً أو غير حق ، فقلد من قال الله تعالى فيهم « إنّا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » عادته وجبلته ان يعرف الحق بالرجال لا الرجال بالحق فلا نخاطبه وأمثاله الا بالسيف حتى يستقيم اوده ويصح معوجه ، وجنود التوحيد بحمد الله منصورة ، وراياتهم بالسعد والاقبال منشورة ، (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)(وان حزب الله هم الغالبون) . قال تعالى (وإن جندنا لهم الغالبون)(وكان حقاً علينا نصر المؤمنين)(والعاقبة للمتقين).هذا ومانحن عليه ان البدعة وهي ما حدثت بعد القرون الثلاثة ، مذمومة مطلقاً خلافاً لمن قال حسنة وقبيحة ،ولمن قسمها خمسة اقسام الا ان أمكن جمع بأن يقال الحسنة ما عليه السلف الصالح شاملة الواجبة والمندوبة والمباحة ، ويكون تسميتها بدعة مجازا والقبيحة ما عدا ذلك شاملة للحرمة والمكروهة ، فلا بأس بهذا الجمع فمن البدع المذمومة الذي ننهى عنها ، رفع الصوت في مواضع الأذان بغير الأذان سواء كان آيات أو صلاة على النبي ﷺ أو ذكر غير ذلك بعد أذان أو في ليلة الجمعة أو رمضان أو العيدين ، فكل ذلك بدعة مذمومة ، وقد ابطلنا ما كان مألوفاً بمكة من التذكير والترحيم ونحوه ، واعترف علماء المذاهب انه

بدعة ، ومنها قراءة الحديث عن ابي هريرة بين يدي خطبة الجمعة ، فقد صرح شارح الجامع الصغير بأنه بدعة ، ومنها الاجتماع في وقت مخصوص من يقرأ سيرة المولد الشريف اعتقاد انه قربة مخصوصة مطلوبة دون علم السير ، فان ذلك لم يردو منها اتخاذ المصابيح فانا ننهى عن التظاهر باتخاذها ، ومنها الاجماع على رواتب المشائخ برفع الصوت وقراءة الفواتح والتوسل بهم من المهمات كراتب السمان وراتب الحداد ونحوهما ، بل قد يشتمل ماذكر على شرك اكبر ، فيقاتلون على ذلك ، فان سلموا منه أرشدوا الى أنه على هذه الصورة المألوفة غير سنة بل بدعة ، فان أبوا أعذرهم الحاكم بما يراه ردعاً . واما احزاب العلماء المنتخبة من الكتاب والسنة ، فلا مانع من قراءتها والمواظبة ، فان الاذكار والصلاة على النبي ﷺ والاستغفار وتلاوة القرآن ونحو ذلك مطلوب شرعاً والمعتني به مثاب مأجور ، فكلما اكثر منه العبد كان أوفر ثواباً لكن على الوجه المشروع من دون تنطع ولا تغيير ولا تحريف وقد قال تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) وقال تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) ولله درّ النووي في جمعه كتاب الاذكار فعلى الحريص على ذلك به نفيه الكفاية للموفق ومنها ما اعتيد في بعض البلاد من قراءة مولد النبي ﷺ بقصائد بالحان وتخلط بالصلاة عليه وبالاذكار والقراءة ويكون بعد صلاة التراويح ويعتقدونه على هذه الهيئة من القرب بل تتوهم العامة ان ذلك من السنن المأثورة ينهى من ذلك وأما صلاة التراويح فسنة لا بأس بالجماعة فيها والمواظبة عليها ومنها ما اعتيد في بعض البلاد من صلاة الخمسة الفروض بعد آخر جمعة من رمضان وهذه من البدع المنكرة اجماعا فيزجرون عن ذلك أشد الزجر ومنها رفع الصوت بالذكر عند حمل الميت او عند رش القبر بالماء وغير ذلك مما لم يرد عمن سلف وقد ألف الشيخ الطرطوشي المغربي كتابا نفيسا سماه الباعث على انكار البدع والحوادث واختصره ابن شامة المقري فعلى المعتنى بدينه بتحصيله وانما ننهى عن البدع المتخذة دينا وقربة واما مالا يتخذ

دينا ولا قربة كالقهوة وانشاد قصائد الغزل ومدح الملوك فلا ننهى عنه ما لم يخلط بغيره اما ذكر او اعتكاف في مسجد ويعتقد انه قربة لأن حسان رد على أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب وقال : قد انشدته بين يدي من هو خير منك فقبل عمر ، ويحل كل لعب مباح لان النبي ﷺ أقر الحبشة على اللعب في يوم العيد في مسجده ﷺ ، ويحل الرجز والحدو في نحو العمارة والتدريب على الحرب بانواعه وما يورث الحماسة فيه كطبل الحرب دون آلات الملاهي فانها محرمة ، والفرق ظاهر ولا بأس بدف العرس وقد قال ﷺ « بعثت بالحنيفية السمحة ليعلم يهود ان في ديننا فسحة » هذا وعندنا ان الامام ابن القيم وشيخه اماما حق من اهل السنة وكتبهم عندنا من اعز الكتب إلا انا غير مقلدين لهم في كل مسألة فان كل احد يؤخذ من قوله ويترك إلا نبينا محمد ﷺ ومعلوم مخالفتنا لهم في عدة مسائل ، منها طلاق الثالث بلفظ واحد في مجلس ، فانا نقول تبعاً للأئمة الأربعة ، ونرى الوقوف صحيحاً والنذر جائزاً ، ويجب الوفاء به في غير المعصية ومن البدع المنهي عنها قراءة الفواتح للمشائخ بعد الصلوات الخمس والاطراء في مدحهم والتوسل بهم على الوجه المعتاد في كثير من البلاد وبعد مجامع العبادات معتقدين ان ذلك من اقرب القرب وهو ربما جر إلى الشرك من حيث لا يشعر الانسان ، فان الانسان يحصل منه الشرك من دون شعور به لخفائه ، ولولا ذلك لما استعاذ النبي ﷺ منه بقوله « اللهم اني أعوذ بك ان اشرك بك وانا اعلم ، واستغفرك لما تعلم انت علام الغيوب » وينبغي المحافظة على هذه الكلمات والتحرز عن الشرك ما امكن ، فان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال : انما تنقض عرى الأسلام عروة عروة ، قالوا متى ؟ قال : اذا دخل في الاسلام من لا يعرف الجاهلية ، أو كما قال : وذلك لأنه يفعل الشرك ويعتقد انه قربة نعوذ بالله من الخذلان وزوال الايمان ، هذا ما حضرني حال المراجعة مع المذكور مدة تردده وهو يطالبني كل حين بنقل ذلك وتحريره ، فلما ألح على نقلته له هذا من دون مراجعة كتاب ، وأنا في غاية

الاشتغال بما هو أهم من أمر الغزو ، فمن أراد تحقيق ما نحن عليه فليقدم علينا الدرعية فسيرى ما يسر خاطره من الدروس في فنون العلم خصوصاً التفسير والحديث ، ويرى ما يبهره بحمد الله وعونه من اقامة شعائر الدين والرفق بالضعفاء والوفود والمساكين ، ولا ننكر لطريقة الصوفية وتنزيه الباطن من رذائل المعاصي المتعلقة بالقلب والجوارح ، مهما استقام صاحبها على القانون الشرعي ، والمنهج القويم المرعي ، إلا اننا لا نتكلف له تأويلات في كلامه ولا في افعاله ولا نعول ونستعين ونستنصر ونتوكل في جميع أمورنا إلا على الله تعـــالى وهو حسبنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، قال ذلك عبدالله ابن الشيخ محمدبن عبدالوهاب عفا الله عنه والمسلمين . تتمة قال شيخنا الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الرحمن ابن حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى .

فصل

ونقص عليك شيئا من سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ونذكر طرفا من اخباره وأحواله ، ليعلم الناظر فيه حقيقة أمره فلا يروج عليه تشنيع من استحوذ عليه الشيطان واغراه ، وبالغ في كفره واستهواه .

فنقول : قد عرف واشتهر واستفاض من تقارير الشيخ ومراسلاته ومصنفاته المسموعة المقروءة عليه وما ثبت بخطه وعرف واشتهر من أمره ودعوته وما عليه الفضلاء والنبلاء من أصحابه وتلامذته ، أنه على ما كان عليه السلف الصالح وأئمة الدين أهل الفقه والفتوى في باب معرفة الله واثبات صفات كماله ونعوت جلاله التي نطق بها الكتاب العزيز ، وصحت بها الاخبار النبوية وتلقتها أصحاب رسول الله ﷺ بالقبول والتسليم ، يثبتونها ويؤمنون بها ويمرونها كما جاءت ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف وقد درج على هذا من بعدهم من التابعين وتابعيهم من اهل العلم والايمان وسلف

الامة وأئمتها كسعيد بن المسيب وعروة ابن الزبير والقاسم بن محمد وسالم ابن عبد الله وطلحة ابن عبيد الله وسليمان بن يسار وأمثالهم ، ومن الطبقة الأولى كمجاهد ابن جبر وعطا بن أبي رباح والحسن البصري وابن سيرين وعامر الشعبي وجنادة ابن ابى امية وحسان ابن عطية وأمثالهم ، ومن الطبقة الثانية علي ابن الحسين وعمر ابن عبد العزيز ومحمد ابن مسلم الزهري ومالك ابن أنس وابن ابي ذئب وابن الماجشون ، وكحماد ابن سلمة وحماد بن زيد والفضيل ابن عياض وعبد الله بن المبارك وأبي حنيفة النعمان بن ثابت ومحمد بن ادريس واسحاق ابن ابراهيم بن راهويه واحمد ابن حنبل ومحمد ابن اسماعيل البخاري ومسلم ابن الحجاج القشيري واخوانهم وأمثالهم ونظرائهم من أهل الفقه والأثر في كل مصر وعصر .

وأما توحيد العبادة والالهية فلا خلاف بين اهل الاسلام فيما قاله الشيخ وثبت عنه من المعتقد الذي دعا اليه ، يوضح ذلك ان أصل الاسلام وقاعدته شهادة ان لا إله إلا الله ، وهي أصل الايمان بالله وحده وهي افضل شعب الايمان وهذا الاصل لابد فيه من العلم والعمل والاقرار باجماع المسلمين ، ومدلوله وجوب عبادة الله وحده لا شريك له والبراءة من عبادة ما سواه كائنا من كان ، وهذا هو الحكمة التي خلقت لها الانس والجن وأرسلت لها الرسل وانزلت بها الكتب ، وهي تتضمن كمال الدين والحب وتتضمن كمال الطاعة والتعظيم ، وهذا هو دين الاسلام ، وهو يتضمن الاستسلام لله وحده ، فمن استسلم له ولغيره كان مشركا ، ومن لم يستسلم له كان مستكبرا عن عبادته ، قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى (وما ارسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه انه لا إله إلا انا فاعبدون) وقال تعالى عن الخليل (اذ قال لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) وقال تعالى (افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فأنهم عدو لى

إلا رب العالمين) وقال تعالى (قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) وقال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وذكر عن رسله نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم انهم قالوا لقومهم اعبدو الله مالكم من إله غيره ، وقال عن أهل الكهف (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا اذاً شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بيّن فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) وقال تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به) في موضعين من كتابه وقال تعالى (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) قال رحمه الله والشرك المراد بهذه الآيات ونحوها يدخل فيها شرك عبّاد القبور وعبّاد الانبياء والملائكة والصالحين فان هذا هو شرك جاهلية العرب الذين بعث فيهم عبد الله ورسوله محمد ﷺ فانهم كانوا يدعونها ويلتجئون اليها ويسألونها على وجه التوسل بجاهها وشفاعتها لتقربهم الى الله كما حكى الله ذلك عنهم في مواضع من كتابه ، كقوله تعالى (ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عندالله) الآية . وقال تعالى (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون) .

قال رحمه الله ومعلوم أن المشركين لم يزعموا ان الانبياء والاولياء والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السموات والارض واستقلوا بشيء من التدبير والتأثير والايجاد ولو في خلق ذرة من الذرات ، قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله إنْ أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) فهم معترفون بهذا مقرون به

لا ينازعون فيه ، ولذلك حسن موقع الاستفهام وقامت الحجة بما أقروا به من هذه الجمل وبطلت عبادة من لا يكشف الضر ويمسك الرحمة ولا يخفى مافي التنكير من العموم والشمول المتناول لاقل شيء وأدناه من ضرأ ورحمة ، وقال تعالى : (قل لمن الارض ومن فيها إن كنتم تعلمون) الى قوله (فأنى تسحرون) وقال تعالى (وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) ذكر فيه السلف كابن عباس وغيره إيمانهم هنا بما أقروا به من ربوبيته وملكه وفسر شركهم بعبادة غيره ، قال رحمه الله وقد بين القرآن في غير موضع أن من المشركين من أشرك بالملائكة ، ومنهم من أشرك بالانبياء والصالحين ، ومنهم من أشرك بالكواكب ، ومنهم من أشرك بالاصنام ، وقد رد عليهم جميعهم وكفر كل أصنافهم كما قال تعالى (ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) وقال تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم) الآية وقال (لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون) ونحو ذلك في القرآن كثير وبه يعلم المؤمن ان عبادة الانبياء والصالحين كعبادة الكواكب والاصنام ، من حيث الشرك والكفر بعبادة غير الله .

قال رحمه الله : وهذه العبادات التي صرفها المشركون لآلهتهم هي افعال العبد الصادرة منه كالحب والخضوع والانابة والتوكل والاستعانة والاستغاثة والخوف والرجاء والنسك والتقوى والطواف ببيته رغبة ورجاء وبقلق القلوب والآمال بفيضه ومده وإحسانه وكرمه ، فهذه الانواع أشرف أنواع العبادة وأجلها ، بل هي لبُّ سائر الأعمال الاسلامية وخلاصتها ، وكل عمل يخلو منها، فهو خداج مردود على صاحبه وانما أشرك وكفر من كفر من المشركين ، بقصد غير الله بهذا وتأهيله لذلك قال تعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون) وقال تعالى (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولاهم منا يصحبون) وقال تعالى (أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن

بضر) الآية وقال تعالى (والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون) الآية . وحكى عن أهل النار انهم يقولون لآلهتهم التي عبدوها مع الله (تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين) . ومعلوم انهم ماسووهم به في الخلق والتدبير والتأثير ، وانما كانت التسوية في الحب والخضوع والتعظيم والدعاء ونحو ذلك من العبادات .

قال رحمه الله : فجنس هؤلاء المشركين وأمثالهم ممن يعبد الاولياء والصالحين، نحكم بأنهم مشركون ونرى كفرهم اذا قامت عليهم الحجة الرسالية وما عدا هذا من الذنوب التي دونه في الرتبة والمفسدة لا نكفر بها ولا نحكم على أحد من أهل القبلة الذين باينوا لعبّاد الاوثان والاصنام والقبور بكفر بمجرد ذنب ارتكبوه وعظيم جرم اجترحوه ، وغلاة الجهمية والقدرية والرافضة ونحوهم ممن كفرهم السلف لا نخرج فيهم عن أقوال أئمة الهدى والفتوى من سلف هذه الامة ، ونبرأ الى الله مما أتت به الخوارج وقالته في أهل الذنوب من المسلمين ، قال رحمه الله : ومجرد الاتيان بلفظ الشهادة من غير علم بمعناها ولا عمل بمقتضاها لا يكون به المكلف مسلماً بل هو حجة على ابن آدم ، خلافاً لمن زعم ان الايمان مجرد الاقرار كالكرامية ومجرد التصديق كالجهمية ، وقد أكذب الله المنافقين فيما أتوا به وزعموه من الشهادة ، وسجل على كذبهم مع أنهم أتوا بألفاظ مؤكدة بأنواع من التأكيدات .

قال تعالى (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) فاكدوا بلفظ الشهادة ، وإنّ المؤكدة ، واللام ، والجملة الاسمية فاكذبهم واكد تكذيبهم بمثل ما اكدوا به شهادتهم سواء بسواء ، وزاد التصريح باللقب الشنيع والعلم البشيع الفضيع ، وبهذا تعلم ان مسمى الايمان لابد فيه من الصدق والعمل ، ومن شهد ان لا إله إلا الله وعبد غيره ، فلا شهادة له ، وان صلى وزكى وصام واتي بشيء من اعمال الاسلام ، قال تعالى لمن آمن ببعض الكتاب ورد بعضا (افتؤمنون

ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) الآية . وقال تعالى (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا) الآية . وقال تعالى (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه) الآية . والكفر نوعان مطلق ومقيد ، فالمطلق ان يكفر بجميع ما جاء به الرسول والمقيدان يكفر ببعض ما جاء به الرسول حتى ان بعض العلماء كفر من انكر فرعا مجمعا عليه كتوريث الجدّ والاخت ، وان صلى وصام فكيف بمن يدعو الصالحين ، ويصرف لهم خالص العبادة ولبها ، وهذا مذكور في المختصرات من كتب المذاهب الاربعة ، بل كفروا ببعض الالفاظ التي تجري على ألسن بعض الجهال ، وإن صلى وصام من جرت على لسانه .

قال رحمه الله والصحابة كفروا من منع الزكاة وقاتلوهم مع اقرارهم بالشهادتين والأتيان بالصلاة والصوم والحج : قال رحمه الله واجتمعت الامة على كفر بني عبيد القداح مع انهم يتكلمون بالشهادتين ويصلون ويبنون المساجد في قاهرة مصر وغيرها ، وذكر ان ابن الجوزي صنف كتابا في وجوب غزوهم وقتالهم سماه النصر على مصر ، قال وهذا يعرفه من له أدنى المام بشيء من العلم والدين ، فتشبيه عبّاد القبور بانهم يصلون ويصومون ويؤمنون بالبعث مجرد تعمية على العوام وتلبيس لينفق شركهم ، ويقال باسلامهم وايمانهم ، ويأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون .

وأما مسائل القدر والجبر والارجاء والامامة والتشيع ونحو ذلك من المقالات والنحل فهو أيضاً فيها على ما كان عليه السلف الصالح وأئمة الهدى والدين يبرأ مما قالته القدرية النفاة ، والناصبة المجبرة ، وما قالته المرجئة والرافضة ، وماعليه غلاة الشيعة والناصبة ، يوالي جميع أصحاب رسول الله ﷺ ويكف عما شجر بينهم ، ويرى انهم أحق الناس بالعفو عما يصدر منهم ، وأقرب الخلق الى مغفرة الله واحسانه لفضائلهم وسوابقهم وجهادهم ، وماجرى

على ايديهم من فتح القلوب بالعلم النافع والعمل الصالح وفتح البلاد ومحو آثار الشرك وعبادة الاوثان والنيران والاصنام والكواكب ونحو ذلك مما عبده جهال الانام ، ويرى البراءة مما عليه الرافضة وانهم سفهاء لئام ويرى أن أفضل الامة بعد نبيها أبو بكر فعمر فعثمان فعلي رضي الله عنهم أجمعين ويعتقد ان القرآن الذي نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين وخاتم النبيين ، كلام الله غير مخلوق منه بدأ واليه يعود ، ويـــبرأ من رأي الجهمية القائلين بخلق القرآن ، ويحكي تكفيرهم عن جمهور السلف أهل العلم والايمان ويبرأ من رأي الكلابية اتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب ، القائلين بأن كلام الله هو المعنى القائم بنفس الباري وان ما نزل به جبرائيل حكاية او عبارة عن المعنى النفسي ، ويقول هذا من قول الجهمية وأول من قسم هذا التقسيم هو ابن كلاب واخذ عنه الاشعرى وغيره كالقلانسي ، وتخالف الجهمية في كل ما قالوه وابتدعوه في دين الله ، ولا يرى ما ابتدعه الصوفية من البدع والطرائق المحدثة المخالفة لهدي رسول الله ﷺ وسنته في العبادات والخلوات والاذكار المخالفة للمشروع .

ولا يرى ترك السنن والاخبار النبوية لرأي فقيه ومذهب عالم خالف ذلك باجتهاد ، بل السنة اجلّ في صدره واعظم عنده من ان تترك لقول احد كائناً من كان ، قال عمر بن عبد العزيز لا رأي لاحد مع سنة سنها رسول الله ﷺ نعم عند الضرورة وعدم الاهلية والمعرفة بالسنن والاخبار وقواعد الاستنباط والاستظهار ، يصارُ الى التقليد لا مطلقاً ، بل فيما يتعسر ويخفى ؛ ولا يرى إيجاب ما قاله المجتهد إلا بدليل تقوم به الحجة من الكتاب والسنة خلافاً للغلاة المقلدين ؛ ويوالي الائمة الاربعة ، ويرى فضلهم وامامتهم ، وانهم من الفضل والفضائل في غاية ورتبة يقصر عنها المتطاول ؛ ويوالي كافة اهل الاسلام وعلمائهم من اهل الحديث والفقه والتفسير واهل الزهد والعبادة ؛ ويرى المنع من الانفراد عن أئمة الدين من السلف الماضين برأي مبتدع او قول مخترع ، فلا يحدث في الدين ما ليس له اصل يتبع ، وما ليس من أقوال اهل العلم

والاثر ؛ ويؤمن بما نطق به الكتاب وصحت به الاخبار وجاء الوعيد عليه من تحريم دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم ؛ ولا يبيح من ذلك إلا ما أباحه الشرع وأهدره الرسول ، ومن نسب اليه خلاف هذا فقد كذب وافترى . وقال ما ليس له به علم ، وسيجزيه الله ما وعد به أمثاله من المفترين . وابدى رحمه الله من التقارير المفيدة والابحاث الفريدة على كلمة الاخلاص والتوحيد شهادة ان لا إله إلا الله مادل عليه الكتاب المصدق ، والاجماع المستبين المحقق ، من نفي استحقاق العبادة والالهية عما سوى الله ، واثبات ذلك لله سبحانه على وجه الكمال المنافي لكليات الشرك وجزئياته ، وان هـذا هو معناها وضعاً ومطابقة خلافاً لمن زعم غير ذلك من المتكلمين ، كمن يفسر ذلك بالقدرة على الاختراع ، او بأنه تعالى غني عما سواه مفتقر اليه ما عداه ، فان هـذا لازم المعنى ، إذ الاله الحق لا يكون إلا قادراً غنياً عما سواه ، واما كون هـذا هو المعنى المقصود بالوضع فليس كذلك ، والمتكلمون خفي عليهم هذا وظنوا ان تحقيق توحيد الربوبية والقدرة ، هو الغاية المقصودة ، والفناء فيه هو تحقيق التوحيد ، وليس الامر كذلك ، بل هذا لا يكفي في الايمان وأصل الاسلام ، إلا إذا اضيف اليه واقترن به توحيد الالهية ، وافراد الله بالعبادة والحب والخضوع والتعظيم والانابة والتوكل والخوف والرجاء وطاعة الله وطاعة رسوله ، هذا اصل الاسلام وقاعدته والتوحيد الاول توحيد الربوبية والقدرة والخلق والايجاد هو الذي بني عليه توحيد العمل والارادة ، وهو دليله الاكبر واصله الاعظم ، كما قال تعالى (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) إلى آخر الآيات . قال العلامة ابن القيم رحمه الله شعراً :

إن كان ربك واحداً سبحانه ... فاخصصه بالتوحيد مع احسان
او كان ربك واحداً أنشاك لم ... يشركه إذ أنشاك ربٌ ثان
فكذاك ايضاً وحده فاعبده لا ... تعبد سواه يا اخا العرفان

وهذه الجمل منقولة عن سلف الائمة من المفسرين وغيرهم من اهل اللغة

إجمالا وتفصيلا . وقد قرر رحمه الله ، على شهادة ان محمداً رسول الله من بيان ما تستلزمه هذه الشهادة وتستدعيه وتقتضيه من تجريد المتابعة والقيام بالحقوق النبوية من الحب والتوقير والنصر والمتابعة والطاعة وتقديم سنته ﷺ على كل سنة وقول ، والوقوف معها حيث ما وقفت ، والانتهاء حيث انتهت في اصول الدين وفروعه باطنه وظاهره وخفيه وجليه كليّه وجزئيه ظهر به فضله وتأكد علمه ونبله ، وانه سبّاقُ غايات وصاحب آيات ، لا يُشَقُّ غباره ، ولا تدرك في البحث والافادة آثاره ، وان اعداءه ومنازعيه ، وخصومه في الفضل وشانئيه ، يصدق عليهم المثل السائر ، بين اهل المحابر والدفاتر ، شعراً :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه　　فالناس اعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها　　حســـداً وبغياً انه لدميم

وله رحمه الله من المناقب والمآثر مالا يخفى على أهل الفضائل والبصائر ، ومما اختصه الله به من الكرامة تسلط أعداء الدين وخصوم عباد الله المؤمنين على مسبته والتعرض لبهته وعيبه ، قال الشافعي رحمه الله تعالي : ماأرى الناس ابتلوا بشتم أصحاب رسول الله ﷺ الا ليزيدهم الله بذلك ثوابا عند انقطاع أعمالهم .

وأفضل الأمة بعد نبيها أبو بكر ، وعمر ، وقد ابتليا من طعن أهل الجهالة والسفاهة بما لا يخفى ، وما حكيناه عن الشيخ حـــكاه أهل المقالات عن اهل السنة والجماعة مجملا ومفصلا ، وهذه عبارة أبي الحسن الاشعري في كتابه مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، قال أبو الحسن الاشعري : جملة ماعليه أصحاب الحديث وأهل السنة الاقرار بالله وملائـكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون من ذلك شيئاً ، والله تعالى إله واحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وأن محمدا عبده ورسوله وأن الجنة حق وان النار حق وان الساعة آتية لاريب فيها وان الله يبعث من في القبور ، وان الله تعالى على عرشه ، كما قال (الرحمن على العرش استوى)

وان له يدين بلا كيف كما قال (لما خلقت بيدي) وكما قال ، (بل يداه مبسوطتان) وان له عينين بلا كيف وان له وجها جل ذكره كما قال تعالى (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) ، وان اسماء الله تعالى لا يقال انها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج واقروا ان لله علما كما قال (أنزله بعلمه) واوكما قال (وما تحمل من أنثي ولا تضع إلا بعلمه) واثبتوا السمع والبصر ولم ينفوا ذلك كما نفته المعتزلة ، واثبتوا لله القوة كما قال تعالى (أولم يرو ان الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة) وقالوا انه لا يكون من خير ولا شر إلا ماشاء الله ، وان الاشياء تكون بمشيئة الله تعالى كما قال تعالى (وما تشاؤن إلا ان يشاء الله) وكما قال المسلمون ماشاء الله كان ومالم يشاء لم يكن ، وقالوا ان احدا لا يستطيع ان يفعل شيئاً قبل ان يفعله ، او ان يكون احد يقدر على ان يخرج عن علم الله وان يفعل شيئاً علم الله انه لا يفعله ، واقروا انه لا خالق إلا الله ، وأن أعمال العباد يخلقها الله ، وان العباد لا يقدرون ان يخلقوا شيئاً ، وان الله تعالى وفق المؤمنين لطاعته ، وخذل الكافرين بمعصيته ، ولطف للمؤمنين ونظر لهم وأصلحهم وهداهم ولم يلطف للكافرين ولا أصلحهم ولا هداهم ، ولو أصلحهم لكانوا صالحين ولو هداهم لكانوا مهتدين ، وان الله تعالى يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف لهم حتى يكونوا مؤمنين ولكنه اراد ان يكونوا كافرين كما علم وخذلهم وأضلهم وطبع على قلوبهم ،وان الخير والشر بقضاء الله وقدره ويؤمنون بقضاء الله وقدره وخيره وشره حلوه ومره ، ويؤمنون انهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً الا ماشاء الله كما قال ، ويلجئون أمرهم الى الله ويثبتون الحاجة الى الله في كل وقت والفقر الى الله في كل حال ، ويقولون ان القرآن كلام الله غير مخلوق والكلام في الوقف واللفظ من قال باللفظ او بالوقف فهو مبتدع عندهم لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق ، ويقولون ان الله تعالى يرى بالابصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر ويراه المؤمنون ولا يراه الكافرون لانهم عن الله محجوبون ،

قال الله تعالى (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وان موسى سأل الله سبحانه الرؤية في الدنيا وان الله تعالى تجلى للجبل فجعله دكا فاعلمه بذلك انه لا يراه في الدنيا بل يراه في الآخرة ، ولم يكفروا احداً من اهل القبلة بذنب يرتكبه كنحو الزنا والسرقة وما اشبه ذلك من الكبائر ، وهم بما معهم من الايمان مؤمنون وان ارتكبوا الكبائر ، والايمان عندهم هو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره وحلوه ومره ، وان ما اخطأهم لم يكن ليصيبهم وما اصابهم لم يكن ليخطئهم ،

والاسلام هو أن يشهد أن لا إله الا الله على ماجاء الحديث ، والاسلام عندهم غير الايمان ، ويقرون بأن الله مقلب القلوب ويقرون بشفاعة رسول الله ﷺ وانها لأهل الكبائر من امته وبعذاب القبر وان الحوض حق والمحاسبة من الله للعباد حق ، والوقوف بين يدي الله حق ، ويقرون بأن الايمان قول وعمل يزيد وينقص ، ولا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق ، ويقولون اسماء الله هي الله ، ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار ، ولا يحكمون بالجنة لأحد من الموحدين ، حتى يكون الله انزلهم حيث شاء ، ويقولون أمرهم الى الله إن شاء عذبهم وان شاء غفر لهم ، ويؤمنون بأن الله تعالى يخرج قوماً من الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ ، وينكرون الجدل والمراء في الدين والخصومة في القدر والمناظرة فيما تناظر فيه اهل الجدل ويتنازعون فيه من أمر دينهم بالتسليم للروايات الصحيحة ، ولما جاءت به الآثار التي رواها الثقات عدلاً عن عدل حتى ينتهي ذلك الى رسول الله ﷺ ولا يقول كيف ولا لم ? لأن ذلك بدعة ، ويقولون ان الله لم يأمر بالشر بل نهى عنه وأمر بالخير ولم يرض بالشر وان كان مريداً له ، ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ ويأخذون بفضائلهم ويمسكون عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم ، ويقدمون ابا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علياً رضي الله عنهم.

ويقرون أنهم الخلفاء الراشدون المهتدون ، وانهم أفضل الناس كلهم بعد

النبي ﷺ ، ويصدّقون بالاحاديث التى جاءت عن رسـول الله ﷺ أن الله ينزل من السماء الدنيا فيقول هل من مستغفر كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ ، ويأخذون بالكتاب والسنة ، كما قال الله تعالى (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله) ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين ، ولا يبتدعون في دينهم مالم يأذن به الله ، ويقرون ان الله تعالى يجيء يوم القيامة كما قال (وجاء ربك والملك صفا صفا) وان الله تعالى يقرب من خلقه كيف يشاء كما قال تعـــالى (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) ويرون العيد والجمعة والجماعه خلف كل إمام بر وفاجر ويثبتون المسح على الخفين في الحضر والسفر ، ويثبتون فرض الجهاد للمشركين منذ بعث الله نبيه ﷺ إلى آخر عصابة تقاتل الدجال ، وبعد ذلك يرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح وان لايخرج عليهم بالسيف وان لايقاتلوا في الفتنة ، ويصدقون بخروج الدجال وان عيسى ابن مريم يقتله ، ويؤمنون بمنكر ونكير والمعراج والرؤيا في المنام ، وان الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصـــل اليهم ، ويصـــدقون بان في الدنيا سحرة وان الساحر كافر ، وان السحر كائن موجود في الدنيا ، ويرون الصلاة على كل من مات من اهل القبلة مؤمنهم وفاجرهم ، ويقرون ان الجنة والنار مخلوقتان ، وان من مات مات بأجله ، وكذلك من قتل قتل بأجله ، وان الارزاق من قبل الله تعالى يرزقها عباده حلالا كانت أو حراماً ، وأن الشيطان يوسوس للانسان ويشككه ويخبطه وأن الصالحين قد يجوز أن يخصهم الله تعـــالى بآيات تظهر عليهم ، وان السنة لا تنسخ القرآن وان الاطفال أمرهم الى الله ان شاء عذّبهم ، وان شاء فعل بهم ما أراد ، وان الله عالم ما العباد عاملون ، وكتب ان ذلك يكون ، وان الأمر بيد الله تعـــالى ، ويرون الصبر على حكم الله والأخذ بما أمر الله به ، والانتهاء عما نهى عنه واخلاص العمل والنصيحة للمسلمين ، ويدينون بعبادة الله في العابدين والنصيحة لجماعة المسلمين واجتناب الكبائر والزنا وقول الزوا

والمعصية والفخر والكبر والازراء على الناس والعجب ، ويرون مجانبة كلّ داع الى بدعة والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار والنظر في الفقه مع التواضع والاستكانة وحسن الخلق وبذل المعروف وكف الأذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية وتفقد المأكل والمشرب ، فهذه جملة مايأمرون به ويستعملونه ويرونه ، وبكل ما ذكرنا من قولهم ، نقول واليه نذهب ، وما توفيقنا الاّ بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وهذا آخر ما أردنا من جواب هذا الملحد على وجه الاختصار ، وقد تركنا كثيراً من كلامه وخرافاته ، والله المسؤول المرجو الأجابة أن يهدينا صراطه المستقيم ، وان يجنبنا بفضله ورحمته طريق أصحاب الجحيم ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم ، وصلى اللهّ على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا الى يوم الدين ، ورحم الله كاتبه وغفر له ذنوبه وستر عليه عيوبه وهداه الى الطيب من القول ، وهداه الى صراط الحميد ، وتوفاه على الاسلام والايمان ووالديه وذريته واخوانه وجميع المسلمين والمؤمنين بمنّه وكرمه ولطفه وعفوه آمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

الفهرس

الصفحة	الموضوع